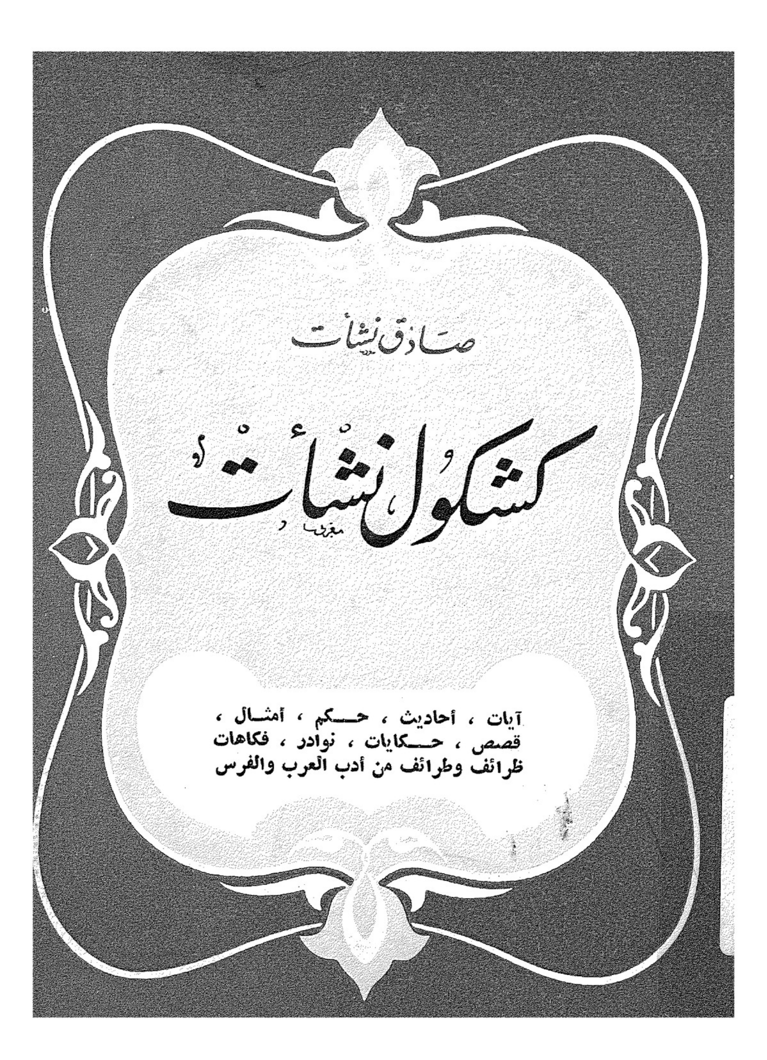


صادق نشأت

كشكول نشأت

معرب

آيات ، أحاديث ، حكم ، أمثال ،
قصص ، حكايات ، نوادر ، فكاهات
ظرائف وطرائف من أدب العرب والفرس

إهـــــــداء2005

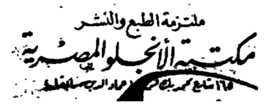
د/محمد عثمان نجاتي

القاهرة

صادق نشأت



آيات ، أحاديث ، حكم ، أمثال ، قصص ، حكايات ، نوادر
فكاهات ، ظرائف وطرائف من أدب العرب و الفرس



الأهداء

إلى روح والدى الحبيب

وقد خلق فى نفسى (وهو حى) حب الإطلاع والتأمل والتسجيل ، وأمله الكبير أن أبلغ مابلغت وأن أصل إلى ماوصلت

وأمدنى من روحه (وهو فى خلوده) بالقوة والعزم والتصميم حتى تحقق أمله الكبير .

إليه أهدى هذا الكتاب بعد أن عاش وأمله لى وتوفى وأمنياته من أجلى راجياً من الله أن يوفيه عنى أحسن الجزاء .؟

محمد صادق نشأت

مطبعة مصر ت ١١٩٣ -٩٠

المقدمة

تعلمت من والدي المرحوم السيد مهدي الحسيني الأصفهاني : أن أسجل كل ما يقع تحت نظري من نكت لطيفة أو نادرة طريفة أو حكاية ظريفة ، أو خبر تاريخي غريب ، أو قطعة أدبية أخاذة ، ولم تزل تلك عادتي منذ ألفت القراءة والمطالعة ، فاجتمع عندي بمرور الزمن في غضون نصف قرن عدد كبير من الدفاتر والجزازات ضاع جزء كبير منها أثناء تنقلاتي داخل الوطن وخارجه .

وقد اطلع أحد الأصدقاء في هذه الأيام على الجزء الباقي منها فأعجب بها ودعاني إلى جمعها ، وشجعني على طبعها لتكون متعة للقارىء وتسلية للمطالع . فما كان مني إلا أن أجبت طلبه ، وحققت رجاءه ، وهذا هو الجزء الأول من تلك المجموعة التي أرجو أن أوفق لمتابعة نشر أجزائها الأخرى بإذن الله وتأييده .

وقد أطلقت على هذه المختارات اسم « الكشكول » لسببين : أولهما : أني فضلت ألا أرتب محتوياتها ، ولا أجعل لها عناوين لتكون أسهل تناولا يأخذ بعضها برقاب بعض .

وثانيهما : أن أفعل ما سبقنى إليه العلامة الشيخ بهاء الدين العاملى فى كتابه الشهير المعروف بـ « الكشكول » فهو فى الحقيقة ليس شيئاً جديداً لم يسبقنى إليه أحد ، وأنا أرجو أن أكون قد قدمت لقارىء هذا الكتاب نبذة وجيزة من أدب العرب والفرس وبعض أخبار رجالاتهم وعظمائهم ، وهذا الكتاب هو فى الحقيقة ذكرى منى إلى قراء العربية فالله أسأل أن يجعل لهم فيه متعة ولنا فيه ذكرى فإن الذكرى كما يقولون هى للإنسان عمر ثان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أطلع أنوار القرآن ، وأظهر ببدائع البيان قواطع البرهان ، فأضاء صحائف الزمان ، وصفائح المكان ؛ والصلاة والسلام على رسوله المنزّل عليه ، والموحى إليه ، الذى نزلت لتصديق قوله وتبيين فضله « إن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » محمد المؤيد لبينات وحجج « قرآنا عربيا غير ذى عوج » ، وعلى آله وصحبه الكرام وبعد :

فإن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدين الإسلامى موجهة إلى أهل العالم جميعا ، لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنى رسول الله إليكم جميعا » وقوله : « الذين يتبعون الرسول الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم ، والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به ، وعذروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » وقد قال الأبشيهى فى المستطرف :

وإلى سيدنا محمد (ﷺ) ينتهى الحسن والجمال ، وكان صلى الله عليه وسلم ، ربعة فى الرجال ، لابائنا فى الطول والقصر ، أبيض اللون مشربا بحمرة ، أدعج العينين ، مفتح الثنايا ، أزهر الجبين ، واضح الخد ، أقنى الأنف ، كأن عنقه إبريق فضة ، كث اللحية ، ظاهر الوضاءة ، متلألئا وجهه تلألأ القمر ، شثن الكفين ، فسيح القدمين،ليس فى صدره ولا بطنه شعر غير شعر الذراعين والمنكبين ، لم تبلغ شيبته فى رأسه وفى لحيته عشرين شعره ، يتصبب فى مشيه كأنه ينخفض من علو . وإذا إلتفت التفت جميعا ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما بالبهاء والفخار ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأكملهم وأحسنهم من قريب .

معرفة الله :

وقد قال الإمام على بن أبى طالب عليـــه السلام فى بعض وصاياه لابنه ، أعلم يا بنى أنه لو كان لربك شريك ، لأتتك رسله؛ ولرأيت آثار ملكه وسلطانه . ولعرفت أفعاله وصفاته ، وقال أيضاً : « كل ما تصوروه فى أذهانكم فإنه مثلكم مخلوق مردود إليكم ، وإنه تعالى عما يصفون علواً كبيراً .

— ١ —

منزلة القضاء فى نظر الخلفاء الراشدين :

إدعى رجل على على عند عمر ، وكان على جالساً إلى جنب عمر فقال : يا أبا الحسن ! لو جلست مع خصمك ؟ فبادر على إلى ذلك ، وانتهى الأمر بينهما ، وانصرف الرجل ، ورجع على إلى مجلسه ، وأحس عمر بتغيير فى وجه على فقال له : مالى أراك متغيراً . أكرهت ما كان ؟ قال : نعم ، قال : وما ذاك ؟ قال : كنيتنى بحضرة خصمى،هلا قلت لى ياعلى قم فاجلس مع خصمك ! فقام عمر وأخذ برأس على كرم الله وجهه ، وقبله ما بين عينيه ثم قال : بأبى أنتم بكم هدانا الله،وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور .

— ٢ —

قالت رابعة العدوية تخاطب الله :

أحبك حبين : حب الهوى
وحب لأنك أهل لذا كا
فأما الذى هو حب الهوى
فشغلى بذكرك عمن سوا كا
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك لى الحجب حتى أرا كا

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذا كا

— ٣ —

جاء فى الكشكول للشيخ البهائى العاملى الدعاء التالى :

أللهم يا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه ، يا من تسربل بالجلال ، وتحلى بالجمال،وتعالى بالقدرة ، وتسامى بالعظمة، أسألك أن تصلى على محمد وآله وصحبه ، وأن تصرف عنى وعن كل من يخصنى وجميع المؤمنين والمؤمنات شر الآفات والعاهات ، والخطايا والموبقات ، والشك والريب ، والنفاق والشقاق ، والجهل والضلال ، والعسر والضيق ، وفساد الضمير ، إنك على كل شىء قدير .

— ٤ —

وقال الشيخ اسماعيل الزمزمى فى تمجيد الله :

يا من تحل به عقد النوائب والشدائد
يا من إليه المشتكى وإليه أمر الخلق عائد
يا حى يا قيوم يا صمدا تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العباد وأنت فى الملكوت واحد

أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد

سبب لنا فرجا قريباً يا إلهى لا تباعد

كن راحمى فلقد يئست من الأقارب والأباعد

وعلى العدا كن ناصرى لا تشمتن بى الحواسد

يا ذا الجلال وعافنى مما من البلوى أكابد

وعن الورى كن ساتر أعيبى بفضل منك وارد

هذى يدى وبشدتى قد جئت ياربا ه قاصد

فلكم إلهى قد شهدت لفيض لطفك من عوائد

— ٥ —

قال ابن المقفع يصف الرجل المثالى :

إنى مخبرك عن صاحب كان أعظم فى عينى ، وكان رأس ما أعظمه عندى : صغر الدنيا فى عينه ؛ كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى مالا يجد ، ولا يكثر إذا وجد ؛ وكان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو إليه مؤنة ، ولا يستحث له رأياً ولا بدنا ؛ وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة ؛ وكان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بذ القائلين ؛ وكان يرى ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجد فهو الليث عادياً ، وكان لا يدخل فى دعوى ، ولا يشرك فى مراء ، ولا يدلى بحجة حتى يجد قاضياً

عدلا وشهوداً عدولا ، وكان لا يلوم أحداً على ما قد يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما اعتذاره ؛ وكان لا يشكو وجعاً إلا إلى من يرجو عنده البرء ، ولا يصحب إلا من يرجو عنده النصيحة ؛ وكان لا يتبرم ، ولا يسخط ، ولا يشتهى ، ولا يشتكى ، ولا ينتقم من الولى . ولا يغفل عن العدو ، ولا يخص نفسه دون إخوانه بشىء من اهتمامه بحيلته وقوته .

فعليك بهذه الأخلاق إن أطقت ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق .

— ٦ —

روى أن ليلى الأخيلية مدحت الحجاج ؛ فقال : يا غلام ! إقطع لسانها ، فأخرج سكيناً ليقطع لسانها فعلا ؛ فقالت : ويحك يا جاهل ، إن الأمير لم يأمر بقطع لسانى بالسكين ، بل إنه أمر بقطع لسانى بالجائزة والصلة .

— ٧ —

روى أبو الفرج الجوزى قال : زعموا أن أسداً وثعلباً وذئباً اصطحبوا ، فخرجوا يتصيدون ، فصادوا حماراً وظبياً وأرنباً ، فقال الأسد للذئب : أقسم بيننا صيدنا . فقال : الأمر أبين من

ذلك ، الحمار لك ، والأرنب لأبي معاوية ، والظبي لي ، فخبطه الأسد فأطاح رأسه ، ثم أقبل على الثعلب وقال : قاتله الله ! ما أجهله بالقسمة ! هات أنت يا أبا معاوية . فقال الثعلب : يا أبا الحارث ! الأمر أوضح من ذلك : الحمار لغدائك ، والظبي لعشائك ، والأرنب فيما بين ذلك ، فقال الأسد : قاتلك الله ! ما أقضاك ، من علمك هذه الأقضية ؟ قال : رأس الذئب الطائح عن جثته .

— ٨ —

من ألطف الأجوبة ما يحكى :

أن اشتكى عند المأمون جماعة من عامل نصبه عليهم ، فأجاب الخليفة : « أنه عادل تقي ، ولا أعلم منه إلا خيراً » ، فرد عليه أحدهم : فليأمر أمير المؤمنين بتعيينه في بلد آخـــر حتى يستفيد الآخرون من عدله وتقواه .

— ٩ —

بشهر بانو

يحكى أنهم جاءوا [بشهر بانو] ابنة الملك الساساني بعد الفتح الإسلامي أسيرة إلى المدينة فأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن تباع ، فلما حملوها إلى السوق وصل أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

وقال : (قال النبي ﷺ ليس البيع على أبناء الملوك) فسقط عندئذ البيع عن « شهر بانو » وأقاموها عند سلمان الفارسي ليزوجوها، فلما عرضوا عليها حديث الزواج قالت : ما لم أر الرجل بعيني فلا أريده ، فأجلسوني على منظر ومرروا على سادات العرب ، فمن يكن موضع اختياري فهو زوجي ، فأجلسوها على منظر بدار سلمان الفارسي وجلس سلمان عندها وكان يعرفها بهؤلاء القوم ويقول : هذا فلان وذاك فلان ، وكانت هي تقول عن كل شخص شيئاً ولا تقبله حتى مر عليها أمير المؤمنين علي بن عم حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقالت شهر بانو : ما أحسنه سيدا ولكن يعروني الخجل في الآخرة من فاطمة الزهراء فلا أريده من هذا الوجه . ثم مر الحسن بن علي ، فلما علمت بنسبه وسيرته قالت : إنه يليق بي ، ولكني سمعت أنه مزواج ، إلى أن مر الحسين بن علي فلما سألت عن حاله قالت : ينبغي أن يكون هو زوجي لأني لم أتزوج أبداً وهو لما يتزوج أيضاً فنحن يليق كل منا بالآخر ، وفي الجملة فقد زوجوها من الحسين بن علي .

(كتاب النصيحة)

— ١٠ —

قال العتبي :

بعث إلى عمر بحلـــل ، فقسمها ، فأصاب كل رجل ثوب ،

فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ! ألا تسمعون ؟ فقال سلمان : لا نسمع ، قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة ، قال : لا تعجل يا أبا عبد الله ، ثم نادى ، يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر ! قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى ائتزرت به هو ثوبك ؟ قال : اللهم نعم . فقال سلمان رضى الله عنه : أما الآن فنسمع .

— ١١ —

قال ملك لوزيره :

ما خير ما يرزق الله به عبده ؟ قال : عقل يعيش به ، قال : فإن عدمه ، قال : صديق يستشيره فى مهماته ، قال : فإن عدمه ، قال : حظ يسعده ويسترعيه ، قال : فإن عدمه ، قال : فصاعقة تحرقه وتريح منه البلاد والعباد .

— ١٢ —

قيل لبعض البخلاء :

ما الفرج بعد الشدة ؟

قال : أن يعتذر الضيف بأنه صائم .

— ١٣ —

قعد أبو الفضل الشاعر المعروف بابن القطـا ، يأكل مع زوجته ؛ فقال لها : إكشفى رأسك ، ففعلت ؛ ثم قرأ سورة الإخلاص ، فقالت له : ما الخبر ؟ فقال : إذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ، وإذا قرئت سورة الإخلاص هربت الشياطين ، وأنا أكره الزحام على المائدة .

— ١٤ —

ذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتاب [الكامل] أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند ، أفضى إلى أثاث لم ير مثله ، وآلات لم يسمع بمثلها ، فأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليه ، ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم ؛ فأمر بدار ففرشت ، وفى صحنها قدور يرتقى إليها بالسلاليم ، فإذا بالحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى قد أقبل ، والناس جلوس على مراتبهم ، والحضين شيخ كبير ؛ فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لأخيه قتيبة : ائذن لى فى معاتبته ، قال : لا ترده ، فإنه خبيث الجواب ، فأبى عبد الله إلا أن يأذن له ، وكان عبد الله هذا قد تسور حائطاً إلى امرأة قبل ذلك ، فأقبل على الحضين ، فقال : أمن الباب دخلت يا أبا ساسان ؟ قال : أجل ، أسن عمك عن تسور الحيطان ؛ قال:

أرأيت هذه القدور ؟ قال : هى أعظم من ألا ترى ؛ قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها . قال : أجل ، ولا عيلان ، ولو رآها سمى شبعان ولم يسم عيلان ، فقال عبد الله : أتعرف يا أبا ساسان الذى يقول :

عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل
تجر خصاها تبتغى من تحالف ؟

فقال : أعرفه ، وأعرف الذى يقول :

فأدى الغرم من نادى مشيرا
ومن كانت له أسرى كلاب
وخيبة من يخيب على غنى
وباهلة بن أعصر والرباب

فقال : أفتعرف الذى يقول :

كأن فخاخ الأزد حول ابن مسمع
وقد عرقت أفواه بكر بن وائل

قال : نعم وأعرف الذى يقول :

قوم قتيبـــة أمهم وأبوهم
لولا قتيبة أصبحوا فى مجهل

— ١٦ —

قال : أما الشعر ، فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟

قال : نعم ؛ أقرأ الأكثر الأطيب [هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً] فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغنى أن امرأة الحضين حملت إليه وهى حبلى من غيره ، قال : فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى بل قال على رسله : وما يكون ا تلد غلاما على فراشى ؛ فيقال : فلان ابن الحضين ، كما يقال عبد الله بن مسلم ، فأقبل قتيبة على عبد الله ، وقال له : لا يبعد الله غيرك .

— ١٥ —

صفات المتقين :

قال الإمام على بن أبى طالب لهمام بن نوح البكالى حين ألح عليه بأن يصف له المتقين حتى كأنه يراهم :

فقال بعد الحمد والصلاة ، ياهمام : اتق الله فأحسن فإن الله مع الذين أتقوا والذين هم محسنون ، فلم يقنع همام بهذا الكلام حتى عزم عليه فقال : إن الله سبحانه خلق الخلق وحين خلقهم كان غنياً عن طاعتهم ، آمنا عن معصيتهم قسم بينهم معايشهم فووضعهم من الدنيا مواضعهم ، فالمتقون فيها هم : أهل الفضائل ، منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، غضوا أبصارهم

عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نزلت أنفسهم منهم بالبلاء كالتى نزلت فى الرخاء ولولا الأجل الذى الله كتب لهم ، لم تستقر أرواحهم فى أبدانهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفا من العقاب .

عظم الخالق فى أعينهم ، وصغر ما دونه فى أنفسهم ، فهم والجنة كمن قد رآها ، وهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها ، وهم فيها معذبون ، قلوبهم محزونة ، شرورهم مأمونة . أجسادهم نحيفة ، حاجاتهم خفيفة ، أنفسهم عفيفة ، صبروا أياما قليلة ، أعقبتهم راحة طويلة ، وتجارة مربحة يسرها لهم ربهم أرادتهم لدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها . أما الليل . فصافون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن ، يرتلونه ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ، ويستشيرون منه دواء دائهم ، فإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم ، فهم صافون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون إلى الله تعالى فى فكاك رقابهم .

أما النهار : فهم حكماء علماء ، أبرار أتقياء ، قد براهم الخوف برى القداح ، ينظر إليهم الجاهل فيحسبهم مرضى وما بالقوم من

مرض ، أو يقول : قد خولطوا وقد خالطهم أمر عظيم ، لا يرغبون من أعمالهم بالقليل ، ولا يستكثرون منها الكثير فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، إذا زكى أحدهم خاف مما يقال له ، فيقول : أنا أعلم بنفسى من غيرى . وربى أعلم بى من نفسى ، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون ، واجعلنى أفضل مما يظنون ، واغفر لى مالا يعلمون ، فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين ، وحزما فى يقين، وإيماناً فى يمين ، وحرصاً فى علم وعلما فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة وتجملا فى فاقة ، وصبراً فى شدة ، وطلبا فى حلال . ونشاطا فى هدى ، وتحرجا عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمة الذكر ، يبيت حذرا ، ويصبح فرحا ، حذرا بما حذر من الغفلة . وفرحا لما أصاب من الفضل والرحمة ، إن هبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب ، قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى ، يمزج العلم بالحلم ، والقول بالعمل ، تراه قريباً أمله ، قليلا زلله ، خاشعاً قلبه ، قانعة نفسه ، سهلا أمره ، حيادينة ، ميتة شهوته ، لطيفة غبطته ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً

فحشه ، لينا قوله ، غائباً شكره ، حاضرا معروفه ، مقبلا خيره ، مدبراً شره ، فى الزلازل وقور ، وفى المكاره صبور ، وفى القضاء شكور ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، لا يُضيع ما استحفظه ، ولا ينسى ما ذكره ، لا ينابز بالألقاب ، ولا يضاد فى الأمجاد ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل فى الباطل ، ولا يخرج من الحق ، فإن صمت لم يغمه صمته ، وإن ضحك لم يعلو صوته ، نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه ، بعده عمن تباعد منه زهده ونزاهته ، ودنوه بمن دنا منه لين ورحمة .

قال الراوى :

فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها . فقال أمير المؤمنين : أما والله فقد كنت أخافها عليه ثم قال : هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها ، فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ، فقال ويحك : إن لكل أجل وقتاً لا يقدمه ، وسبباً لا يتجاوزه ، فمهلا لا تعد بعدها ، فإنما نفث الشيطان على لسانك .

— ١٦ —

كان لرجل من العرب اسمه أبو حمزة زوجة أنجبت له عدداً من البنات ، ثم حملت ، وكان أبو حمزة يتشوق إلى ولد ، فلما

وضعتها أنثى ، ضاق بها ، وهجرها وعيالها ، ومكث عند الجيران وفى سكون الليل سمعها تهدهد إبنتها الصغرى حتى تنام بهذا النشيد الجميل :

ما لأبى حمزة لا يأتينا
يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تا الله ما ذلك فى أيدينا
فنحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

فتأثر أبو حمزة حتى بكى ، ورجع فى الحال إلى أم عياله .

— ١٧ —

أسماء الجنة :

جنة الفردوس ، جنة النعيم ، جنة الخلد ، جنة المأوى ، جنة عدن ، دار السلام ، دار المتقين ، دار القرار .

أسماء النار :

جهنم ، الجحيم . اللظى ، السعير ، الحطمة ، الهاوية ، سقر .

— ١٨ —

قيل لأعرابي :

مالك لا تجاهد ؟

قال : والله إني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أن أسعى إليه راكضا !

— ١٩ —

قال الشعبي :

حضرت شريحا القاضي ذات يوم ، وجاءته امرأة تخاصم زوجها ، فأرسلت عينيها فبكت ، فقلت : يا أبا أمية : ما أظنها إلا مظلومة ، فقال يا شعبي ؛ إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون .

— ٢٠ —

قال كسرى :

لا ملك إلا بالجند ، ولا جند إلا بالمال ، ولا مال إلا بالبلاد ، ولا بلاد إلا بالرعية ، ولا رعية إلا بالعدل .

— ٢١ —

يحكى أنه عرضت جارية على أم جعفر زوجة الرشيد ، وطلب

البائع ثمنا باهظا عنها ، فقال الرشيد ؛ إنى أدفع لك هذا الثمن بل وأزيد عليه فيما إذا أجابتنى عما أسألها ، فقال لها : ماذا تقولين لمن خطب ودك ، وأضناه الشوق لحبك ، وتلهف إلى وصلك ؟

قالت :

إذا رأينا محبا قد أضر به . . أمر الصبابة أوليناه إحسانا

فأعجب الرشيد . بجوابها واشتراها .

— ٢٢ —

حدث عمرو بن سعيد قال :

كنت فى نوبتى فى أربعة آلاف،إذ رأيت المأسون قد خرج ، وله غلمان صغار وشموع ، فلم يعرفنى فقال : من أنت ؟ فقلت : عمرو عمرك الله ؛ فقال : بن من ؟ فقلت: إبن سعيد أسعدك الله ؛ فقال : ابن من ؟ فقلت : سلام سلمك الله ، فقال : ان تكلأنا منذ الليلة ، فقلت : الله يكلؤك يا أمير المؤمنين ، وهو خير حافظ وهو أرحم الراحمين ، فتبسم من قولى وقال لمن معه من الكتاب : إرفعوا درجاته فىالخدمة ، وضاعفوا صلاته وإنعاماته ، فإن المرء كما قالوا : مخبوء فى طى لسانه لا طيلسانه .

— ٢٣ —

يحكى أن سعيد بن جبير لما مثل بين يدى الحجاج قال له :

ما أسمك ؟ قال : سعيد بن جبير . فقال : بل أنت شقى بن كسير . قال سعيد : إن أمى كانت أعلم باسمى منك ، فقال الحجاج : شقيت أنت وشقيت أمك ، فقال سعيد : الغيب يعلمه غيرك ، قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها ، قال : فما قولك فى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نبى الرحمه ، قال : فما قولك فى على ، أفى الجنة هو أم فى النار ؟ قال : لو دخلتهما وعرفت أهلهما عرفت من فيهما ، قال : فما قولك فى الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : فأيهم أحب إليك ؟ قال : أرضاهم لخالقه ، قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم ، قال : فما بالك لا تضحك ؟ قال : أيضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار ؟ قال فما بالنا نضحك ؟ قال : لم تستو القلوب . ثم إن الحجاج أمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت وغير ذلك من الجواهر فوضعت بين يدى سعيد ، فقال سعيد : إن كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، لاخير فى شىء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا . ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فضربت بين يدى سعيد . فبكى سعيد ، فقال الحجاج . ويلك ياسعيد ! فقال سعيد : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، فقال : ياسعيد ، أى قتلة تريد أن أقتلك

بها ؟ قال : اختر لنفسك ياحجاج ، فو الله لاتقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة . قال فتريد أن أعفو عنك ؟ قال : إن كان العفو من الله فنعم ، وأما منك أنت فلا . فقال إذهبوا به فاقتلوه ، فلما أخرج من الباب ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك ، فأمر برده ، فقال : ماأضحكك وقد بلغنى أن لك أربعين سنة لم تضحك ؟ قال ضحكت عجبا من جراءتك على الله ، ومن حلم الله عليك ، فأمر بالنطع فبسط بين يديه ، وقال : اقتلوه . فقال . « كل نفس ذائقة الموت » ثم قال :

« وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » قال : وجهوه لغير القبلة . فقال سعيد : « فأينما تولوا فثم وجه الله » فقال : كبوه على وجهه.فقال : « منها خلقناكم ومنها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فقال الحجاج : إذبحوه . فقال سعيد : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . ثم قال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى. فذبح على النطع رحمه الله تعالى ، وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ، ولم يسلط على قتل أحد بعده ، وقيل إنه كان فى مرضه كلما نام رأى سعيدا آخذا بثوبه وهو يقول : يا عدو الله ! فيم قتلتنى ؟ فيستيقظ مذعورا .

— ٢٤ —

غنى إسحاق ذات مرة عند الرشيد بأبيات أعجب بها ، فقال : لله در أبيات تأتينا بها ؛ ما أشد أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقل فضولها ، وأمر له بخمسين ألف درهم . فقال له إسحق : وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعرى أحسن منه فكيف آخذ هذه الجائزة؟ فضحك الرشيد وقال : إجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم .

— ٢٥ —

يقول نصر بن سيار :

كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر ، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر ، وكل شيء يرخص إذا كثر إلا الأدب فإنه إذ كثر غلا .

— ٢٦ —

وصف أحمد بن أبي خالد جارية كاتبة فقال : كأن خطها أشكال صورتها . ومدادها سواد شعرها ، وقرطاسها أديم وجهها ، وقلمها بعض أناملها ، وبيانها سحر مقلتها .

— ٢٧ —

حكى بعض الشعراء أنه دخل على بعض الخلفاء فوجده جالسا وإلى جانبه جارية سوداء تدعى خالصة ، وعليها من الحلى

والجواهر ما لا يوصف ، فصار الشاعر يمتدحه وهو يسهو عن سماعه ، فلما خرج كتب على الباب :

لقد ضاع شعرى على بابكم

كما ضاع در على خالصة

فقرأة بعض حاشيته وأخبر الخليفة به ، فغضب وأمر بإحضار الشاعر ، ولما وصل إلى الباب مسح العينين اللتين فى لفظة : ضاع ، واستبدلها بالهمزة واحضر بين يديه فقال : ما كتبت على الباب ؟ قال : كتبت :

لقد ضاء شعرى على بابكم

كما ضاء در على خالصة

— ٢٨ —

فضل الله :

جلس رجلان قد ذهب بصرهما على طريق أم جعفر زبيده العباسية ، وكانت معروفة بالكرم ، فكان أحدهما يقول : اللهم ارزقنى من فضلك ، والآخر يقول : اللهم ارزقنى من فضل أم جعفر ، وكانت هى تعلم ذلك منهما ، فكانت ترسل لطالب فضل الله درهمين ، ولطالب فضلها دجاجة مشوية فى جوفها عشرة دنانير .

— ٢٧ —

فكان صاحب الدجاجة يبيعها لصاحبه بدرهمين وهو لا يعلم ما فى جوفها ، وأقاما على ذلك عشرة أيام ؛ فقالت أم جعفر لطالب فضلها : أما أغناك فضلنا ؟ قال . وما هو ؟ قالت : مائة دينار فى عشرة أيام . قال لا ، بل دجاجه أبيعها لصاحبي بدرهمين.

فقالت . هذا طلب من فضلنا ، فمنعه الله ، وهذا طلب من فضل الله . فأعطاه الله ! !

— ٢٩ —

قيل : إن هشام بن عبد الملك بن مروان حج فى سنة ، وأراد استلام الحجر الأسود ، فلم يقدر لشدة ازدحام الناس ، فأقاموا له عريشا ، وجلس فى انتظار الوقت المناسب ، وبينما هو كذلك ، إذ بعلى بن الحسين زين العابدين ، يسير بجمال طلعته وعظيم هيبته بين تلك الجموع المحتشدة من الخلق وهم يفتحون له الطريق ويسلمون عليه إجلالا وتعظيما ، فاغتاظ هشام لما رأى ، وقال متجاهلا كمن لا يعرفه ، من هذا الغلام ؟ وكان الفرزدق الشاعر حاضرا هنالك ، فقام وقال : أنا أعرف هذا الفتى ، وأنشد :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

— ٢٨ —

إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هـــذا ينتهى الكرم
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطـــاهر العلم
ما قال لا قط إلا فى تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم

— ٣٠ —

قال الواقدى :

إن كسرى رأى فى المنام كأن رجلا عربيا طاعنا فى السن محنى الظهر يسير نحوه متكئا على عصا وهو يقول : يا كسرى ؛ أسلم وإلا كسرت هذه العصا فينكسر ملكك ، فاستيقظ الملك مرعوبا وسأل المعبرين عن تأويل الرؤيا، فقالوا : لابد وأن يظهر أمر خطير فى أرض العرب يمتد أثره إلى أرضنا ، وسجلوا تاريخ الرؤيا وليلتها فوجدوا أنها قد وقعت فى الليلة التى ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

— ٣١ —

حمار ابن أبى ليلى :

قيل : أن ابن أبى ليلى ، طلب من أحد النخاسين أن يشترى له حماراً ، فقال للنخاس : أريد أن يكون الحمار الذى تشتريه لى ، لم يكن بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، إن أشبعته شكر ، وإن أجعته صبر ، وإن خلا الطريق تدنق ، وإن كثر الزحام ترفق ، إن أنا ركبته هام ، وإن ركبه غيرى نام ، فقال له النخاس اصطبر حتى يمسخ الله القاضى أبى ليلى حماراً ، فأشتريه لك .

— ٣٢ —

زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص ومعه قوسه ونشابه ، فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبيا فحمله ورجع طالبا منزله ، فاعترضه خنزير برى ، فرماه بنشابة نفذت فيه ، فأدركه الخنزير وضربه بأنيابه ضربه أطارت من يده القوس ، ووقعا ميتين ، فأتى عليهم ذئب فقال : هذا الرجل والظبى والخنزير يكفينى أكلهم مدة ، ولكن أبدأ بهذا الوتر فآكله فيكون قوت يومى ، فعالج الوتر حتى قطعه ، فلما انقطع طارت سية القوس فضربت حلقه فمات ، وهذه عاقبة الحرص والطمع .

— ٣٣ —

قيل لأعرابى :

كيف تصنع فى البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شىء ظله ؟
قال : وهل العيش إلا ذاك ؟ يمشى أحدنا ميلا فيرفض عرقا ، ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساءه ويجلس فى فيئه يكتال الريح فكأنه فى إيوان كسرى .

— ٣٤ —

وفد حاجب بن زرارة على أنو شروان ، فاستأذن عليه ، فقال الحاجب ! من أنت ؟ فقال : رجل من العرب ، ولما مثل بين يديه ، سأله الملك : من أنت ؟ قال : سيد العرب ، قال : أو لست أخبرت الحاجب بأنك رجل من العرب ؟ قال : نعم إنى كنت لكذلك ، ولما أكرمنى الملك بمكالمته صرت سيدهم ، فأعجب به كسرى وملأ فمه درا .

— ٣٥ —

قال بعض اليهود لعلى : ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه ، فقال : إنما اختلفنا عنه لافيه ، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم : أجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، فقال إنكم قوم تجهلون .

— ٣٦ —

سخط كسرى على بزر جمهر فحبسه فى بيت وأمر أن يصفد بالحديد ، فبقى أياما على تلك الحالة ، فأرسل إليه من يسأله عن حالة فإذا هو مشروح الصدر مطمئن النفس ، فقالوا له : أنت فى هذه الحالة من الضيق ونراك ناعم البال ؟ فقال : اصطنعت ستة أخلاط وعجنتها واستعملتها فهى التى أبقتنى على ما ترون ، فقالوا : صف لنا هذه الأخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى فقال : نعم ؛ أما الخلط الأول : فالثقة بالله عز وجل ؛ وأما الثانى : فكل ما شاءه الله كائن ، وأما الثالث : فالصبر خير ما استعمله الممتحن ، وأما الرابع : فإذا لم أصبر فماذا أصنع ؟ ولا أعين على نفسى بالجزع ، وأما الخامس : فقد يكون أشد مما أنافيه ؛ وأما السادس: فمن ساعة إلى ساعة فرج ، فبلغ ما قاله كسرى فأطلقه وأعزه .

— ٣٧ —

قيل : إنه عندما أراد عبيد الله بن زياد أن يبعث عمر بن سعد لحرب الحسين عليه السلام بكربلاء ، قال له : إنى وليتك الإمارة فى الرى بموجب هذا العهد ، ولكن عليك أولا قتال الحسين إذا ما امتنع عن البيعة ليزيد ، وإن لم تفعل فاردد علينا عهدنا ، ففكر ابن سعد هنيهة ثم قال : طب نفسا فإنى ذاهب لما تأمرنى به ، واستمهله

ثلاثة أيام ليعد عدته ويسير إلى كربلاء ، فقابله عند خروجه من قصر الإمارة من يعرفه وقال له : أتذهب يا عمر إلى حرب الحسين وأبوك سادس الإسلام ؟ ففكر عمر بن سعد قليلا ثم قال :

فوالله ما أدرى وإنى لحائر
أفكر فى أمرى على خطرين
أأترك ملك الرى والرى منيتى
أم أرجع مأثوما بقتل حسين
حسين بن عمى والحوادث جمة
لعمرى ولى فى الرى قرة عين
يقولون أن الله خالق جنة
ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إننى
أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة
وملك عظيم دائم الحجلين

— ٣٨ —

لئام الناس :

« جنب كرامتك اللئام ، فإنك إن أحسنت إليهم لم يشكروا ،

وإن نزلت بهم شدة ، لم يصبروا .

— ٣٩ —

ناصر خسرو يتكلم عن مصر :

كتب الحكيم ناصر خسرو فى كتابه « سفر نامه » :

رزق سلطان مصر فى عام ٤٣٩ [هجرى قمرى] بولد ، فأمر أن يحتفل الناس ابتهاجا — فزينوا المدينة والأسواق بحيث إذا وصفت فلن يصدقها بعض الناس ولا يثقوا فى صحتها ، وكانت محلات بيع الأقمشة ودور الصيارفة مليئة بالذهب حتى أنه لم يبق فيها موضع لجلوس أحد ، وكلهم آمنون من السلطان . فلم يخش أحد من جواسيسه وعيونه ، وكلهم معتمدون على السلطان بأنه لا يظلم أحدا ولا يطمع فى مال أحد .

ورأيت هناك أموالا لو ذكرتها أو وصفتها لا يصدقها من بإيران ولا يستطاع تخمين أو تحديد أموالهم . وتلك الطمأنينة والراحة التى وجدتها هناك لم أشاهدها فى مكان آخر ، وعرفت هناك مسيحيا من أهل مصر الأثرياء وكانوا يقولون أنه لا يمكن حصر سفنه أو أمواله وأملاكه ، والخلاصة أن ماء النيل نقص فى إحدى السنوات وارتفع ثمن الغلات فأستدعى وزير السلطان هذا المسيحى وقال له : إن السنة هذه مجدبة وقلب السلطان مشغول

— ٣٤ —

بأمر الرعية ، فأى مقدار من القمح أو الغلة يمكن أن تقدمها بالنقود أو بالقرض ؛ فقال المسيحى . بيمن أقبال السلطان والوزير فإن عندى غلة تكفى خبزا لأهل مصر ست سنوات ، وكان أهل مصر حينئذ من الكثرة بحيث كانوا خمسة أضعاف سكان نيشابور . والذى له معرفة بالحساب والمقادير يستطيع أن يعلم مقدار ما كان لهذا الرجل من مال بحيث يكون له هذا المقدار من الغلة . وما أعظم الأمن للرعية .

— ٤٠ —

سخرية :

بينما كان طاليس الفلكى خارجا من مرصده ، إذ مرة بحفرة عميقة ، فوقع فيها ، فرأته عجوز فأخرجته منها وهى تقول : أتزعم يا طاليس أنك تعلم جميع ما فى السماء ، مع أنك لم تعلم ما تحت رجليك ؟

— ٤١ —

جاء فى كتاب الرد على الدهريين :

أن الأمة الفارسية بلغت فيها الأصول الستة ، أعلى مكانة من الكمال أحقابا طويلة ، فكانت لها أصول السعادة ، وموارد

— ٣٥ —

النعيم ؛ حتى بلغ اعتقاد الفارسيين من الشرف لأنفسهم ، إلى حد أنهم كانوا يزعمون أن السعداء من غيرهم إنما هم الداخلون فى عهدهم ، المستظلون بحمايتهم ، أو المجاورون لممالكهم .

كان الصدق والأمانة أول التعليم الدينى عندهم ، ووصلوا فى التحرج من الكذب إلى حيث كانوا : إذا بلغت الحاجة مبلغها من أحدهم ؛ لا يتقدم للاقتراض ، خوف أن يضطره الدين إلى الكذب فى مواعيد وفائه ، فارتفعوا بهذه الخصال الى درجة من العزة ، وبسطة الملك يلزم لبيانها كتاب مثل الشاهنامة .

قال المؤرخ الفرنسى ، فرنسيس لونورمان : إن مملكة فارس على عهد دارا الأكبر كانت إحدى وعشرين إيالة : واحدة منها تحتوى مصر وسواحل القلزم (البحر الأحمر) ، وبوخستان ، والسند ، وكانوا إذا ألم الضعف بسلطانهم فى زمن من الأزمان ، بعثتهم تلك العقائد القويمة ، والصفات الكريمة على تلافى فى أمرهم ، فخلصوا مما ألم بهم فى قليل زمن ، ورجعوا إلى مكانتهم الأولى ، ومجدهم الأعلى .

— ٤٢ —

من أقبح ما روى عن جفوة النساء فى الحب ، هو ما رواه ..

— ٣٦ —

أبو الطيب فى كتابه الظرف والظرفاء عن خبر (عاتكه بنت زيد بن عمرو بن نفيل) :

أنها كانت تحت عبد الله بن أبى بكر الصديق ، وكان يحبها بحيث كانت قد شغلته عن تجارته ولم يستطع مفارقتها رغم إصرار والده بطلاقها ، حتى قتل يوم الطائف فتزوجها عمر بن الخطاب بينما كانت قد وعدت على بن أبى طالب بالزواج ، ففى ليلة دخولها بيت عمر قال لها الإمام : أهكذا يا عدية نفسها ؟ فقال له عمر : ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن ؟ قال : أردت أن أعلمها أنهن لا عهد لهن ، فمكثت عاتكة فى بيت عمر حتى قتل عنها على يد أبى لؤلؤ فتزوجها الزبير بن العوام ومكثت عنده حتى قتل عنها يوم الجمل بوادى السباع ، ولم توافق بعد ذلك على الزواج بكل من تقدم إليها بعد ذلك قائلة : إن زواجى شؤم فابتعدوا عنى .

— ٤٣ —

الشاهنامة :

هى الملحمة العظمى التى تشتمل على ستين ألف بيت من الشعر الفارسى ، ألفها الفردوسى ، الشاعر الفارسى الذى احتفل بمرور ألف سنة على مولده فى آسيا وأوربا وأمريكا سنة ١٩٣٤ ميلادية . وقد قدم هذه الملحمة إلى الأمير محمود الغزنوى

(٩٩٩ و — ١٠٣٠ م) وكافأه عليها بستين ألف درهم . وكان قد وعده بستين ألف دينار ، فهجاه وفر من وجهه خوفاً على حياته .

— ٤٤ —

سأل يهودى نصرانيا عن موسى وعيسى أيهما أفضل ؟ فقال النصرانى : عيسى كان يحيي الموتى ، وموسى اتى رجلا فوكزه فقضى عليه ، وكان عيسى يتكلم فى المهد وهو صبي ، وموسى بعد أن بلغ الأربعين سنة يقول : واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى .

— ٤٥ —

افتخر بعض الأغنياء عند بعض الحكماء بالآباء والأجداد ، وبزخارف المال المستعار فقال له الحكيم : إن كان فى هذه الأشياء فخر فينبغى أن يكون الفخر لها لا لك ، وإن كان آباؤك كما ذكرت أشرافا ، فالفخر لهم لا لك .

— ٤٦ —

جاء فى العقد الفريد :

قال أبو العيناء : قلت لأحمد ابن أبى داوود . إن قوما تضافروا عليّ ، قال : يد الله فوق أيديهم ، قلت : إنهم عديدون وأنا

واحد ، قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصادقين ، قلت : أنهم أهل مكر وخديعة ، قال : ولايحيق المكر السيء إلا بأهله .

— ٤٧ —

فيه رق :

أرسل عثمان بن عفان مع عبد له كيسا من النقود إلى أبي ذر الغفارى ، وقال : إن قبل هذا فأنت حر . فأتى الغلام بالكيس إلى أبي ذر وألح عليه فلم يقبله ، فقال : إقبله ففيه عتق ، فقال أبو ذر: ولكن فيه رق .

— ٤٨ —

جاء فى كتاب الأمتاع والمؤانسة :

يقال : إن أسنان الرجل اثنتان وثلاثون سنا وأسنان المرأة ثلاثون سنا .

أسنان البقر أربع وعشرون سنا .

وأسنان الشاة إحدى وعشرون سنا .

وأسنان التيس ثلاث وعشرون .

وأسنان العنز تسع عشرة سنا .

الذى ذكر من أصناف الحيوان أنه يكتسب معاشه ليلا : البومة والوطواط . ومن الحيوان الوحشى ما يستأنس سريعا : الفيل .

ويحكى أن الحيوان الذى أسنانه قليلة عمره قصير ، والذى أسنانه كثيرة عمره طويل .

الفيل إذا ولد نبتت أسنانه فى الحال ، فأما أسنانه وأنيابه الكبار فتظهر إذا شب وكبر .

— ٤٩ —

روى أن عزرائيل نزل ليقبض روح نوح عليه السلام ، فرآه نائما تحت عريش ونصف جسمه تحت ظلها ، والآخر فى الشمس ، فأيقظه وقال له : يا نبى الله ! عشت هذا العمر المديد ، ولم تبن لنفسك منزلا تأوى إليه ؟ قال : نعم . ولو عرفت أن العمر قصير لهذه الدرجة لما بنيت هذا العش الحقير .

— ٥٠ —

مأساة عظيم :

كان أبو منصور القاهر ردىء السياسة أهوجا ، صادر جماعة من أمهات أولاد المقتدر ، وصادر أم المقتدر ، فعلقها برجل واحدة

منكسة الرأس وعذبها بصنوف عظيمة من الضرب والإهانة ، واستخرج مائة وثلاثين ألف دينار ، وبقيت بعد ذلك أياما قليلة ، وماتت حزنا على ولدها وما جرى عليها من العذاب، وفى سنة ٣٢٢ خلع القاهر ، وكان سبب ذلك أن وزيره ابن مقلة كان قد استتر خوفا منه ، فكان يغير عليه قلوب الجند ، ويحذرهم منه ، وحسن لهم أن هجموا عليه وخلعوه وسملوه حتى سالت عيناه على خديه ، ثم حبس فى دار السلطنه ، ومكس فى الحبس مدة ، ثم أخرج منه عند تقلب الأحوال ، وكان مرة يحبس ومرة يفرج عنه ، فخرج يوما ووقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس ويقول « ارحموا أيها الناس من كان بالأمس أميركم وأصبح اليوم فقيركم ».

— ٥١ —

قيل :

كان سهل بن هارون بن راهويه فى خدمة المأمون، وكان حكيما فصيحا شاعرا فارسى الأصل ، شيعى المذهب ، شديد التعصب على العرب ، وله مصنفات عديدة فى الأدب وغيره ، وكان الجاحظ يصف براعته وحكمته وشجاعته فى كتبه ، وكان إلى النهاية فى البخل ، وله فيه حكايات عجيبة ، فمن ذلك ما قال دعبل : ويحك ياغلام غدنا . فأتاه بقصعة فيها ديك مطبوخ ، فتأمله ، ثم قال :

أين الرأس يا غلام ؟ قال رميت به . فقال : إنى والله لأمقت من يرمى برجله فكيف برأسه ؟ ولو لم يكن فيه إلا الطيرة والفأل لكرهته . أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء . منه يصرخ الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه عرفه الذى يتبرك به ، وعينه التى يضرب بها المثل فى الصفاء فيقال : شراب كعين الديك ، ودماغه علاج لوجع الكليتين ، ولم ير عظم أهش تحت الأسنان منه ؟ وهب أنك ظننت أنى لا آكله أو ليس العيال كانوا يأكلونه ؟ فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله . أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ؟ أنظر أين هو . فقال : والله ما أدرى أين هو ، ولا أين رميت به ! فقال : رميته فى بطنك قاتلك الله :

— ٥٢ —

حكاية :

كان للحسن بن على العلاف البغدادى الأديب ، هر يأنس به ؛ فكان يدخل أبراج الحمام التى لجيرانه ويأكل فراخها ، فأمسكه أربابها فذبحوه ، فرثاه بقصيدة منها :

يا هــــر فارقتنا ولم تعد وكنت عندى بمنزلة الولد
فكيف تنفك عن هواك وقد كنت لنا عدة من العدد

تطرد عنا الأذى وتحرسنا ... بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفأر من مكامنها ... ما بين مفتوحها إلى السدد
يلقاك فى البيت منهم مدد ... وأنت تلقاهم بـلا مدد
لا ترهب الصيف عندها جرة ... ولا تهاب الشتاء فى الجمد
حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا ... ولم تكن للأذى بمعتقد
وحمت حول الردى لظالمهم ... ومن يحم حول حوضه يرد
وكان قلبى عليك مرتعدا ... وأنت تنساب غير مرتعد
تدخـل برج الحمام متئدا ... وتبلع الفرخ غـير متئد
وتطرح الريش فى الطريق لهم ... وتبلع اللحم بلع مزدرد
أطعمك الغى لحمها فرأى ... قتلك أربابها من الرشـد
حتى إذا داوموك واجتهدوا ... وساعد النصر كيد مجتهد
كادوك دهراً فما وقعت وكم ... أفلت من كيدهم ولم تـكد
فحين أخفرت وانهمكت وكاشفـ ... ـت وأسرفت غير مقتصد
صادوك غيظا عليك وانتقموا ... منك وزادوا ، ومن يصد يصد
ثم شفوا بالحـديد أنفسهم ... منك ولم يرعووا على أحد

ومنها :

فلم تزل للحمام مرتصدا ... حتى سقيت الحمام بالرصد
لم يرحموا صوتك الضعيف كما ... لم ترث منها لصوتها الغرد

— ٤٣ —

أذاقك المــوت ربهن كما أذقت أفراخه يدا بيد
كأن عينى تراك مضطرباً فيه ، وفى فيك رغوة الزبد
فما سمعنا بمثل مـوتك إذ مت، ولا مثل عيشك النكد
يا من لذيذ الفرخ أوقعه ويحك هلا قنعت بالغدد
لا بارك الله فى الطعام إذا كان هلاك النفوس فى المعد
كم دخلت لقمة حشاشره فأخرجت روحه من الجسد

— ٥٣ —

قال يونس بن حبيب النحوى :

لو كنت أقول الشعر ، لما تمنيت أن أقول إلا مثل قول على بن زيد للعبادى :

أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور ..؟

— ٥٤ —

لما عزم المأمون على قتل إبراهيم بن المهدى — وكان مصمما على قتله — شاور فيه أحمد بن أبى خالد الوزير فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن قتلته فلك نظراء ؛ وإن عفوت عنه فما لك نظير » فعفا عنه .

— ٥٥ —

دخل رجل من قبيلة الأزد على سليمان بن عبد الملك متظلماً

— ٤٤ —

وقال : يا أمير المؤمنين ! إن «أبينا» قد هلك وترك «مالا كثير» ، فوثب «أخانا» على مال «أبونا» واامتلكه فقال سليمان : لا رحم الله أباك ، ولا بارك الله فيما ورثت .

— ٥٦ —

كان إبراهيم بن أدهم من أمراء بلخ ، ولكنه ترك الإمارة ، وتعلق بالزهد والتقشف وترك الدنيا ، أما السبب فهذا ما سوف أحكيه لك الآن . يقال : أنه بينما كان مستلقيا على سريره فى إحدى الليالى ، إذا به يسمع وقع أقدام على سطح قصره ، فتعجب ونادى مستفهماً ، من فوق السطح ؟ فأجابه صوت جماعة ، إننا فقدنا بعيرنا وأتينا نبحث عنه هنا فوق قصرك ، فزاد عجبه ودهشته وقال لهم : تفقدون الجمل فى الصحراء ، وتبحثون عنه فوق سطح القصر ؟

فأجابوه : نعم ، كما أنك تريد الوصول إلى الله ، وتبحث عن الطريق إلى ذلك من فوق سرير الإمارة ، فأثر هذا الكلام فى نفسه بحيث ترك القصر لساعته ، وهام يطلب البرارى والقفار بغية أن يصل إلى الحق .

— ٥٧ —

وقيل لابراهيم بن ادهم: لم لا تصاحب الناس؟ قال : إن صاحبت

— ٤٥ —

من هو دونى آذانى بجهله ؛ وإن صاحبت من هو فوقى آذانى بكبريائه ؛ وإن صاحبت من هو مثلى آذانى بحسده .

— ٥٨ —

حكاية :

كان للحكيم ابن سينا تلميذا اسمه « بهمنيار » يعتقد بعظمة أستاذه إلى حد بعيد ، لدرجة أنه طلب من أستاذه إدعاء النبوة ، وذلك حينما كان فى إحدى الليالى فى همذان ، ودار الكلام بينهما حتى الفجر ، وقطع كلامهما صوت المؤذن يقول الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، وكانت ليلة من ليالى الشتاء القارس البرد ؛ فقال ابن سينا لبهمنيار : قم فأحضر لنا ماء نتوضأ ، فقال بهمنيار : أصبر قليلا حتى يطلع النهار فإنى لا أستطيع تحمل برودة المياه التى تكاد تكون متجمدة الآن ؛ ثم ما الذى يدعوك إلى الماء فى مثل هذا البرد القارص ؟ قال بهمنيار هذا الكلام . ولم يكن يدرى أن فيه حلا للنقاش الطويل الذى استمر طوال الليل ، فقد قال له حكيم الإسلام : ياهذا ! إنك تحثنى على إدعاء النبوة . فى حين أنك تتكاسل وتعتذر عن إحضار قليل من الماء لى ، وهذا المؤذن الذى قام من فراشه الدافىء . وخرج من منزله ، واعتلى

المئذنة فى مثل هذا الوقت ، رافعا صوته يكبر ، ويشهد أن محمدا رسول الله . دون أن يراه ، ورغم مرور مئات السنين على ظهور الإسلام . فطالع الفرق بين صاحب الرسالة وبين من يغرر به من أمثالك .

— ٥٩ —

قال ابن المقفع يصف العرب :

إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ، أصحاب ابل وغنم ، وسكان شعر وادم ، يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشىء بعقله ، فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ، أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم ، وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ، فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم .

— ٦٠ —

ويروى ابن المقفع عن بهرام بن خورزاد عن أبيه منوچهر قال : حين خرج الإسكندر إلى ناحية المغرب وبلاد الروم ، وهو الفاتح الغنى عن التعريف ، وكان قد سخر له القبط والبربر والبرانيين ، قاد جيشه من هناك إلى فارس . وحارب جنددارا ، وقد خان دارا

بعض خاصته ، فأعدوا العدة لقطع رأسة ، ثم أحضروا الرأس إلى الإسكندر ؛ فأمر بشنقهم على طريقة الروم فى العقاب ، وبأن يتخذوا مرمى للسهام،وبأن ينادى فى الناس « هذا جزاء من يجرؤ على قتل الملوك » ، فلما ملك الإسكندر إيران ، اجتمع فى حضرته جملة أبناء الملوك ومن بقى من العظماء والسادة والقادة والأشراف ، فأرهبته عظمتهم وجماعتهم ، وتخوف من ذلك ؛ فكتب إلى وزيره ومعلمه ارسطاليس كتابا يستشيره : « أنه بتوفيق الله عز وجل قد بلغنا ايران ، وأريد أن أتوجه إلى الهند والصين ومشرق الأرض وأخشى إن أنا تركت عظماء فارس أحياء أن يثيروا الفتن فى غيبتى ، فيصعب تداركها ، وقد يغيرون على بلاد الروم ويتعرضون لبلادنا ، وأرى أن أقتلهم جميعا ، وأن أمضى فى هذا غير مكترث » فكتب أرسطو هذا مجيباً : من الحقائق أن أمة كل اقليم فى العالم تختص بفضيلة وبزة وشرف ليس لأهل الأقاليم الأخرى حظ منها ، وقد امتاز أهل فارس بالشجاعة والجرأة وفنون القتال ، وهى ركن ركين من أسباب السيادة والتفوق ؛ فإن أنت أهلكتهم ، فإنك ستمحو من العالم أعظم ركن من أركان الفضيلة ، وإذا قضى عظماؤهم ، فإنك لا محالة محتاج إلى إحلال السفلة فى منازلهم ومراتبهم ، وأعلم حقا أن ليس لشر أو بلاء أو فتنة أو وباء، ما لبلوغ السفلة مراتب السادة من أثر سىء».

الحذار ، واصرف همتك عن هذا العزم ، وأقطع بكمال عقلك لسان التهمة الذي هو أبعد أثرا وأشد ألما من السنان الذي يودي بالأرواح لكي لا تمحى الشريعة والسمعة الطيبة نتيجة سوء الظن ، لا عن يقين من أجل المتاع في هذه الحياة الفانية .

فإنما المرء حديث بعده . فكن حديثا حسنا لمن وعى نامه تنسر

— ٦١ —

قال ايليا أبو ماضي :

جئت لا أعلم من أين ولكني .... أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا .... فمشيت

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت .. ؟ كيف أبصرت طريقي .. ؟ لست أدري

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود .... ؟

هل أنا حر طليق أم أسير في قيود .... ؟

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقـــود ...... ؟

أتمنى أنني أدري ولكني لست أدري

— ٦٢ —

قال بعض الحكماء في وصف السماع :

أمهات لذات الدنيا أربع ؛ لذة الطعام ؛ ولذة الشراب ؛ ولذة النكاح ؛ ولذة السماع ، فاللذات الثلاث الأولى لا يتوصل

إلى واحدة منها إلا بحركة وتعب ومشقة ، أما لذة السماع فهى صافية من التعب خالصة من الضرر .

— ٦٣ —

وصف المأمون نديمه فقال :

كان والله أعلى الناس فى الجد ، وأحلاهم فى الهزل ، وكان يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب ، وقال الصاحب يصف نديمه : عشرته ألطف من نسيم الشمال على أديم الماء الزلال .

— ٦٤ —

جاء فى كتاب أدب الدنيا والدين لأبى الحسن البصرى :

تفاءل الوليد بن يزيد الأموى يوما بالقرآن لأمر فى نفسه ، فجاءت الآية « وخاب كل جبار عنيد » فغضب الوليد من ذلك ، ورماه بسهم وهو يقول :

تهـددنى بجبار عنيد ... نعم أنا ذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقنى الوليد

ولم تدم حياته بعد هذه الفعلة إلا قليل .

— ٦٥ —

ونظر الوليد يوما فى المرآة ، فأعجبه شكله ، فقال : أنا الملك

الفتى ؛ وكانت جاريته حباية حاضرة ، فقالت أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ،

غير أن لا بـــقاء للإنسان وكل من عليها فان

— ٦٦ —

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : أن إختر لى رجلا عالما بالحلال والحرام عارفا بأشعار العرب وأخبارها ، أستأنس به ، فاختار له الشعبي ، وكان أجمع أهل زمانه ، قال الشعبي :

فلم أر واليا ولا سوقة إلا وهو محتاج إلى ولا أحتاج إليه ، ما خلا عبد الملك ، فإننى ما تحدثت إليه بشيء ، ولا رويت له شعراً إلى وجدته قد زاد على .

— ٦٧ —

أمثلة :

لدغ الأقارب لم يكن لعداوة . . لـكن للؤم يقتضيه طباعها

لو كل كلب عوى ألقمته حجرا . . لأصبح الطين مثقال بدينار

إن الرجل الذى يعيش بمعزل عن المجتمع . لا يلبث أن يلقيه المجتمع فى سلة المهملات .

— ٥١ —

إندم على ما أسأت ، ولكن لا تندم على معروف صنعت .

وإذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا
ندمت على التفريط فى زمن البذر

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها
تنال إلا على جسر من التعب

الزواج هو المخاطرة الوحيدة التى يقبل عليها الجبان .

ثلاثة لا يمتون إلى القرن العشرين بصلة : موظف لا يرتشى ؛ وأجير يقوم بواجبه ؛ وواعظ يعمل بما يقول .

— ٦٨ —

قال الشافعى :

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالى فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا وشيمتك السماحة والسخاء
يغطى بالسماحة كل عيب وكم عيب يغطيه السخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور ولا بأس عليك ولا رخاء
ولا ترىَ الأعادى قط ذلا فإن شماتة الأعدا بلاء

ولا ترجو السماحة من بخيل فما فى النـار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنى وليس يزيد فى الرزق العناء
إذ ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولـكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء

وقال عروة بن الورد فى الجاهلية ، وكان يقال له : عروة الصعاليك ، لأنه كان يؤويهم ، ويحسن إليهم كثيرا :

ذرينى للغنى أسعى فإنى رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير
ويقصيه الندى وتزدريه حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ولـكن الغنى رب غفور

— ٦٩ —

قال الإمام على بن أبي طالب :

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تجملا
نبابك دهر أو جفاك خليل

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غنى النفس إن قل ماله
ويغنى غنى المال وهو ذليل
ولا خير فى ود أمرىء ، متلون
إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله
وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدهم
ولكنهم فى النائبات قليل

— ٧٠ —

قرع رجل الباب على الحسن البصرى وقال :
يا أبو سعيد ! فلم يجبه ، فقال : يا أبى سعيد ! فقال : قل الثالثة — أى يا أبا سعيد — وادخل .

— ٧١ —

قال على بن أبى طالب يدعو الله من أجل أولاده :
اللهم من على ببقاء ولدى ، وبإصلاحهم لى ، وبامتاعى بهم «

— ٥٤ —

الهى ! أمدد لى فى أعمارهم ، وزد لى فى آجالهم ، وربِّ لى صغيرهم ، وقوى لى ضعيفهم ، وأصلح لى أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم ، وعافهم فى نفسهم وفى جوارحهم وفى كل ما عنيت به من أمرهم ، وأدرر على يدى أرزاقهم ، واجعلهم أبرارا أتقياء بصراء مطيعين لك ، ولأوليائك محبين ، ولجميع أعدائك معاندين ومبغضين ، اللهم أشدد بهم عضدى ، وأقم بهم أودى ، وأكثر بهم عددى ، وزين بهم محضرى ، وأحي بهم ذكرى ، واكفنى بهم فى غيبتى ، وأعنى بهم على حاجتى ، واجعلهم لى محبين ، وعلى حد بين مقبلين ، مستقيمين مطيعين ، غير عاصيين ولا عاقين ، ولا مخالفين ولا خاطئين ، وأعنى على تربيتهم،وتأديبهم وبرهم ، واجعلهم لى عونا على ما سألتك ، وأعذنى وذريتى من الشيطان الرجيم .

— ٧٢ —

يحكى عن حذيفة العدوى أنه قال : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ، ومعى شن فيه ماء ، فقلت : إن وجدت به رمقا سقيته ، وكان فى ذلك العام قد عدم الحاج الماء ، وهلك أكثر الناس من شدة العطش ، فوجد ابن عمه قد أشرف على التلف ، فهم أن يسقية ، فتأوه شاب فى جنبه من شدة العطش ، فقال الرجل لابن عمه : اسق هذا الشاب،فإذا هو هشام بن العاص ؛

قال : فتقدمت إلى الشاب وقلت له اشرب ، فأشار إلى أن اسق هذا الشيخ ، فتقدمت إلى الشيخ ، فقال : ارجع إلى ابن عمك فإنه والله أشد حاجة منا . قال : فرجع إلى ابن عمه ، فوجده قد قضى نحبه ، قال : فجئت إلى الشاب فوجدته قد مات ، قال : فتقدمت إلى الشيخ فوجدته قد احتضر ؛ فآثر كل واحد منهم صاحبه ومات الكل ولم يشربوا .

— ٧٣ —

من نوادر الأصمعي :

أنه قال : مررت فى بعض سكك الكوفة ، فإذا برجل قد خرج من حش ، على كتفه جرة ، وهو يقول :

وأكرم نفسى، إننى إن أهنتها .. وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له : أتكرمها بمثل هذا ؟ قال : نعم ، وأستغنى عن سفلة مثلك ، إذا سألته قال : صنع الله بك وترك : فقلت تراه عرفنى ، فأسرعت فصاح بى : يا أصمعى ، فالتفت . فقال :

لنقل الصخر من قلل الجبال .. أحب إلى من منن الرجال

يقول الناس : كسب فيه عار .. وكل العار فى ذل السؤال

— ٥٦ —

وروى أن الرشيد قال للأصمعى :

ما أحسن ما مر بك فى تقويم اللسان ؟ قال : أوصى رجل بعض بنيه فقال : يا بنى أصلحوا من ألسنتكم فإن الرجل تنوبه النائبة فيتجمل فيها ، فيستعير من أخيه ومن أبيه ومن صديقه ثوبه ، ولا يعيره لسانه فأنشد فى ذلك :

وما حسن الرجال لها بزين إذا لم يسعد الحسن اللسان
كفى بالمرء عيبا أن تراه له وجه وليس له لسان

— ٧٤ —

كان أبو دلامة شاعرا فكها ، عذب الروح ، خفيف الظل ، حاضر البدية حلو الدعابة ، وكان الخلفاء يستطيبون مجلسه وله معهم نوادر طريفة ، ومن جملتها ، أنه دخل على المهدى يوما ، وعنده جماعة من بنى هاشم ، فقال له المهدى : إن لم تهج واحدا من الجالسين ، قطعت لسانك ، أو ضربت عنقك ، فنظر إليه القوم ، وكلما نظر إلى واحد من الجالسين غمزه وحذره .

قال أبو دلامة : فعلمت أنى قد وقعت ، فلم أر أحدا أحق بالهجاء منى ، وليس أدعى إلى السلامة من هجاء نفسى . فقلت :

ألا أبلغ لديك أبا دلامة فلست من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة قلت قردا   وخنزيرا إذا نزع العمامة
جمعت دمامة وجمعت لؤما   كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
فإن تكك قد أصبت نعيم دنيا   فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك الحاضرون ولم يبق منهم أحدا إلا أجازه .

— ٧٥ —

ودخل أبو دلامة على المنصور . فأنشد .

رأيتك في المنام كسوت جلدى   ثيابا جمة وقضيت دينى
فصدق يا فدتك الناس رؤيا   كذلك فى المنام راته عينى

فأمر المنصور بما طلب وقال له : لا تعد تحلم شيئا فى المنام فستكون أضغاث أحلام .

— ٧٦ —

نادرة :

سمع رجل بجمال امرأة ، فأشتاق لرؤيتها ، فأرسل إليها دينار ذهب لترسل إليه صورتها ، فردت السيدة قائلة : أرسل لى دينارين لأحضر إليك بنفسى .

— ٧٧ —

كان الخاقانى وزير المقتدر سىء السيرة ، كثير التولية والعزل ،

قيل : أنه ولى فى يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفه ، وأخذ من كل واحد رشوة ، فانحدروا واحدا واحدا حتى اجتمعوا جميعهم فى بعض الطريق ؛ فقالوا : كيف نصنع : فقال أحدهم : إن أردتم النصفة فينبغى أن ينحدر إلى الكوفة آخرنا عهدا بالوزير فهو الذى ولايته صحيحة لأنه لم يأت بعده أحد، فاتفقوا على ذلك، وعاد الباقون إلى الوزير ففرقهم فى عدة أعمال ، وهجاه الشعراء ، ومما قيل فيه :

وزير لا يمل من الرقاعة　　يولى ثم يعزل بعد ساعة

ويدنى من تعجل منه مال　　ويبعد من توسل بالشفاعة

إذا أهل الرشا ساروا إليه　　فأحظى القوم أوفرهم بضاعة

— ٧٨ —

قيل : أن محمد بن عبد الملك الزيات عمل تنورا من حديد ، ووضع مسامير فى داخله ليعذب به من يريد تعذيبه ، فحدث أن غضب عليه الخليفة فالقاه فيه ، فكان أول من تعذب به فقيل له : ذق ما أحببت أن تذيقه للناس . .

— ٧٩ —

نادرة :

اشترى أعرابى غلاما ، فقال البائع : أبيعكه بعيبه ، فقال الأعرابى : فما فيه ؟ قال : ليس له عيب إلا أنه يبول فى فراشه ،

فقال الأعرابي : ليس هذا بعيب فإن وجد تحته فراشا فليبل فيه .

— ٨٠ —

حدث قاسم الزبيدى بإسناد ذكره عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

من تعشق وتعفف فهو شهيد ، وما أملح قول الحكيم حيث قال فى شعره رواية أخرى عن الرسول فى معنى العشق فقال :

ولقد كنا روينا عن سعيد عن قتادة
عن سعيد بن المسيب وابن سعد بن عباده
قال من مات محبا فله أجر الشهادة

هذا وقد وصف بعضهم العشق بقوله :

هو النظرة بعد النظرة ، والقبلة بعد القبلة .

— ٨١ —

رائحه الأمانى .

جاع ابن عتيق يوما فقال : ياليت لنا لحما فنطبخ سكباجا . وسمعه أحد الجيران ، فأرسل إليه قطعة كبيرة من اللحم ، فقال ابن عتيق لزوجه : هيا اطبخى لنا طعاما شهيا : فإن جيراننا يشمون رائحة الأمانى !!

— ٨٢ —

كان سقراط الحكيم خشن اللباس قليل الأكل ، فكتب إليه بعض أصحابه : أنت تقول أن الرحمة واجبة على كل ذى روح ، وأنت ذو روح ، فلم لا ترحمها ؟ ، فرد عليه يقول : إنما أريد أن آكل لأعيش لا أن أعيش لآكل والسلام .

— ٨٣ —

حذق مملوك :

رفع إنسان رقعة إلى الوزير كمال الدين بن العميد فأعجبه خطها ، فأمسكها وقال لرافعها : أهذا خطك ؟ قال : لا ، ولكن حضرت إلى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لى ، فقال : على به ، فلما حضر وجده مملوكه ، فقال : هذا خطك ؟ قال : نعم ، قال : فهذه طريقتى ، من هو الذى أظهرك عليها ، فقال : يامولانا ! كنت إذا وقعت لأحد على رقعة أخذتها منه ، وسألته المهلة حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة ، فأمر بأن يكتب بين يديه ليراه فكتب :

وما تنفع الآداب والعلم والحجى
وصاحبها عند الكمال يموت

فكان إعجاب الوزير بالاستشهاد أكثر من الخط ، ورفع منزلته بعد ذلك .

— ٨٤ —

قال ابن المقفع :

لايؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ، ولا إلف ، فإن أخوف مايكون الإنسان لحريق النار أقرب ما يكون منها . وكذلك الجاهل ، إن جاورك أنصبك ، وإن ألفك حمل عليك مالا تطيق ، وإن عاشرك آذاك وأخافك . مع أنه عند الجوع سبع ضار ، وعند الشبع ملك فظ ، وعند الموافقة فى الدين قائد إلى جهنم ، فأنت بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأساود ، والحريق المخوف ، والدين الفاوح ، والداء العلياء .

— ٨٥ —

الجود والكرم :

قيل الجود : ما كان بغير سؤال ، والكرم : ماكان بسؤال ويستعل أحدهما مكان الآخر كثيرا :

قال الجاحظ :

من جاد من بعد السؤال فإنه
وهو الجواد يعد فى البخال

— ٨٦ —

دعوة المظلوم لاترد :

قال صلى الله عليه وسلم :

ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام . ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ، ولو بعد حين .

— ٨٧ —

كان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلى ، وقد خرج إلى الوليد بن يزيد ، فوطىء عظما ، فلما بلغ دمشق اشتد عليه الألم ، فاستدعى له الوليد الأطباء ، فأجمع رأيهم على قطع رجله ، وطلبوا منه أن يتناول مرقدا مخدرا ،

فقال : ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى ، فلما قطعت رجـله ، قال : ضعوها بين يدى ، ففعلوا ولم يتوجع ، ثم قال : الحمد لله ! لئن ابتليت فى عضو عوفيت فى أعضاء ، فبينما هو كذلك إذ أتاه خبر ولده ، أنه اطلع من سطح عل دواب الوليد ، فسقط بينها ومات ، فحمد الله قائلا : الحمد لله على كل حال ، اللهم لئن أخذت واحدا فقد أبقيت كثيرا .

— ٦٣ —

وقدم على الوليد بن يزيد وفد من بنى عبس فيهم شيخ ضرير، فسأل الوليد عن حاله، وسبب ذهاب بصره، فقال: خرجت مسافرا ومعى مالى وعيالى، ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى، فبتنا فى بطن واد فطرقنا سيل، فذهب ما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير، فشرد هذا، فوضعت الصبى على الأرض ومضيت لآخذ البعير، فسمعت صيحة الصبى فرجعت إليه، فإذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه، فرجعت إلى البعير، فحطم وجهى برجليه، فذهبت عيناى، فأصبحت بلا بصر ولا مال ولا ولد ولا أهل، فقال الوليد: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن فى الدنيا من هو أعظم مصيبة منه.

— ٨٨ —

من نوادر شعر العرب:

يروى أن بشارا سمع أبا العتاهية يمدح الخليفة المهدى بقوله:

ألا ما لسيدتى مالها ... أدلا فأحمل إدلالها
أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها
ولم تكن تصلح إلا له ... ولم يكن يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها

فسأل من كان معه متعجبا : ويحك ، انظر ؟ ألم يطر الخليفة من عرشه . ؟

— ٨٩ —

في الناس من لا يرتجى نفعه   إلا إذا مس بإضـــرار
كالعود لا يطمع في ريحـه   إلا إذا احترق بالنـار

قال عمر رضى الله عنه :

أريد رجلا إذا كان في القوم وهو أميرهم كان كبعضهم ، وإذا لم يكن أميرهم فكأنه أميرهم .

— ٩٠ —

من أبلغ وألطف الرسائل التي تنسب إلى عبد الحميد الكاتب الرسالة التالية : « حق موصل كتابي إليك كحقه علي ، إذ جعلك موضعا لأمله ورآني أهلا لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فحقق أمله » .

— ٩١ —

في تاريخ ابن خلكان في ترجمة الحاكم العبيدي :
أن الحاكم بأمر الله كان له حمار أشهب يدعى (قمر) يركبه ،

وكان يحب الانفراد والركوب وحده ، فخرج راكبا حماره ليلة الاثنين سابع عشر شوال سنة إحدى عشر وأربعمائة إلى ظاهر مصر ، وطاف ليلته كلها وأصبح متوجها إلى شرقى حلوان ومعه راكبان ، فأعاد أحدهما ، ثم أعاد الآخر ، وبقى الناس يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور . ثم خرج ثانى القعدة جماعة من الموالى والأتراك فامعنوا فى طلبه وفى الدخول فى الجبل ، فرأوا حماره الأشهب الذى كان راكبا عليه وهو على قرنة الجبل ، وقد ضربت يداه ورجلاه بسيف وعليه سرجه ولجامه ، فتبعوا الأثر ، فإذا أثر حمار وأثر راجل خلفه وراجل قدامه ، فقصوا الأثر إلى البركة التى فى شرقى حلوان ، فنزل فيها رجل فوجد فيها ثيابه وهى سبع جباب ، ووجدت مزدورة لم تحل أزرارها ، وفيها آثار السكاكين ، فحملت إلى القصر ، ولم يشكوا فى قتله ، غير أن جماعة من المغالين فى حبهم له السخيفى العقل يدعون حياته ، وأنه سيظهر ، ويحلفون بغيبة الحاكم ، ويقال إن أخته دست عليه من قتله .

— ٩٢ —

قال المتوكل العباس لأبى العيناء :

من أبخل من رأيت ؟ قال : موسى بن عبد الملك بن صالح ،

قال : فما رأيت من بخله ؟ قال : إنه يحرم القريب كما يحرم البعيد ، فيعتذر من الإحسان كما يعتذر من الاساءة .

— ٩٣ —

قيل ليحيي بن خالد بن برمك :

أيها الوزير ! أخبرنا بأحسن ما رأيت فى أيام سعادتك ، قال : ركبت يوما من الأيام فى سفينة أريد التنزه ، فلما خرجت برجلى لأصعد ، وانكأت على لوح من ألواحها ، وكان بأصبعى خاتما ، فضاع من يدى ، وكان ياقوتا أحمر ، قيمته ألف مثقال من ذهب ، فتطيرت من ذلك ، ثم عدت إلى منزلى ، فإذا بالطباخ قد أتى بذلك الفص بعينه وقال : . . أيها الوزير ! لقيت هذا الفص فى بطن سمكة ، وذلك حينما اشتريت سمكا للمطبخ و شققت بطنه ، فرأيت هذا الفص فقلت : لا يصلح هذا إلا للوزير أعزه الله تعالى ، فقلت : الحمد لك ، هذا بلوغ الغاية .

— ٩٤ —

قال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت ببذل المال ، فقال ، بأبى أنتما وأخى ، إن الله عودنى أن يتفضل على ، وعودته أن أتفضل على عبده ، فأخاف

أن أقطع العادة فيقطع عنى عادته .

— ٩٥ —

أخوانيات :

قيل : إن لقمان الحكيم جاب الأرض برها وبحرها ، شرقها وغربها ، سهلها وحزنها ، واستمر فى الحل والترحال أكثر من ثلاثين عاما ، ولما عاد إلى بلده ومسقط رأسه ، قال له الناس : عظم الله أجرك بوفاة والدك وزوجتك وأولادك ، فقال : الله يتوفى الأنفس حين موتها . ثم قالوا له : وعظم الله أجرك بوفاة أخيك ، فأخذ يبكى ويولول ، فقالوا له متعجبين : تبكى على أخيك وتصبر عند علمك بوفاة ولدك وأمك وأبيك وزوجتك ؟ فقال : لأن أبى وأمى كانا قد كبرا ، ونالا حظهما من الحياة ، وزوجتى يمكن استبدالها ، كما يمكن أن يعوضنى الله ولدا من زوجة أخرى ، أما وفاة أخى فإنها خسارة لا تعوض .

— ٩٦ —

قال الحسن بن على :

الاخوان ثلاثة : أخ لك كالغذاء لا تستغنى عنه ، وأخ لك كالدواء يفيدك وقت الضرورة ، وأخ لك كالداء استعذ بالله منه .

— ٩٧ —

قيل لابن المقفع :
الصديق أحب إليك أم القريب ؟
قال : القريب الصديق .

— ٩٨ —

وقال الخليل بن أحمد : الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال .
وقال ميمون بن مهران : صديق لا تنفعك حياته لا يضرك موته.
وقال الإمام جعفر الصادق : حافظ على الصديق ولو فى الحريق ، ثم أنشد بقول :

أن أخا الهيجاء من يسعى معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك
شتت شمل نفسه ليجمعك

وقال محمد بن على بن الحسين الملقب بالإمام الباقر : أيدخل أحدكم يده فى جيب صاحبه ويأخذ حاجته من الدراهم والدنانير ؟ قالوا : لا ، قال : فلستم بإخوان .
وقال قائل :

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور

وقال آخر :

وكنت أخي بإخاء الزمان   فلما نبا صرت حربا عوان
وكنت أذم إليك الزمان   فأصبحت فيك أذم الزمان
وكنت أعدك للنائبات   فها أنا أطلب منك الأمان

وقيل :

واخوان حسبتهم دروعا   فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات   فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا : قد صفت منا قلوب   لقد صدقوا ولكن من ودادى

— ٩٩ —

تهنئة : لعل هذه هى التهنئة الوحيدة فى التاريخ ، التى أرسلت لأرملة بمناسبة وفاة زوجها ، فقد أرسل مجهول إلى مدام روزفلت برقية على أثر وفاته قال فيها : أهنئك بموت رجل السلام . قبل أن يرى مصرع السلام ! »

— ١٠٠ —

خرج رجل على سبيل النزهة فقعد على الجسر ببغداد ، فأقبلت إمرأة من جانب الرصافة متوجهة إلى الجانب الغربى ، فاستقبلها شاب وقال لها : رحم الله على بن الجهم ، فقالت المرأة فى الحال : رحم الله أبا العلاء المعرى ولم يقفا ومرا مشرقا ومغربة . فتبع الرجل

المرأة وقال لها : أخبريني عافاك الله عما قلت له وعما أجابك ، فقالت : نعم ، رحم الله على بن الجهم أراد قوله :

عيون المهابين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت بقولى رحم الله أبا العلاء قوله :

فيا دارها بالحزن إن مزارها قريب
ولكن دون ذلك أهوال

— ١٠١ —

جاء فى كتاب ثمرات الأوراق عن ابن الهيثم أنه قال :

تبارى ثلاثة من أجواد الإسلام ، فقال أحدهم : أسخى الناس فى زماننا هذا عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وقال الآخر : لا بل اسخى الناس عرابة الأوسى ، وقال ثالثهم : إنما هو قيس بن سعد بن عبادة ، وأكثروا الجدال فى ذلك ، وكثر ضجيجهم وهم بفناء الكعبة ، فقال لهم رجل : قد أكثرتم الجدل فى ذلك فما عليكم إلا أن يمضى كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله ، حتى ينظر ما يعطيه ، ونحكم على العيان ، فقام صاحب عبد الله إليه ، فصادفه قد وضع رجله فى غرز ناقته يريد ضيعة له ، فقال : يا ابن عم رسول الله قال : قل ما تشاء ، قال : ابن سبيل

ومنقطع به . قال : فأخرج رجله من غرز الناقة . وقال له : ضع رجلك واستو على الراحلة ، وخذ ما فى الحقيبة ، واحتفظ بسيفك فإنه من سيوف على بن أبى طالب عليه السلام ، قال : فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ، وأعظمها وأجلها السيف ، ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة ، فصادفه نائما فقالت الجارية : هو نائم فما حاجتك ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قالت : حاجتك أهون من إيقاظه ، هذا الكيس فيه سبعمائة دينار ، والله يعلم أن ما فى دار قيس غيرها خذه وأمض إلى معاطن الابل إلى أموال لنا بعلاماتنا ، فخذ راحلة من مراحله وما يصلحها وعبدا ، وامض لشأنك ، وقال : إن قيسا لما تنبه من رقدته ، أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها ؛ ومضى صاحب عرابة الأوسى إليه ، فألقاه قد خرج من منزله يريد الصلاة ، وهو متوكئ على عبدين ، وقد كف بصره ، فقال : ياعرابة ! ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فخلى العبدين ، وصفق بيمناه على يسراه : فقال : أواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا ، ولكن خذهما . يعنى العبدين قال : ما كنت بالذى أقص جناحيك ، قال : إن لم تأخذهما فهما حران . فإن شئت تأخذ ، وإن شئت تعتق ، وأقبل يلتمس الحائط بيده راجعا إلى منزله ، قال : فأخذهما وجاء بهما . فتبين أنهم أجود

عصرهم ، إلى أنهم حكموا لعرابة لأنه أعطى جهده أى جاد بكل ما عنده لأن الجود هو بذل الموجود .

— ١٠٢ —

قالوا :

مر سليمان بن عبد الملك بجماعة من المجذومين ، فى طريق مكة ، فأمر بإحراقهم ، وقال : لو كان الله يريد بهؤلاء خيرا لما ابتلاهم بهذا الداء .

وخطب معاويه أم الدرداء . فقالت : قال أبو الدرداء : ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرأة لآخر زوجها . فلست متزوجة بعد أبى الدرداء حتى ألحق به فى الجنة .

— ١٠٣ —

جاء فى كتاب النسوة عن عائشة رضى الله عنها قالت : اجتمع إحدى عشر من النساء فى مجلس واحد وتعاقدن وتعاهدن على أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً إلا ويذكرنه بعبارة وجيزة :

فقالت الأولى : زوجى لحم جمل غث على جبل (تريد بذلك أنه خفيف اللحم كالجمل الهزيل يصعب الانسجام معه والتحدث

إليه والأنس به) .

وقالت الثانية : زوجى لا أبث خبره ولا أذكر أثره (تريد بذلك أن تفصيل حالة زوجها لكثرة ما فيه من طباع مختلفة وصفات متناقضة غير مستطاع .)

قالت الثالثة : زوجى . إذا نطقت طلقنى . وإذا سكت علقنى (قصدت بذلك أنها إذا طلبت منه شيئا يهددها بالطلاق وإذا سكتت عن الطلب تركها وأهملها) .

قالت الرابعة : زوجى كليل تهامة لا حر فيه ولا قر ولا سآمة. (تريد بذلك أن زوجها هو المثل الكامل فى الاعتدال فى أعماله وأفعاله إذ يشبه ليالى تهامـــه التى لا يشعر النائم فيها بالملل والحر والبرد) .

قالت الخامسة : زوجى إذا دخل فهد وإذا خرج أسد ولا يسأل عما عهد . (تقصد أنه إذا كان داخل البيت يميل إلى الدعة والراحة والنوم كالفهد وإذا خرج هابه الناس مهابتهم الأسد . وأنه كريم سموح بحيث أنه لا يسأل عن شىء عهده فى البيت ولم يجده) .

قالت السادسة : إن زوجى إذا أكل لف وإن شرب شف

وإن اضطجع كف (تريد أن زوجها يأكل ما فى البيت من طعام ولا يبقى مافيه من شراب ويكف نفسه عن ملامستها .)

قالت السابعة : إن زوجى أياب غياب تعنى أنه كثير البحث عن العيوب يذم الناس فى الغيبة والشهود .)

قالت الثامنة : زوجى ألمس أريح أرنب تقصد : (أنه لطيف الروح كريم الخلق حسن العشرة بعيد عن الشهوات .)

قالت التاسعة : إن زوجى رفيع العماد طويل النجاد كثير الرماد قريب الناد : (تقصد أنه ذو نسب رفيع ويتقلد سيفاذا حمائل طويلة لطول قامتة وعظيم شجاعته كثير الرماد لكثرة ضيوفه والواردين عليه قريب الناد لقرب مجلسه من مسكنه ليكون ما فى البيت سهل احضاره على خدامه .)

قالت العاشرة : إن زوجى مالك وما ملك (تعنى أنه رغم ملكه لكل شىء فإنه يعيش كالفقراء الذين لا يملكون أى شىء

قالت الحادية عشر : إن زوجى يزرع ولا يحصد (تعنى أنه يعمل المعروف فى غير أهله ولا ينال على معروفه نصيبا .

— ١٠٤ —

وليمة الأشعث :

كان الأشعث بن قيس بن معدى كرب الكندى ارتد فى جملة

أهل الردة ، فلما أتى به لأبى بكر رضى الله عنه أسيرا استتابه وأطلقه وزوجه أخته أم فروة بنت أبى قحافة ، فأصبح صبيحة البناء بها ، وخرج شاهرا سيفه فلم يلق ذات أربع مما يؤكل لحمه إلا عقرها .فقال الناس : هذا الأشعث قد ارتد ثانية ، ثم أنه قال : يا أهل المدينة ! إنا والله لو كنا ببلادنا لأولمنا ، فاجتزروا من هذه اللحمان ، وتصادقوا فى الأثمان ، فلم يبق دار من دور المدينة إلا دخلها من تلك اللحوم ، ولم يرى يوم أشبه بيوم الأضحى من ذلك ، فضرب أهل المدينة المثل بوليمة الأشعث فقالوا : وليمة الأشعث ، وأولم من الأشعث .

— ١٠٥ —

يروى أن أعرابيا لقى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله :

أأنت الذى تقول عنك قريش إنك كذاب ؟ فقال الرسول الصادق الأمين : نعم !

فقال الأعرابى :

ليس هذا الوجه وجه كذاب ، ثم آمن بالله ورسوله .

— ١٠٦ —

جاء فى مقدمة الشيخ محمد عبده على كتاب نهج البلاغة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب ، قال :

حكى أبو حامد محمد بن محمد الاسفراييني الفقيه الشافعي قال : كنت يوما عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة ، فدخل عليه الرضى أبو الحسن ، فأعظمه وأجل مكانه ورفع من منزلته وخلى ما كان بيده من القصص والرقاع ، وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف ؛ ثم دخل بعد ذلك أبو القاسم أخو الشريف الرضى ، فلم يعظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك الإكرام، وتشاغل عنه برقاع يقرؤها ، فجلس قليلا ، ثم سأله أمرا فقضاه ثم انصرف ، قال أبو حامد : فقلت : أصلح الله الوزير ، هذا المرتضى وهو الفقيه المتكلم صاحب الفنون ، وهو الأمثل والأفضل منهما، وإنما أبو الحسن شاعر اقال : فقال لى : إذا انصرف الناس وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة ، قال : وكنت مجمعا على الإنصراف فعرض من الأمر مالم يكن في الحساب ، فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس حتى تقوض الناس . وبعد أن انصرف عنه أكثر غلمانه ، ولم يبق عنده غيرى ، قال لخادم له : هات الكتابين اللذين دفعتهما إلى منذ أيام وأمرتك بوضعهما فى السفط الفلانى . فأحضرهما ، فقال : هذا كتاب الرضى ، اتصل بى أنه قد ولد له ولد فأنفذت إليه ألف دينار ، وقلت : هذا للقابلة ، فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء إلى ذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال . فردها وكتب إلى هذا الكتاب

فاقرأه ، فقرأته ، فإذا هو اعتذار عن الرد ، وفى جملته : « إننا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا ، ولسن ممن يأخذن أجرة ، ولا يقبلن صلة » قال : فهذا هذا ، وأما المرتضى ؛ فإنا كنا وزعنا وقسطنا على الأملاك ببعض النواحى تقسيطاً نصرفه فى حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكا للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهما ثمنها دينار واحد ، وقد كتب منذ أيام فى هذا المعنى هذا الكتاب فاقرأه ؛ وهو أكثر من مائة سطر ، يتضمن من الخشوع والخضوع ، والاستمالة والهز . والطلب والسؤال فى إسقاط هذه الدراهم المذكورة ما يطول شرحه ، قال فخر الملك : فأيها ترى أولى بالتعظيم والتبجيل : هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذى لم يشهر إلا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ فقلت : وفق الله سيدنا الوزير ، والله ما وضع الأمر إلا فى موضعه ، ولا أحله إلا فى محله .

— ١٠٧ —

روى أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب [الأغانى الكبير] ، قال : كانت الشراة والمسلمون فى حرب المهلب وقطرى يتواقفون

ويتساءلون بينهم عن أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون ، لا يهيج بعضهم بعضا ، فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليشكرى ، وأبو حزابة التميمى ، فقال عبيدة : يا أبا حزابة ، إنى أسألك عن أشياء أفتصدقنى عنها فى الجواب؟ قال : نعم ؟ إن ضمنت لى مثل ذلك ، قال : قد فعلت ، قال : فسل عما بدالك ،قال : ماتقولون فى أئمتكم؟ قال يبيحون الدم الحرام ، قال : ويحك ! فكيف فعلهم فى المال ؟ قال يجبونه من غير حله ، وينفقونه فى غير وجهه ، قال : فكيف فعلهم فى اليتيم ؟ قال : يظلمونه ماله ، ويمنعونه من حقه ويفعلون بأمه قال : ويحك ياأباحزابة! أمثل هؤلاء تتبع ! قال : قد أجبتك فاسمع سؤالى ، ودع عتابى عن رأيى ، قال : سل ، قال : أى الخمر أطيب ، خمر السهل ، أم خمر الجبل ؟ قال : ويحك ! أمثلى يسأل عن هذا ؟ قال : قد أوجبت على نفسك أن تجيب ، قال : أما إذا أبيت : فإن خمر الجبل أقوى وأسكر ، وخمر السهل أحسن وأسلس ، قال : فأى الزوانى أفره؟ أزوانى رامهرمز أم زوانى أرجان ؟ قال : ويحك إن مثلى لا يسأل عن هذا قال : لا بد من الجواب أو تغدر ؟ . قال : أما إذا أبيت فزوانى رامهرمز أرق أبشاراً ، وزوانى أرجان أحسن أبدانا ، قال : فأى الرجلين أشعر ، جرير أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ، قال : لابد أن تجيب ، قال : أيهما الذى يقول :

وطوى الطراد مع القياد بطونها
على التجار بحضرموت برودا ؟

قال : جرير ، قال : فهو أشعرهما .

— ١١١ —

قال أبو الفرج : وقد كان الناس تجادلوا فى أمر جرير والفرزدق فى عسكر المهلب ؛ حتى تواثبوا ، وصاروا إليه محكمين له فى ذلك ، فقال أتريدوا أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين ! فيمضغانى ! ما كنت حكم بينهما ؛ ولكنى أدلكم على من يحكم بينهما ، ثم يهون عليه سبابهما ؛ عليكم بالشراة فاسألوهم إذا توافقتم ، فلما توافقوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك ، فأجابه الجواب ذلك .

— ١١٢ —

المغول فى بغداد :

فى يوم الجمعة التاسع من صفر دخل هولاكوخان المدينة لمشاهدة قصر الخليفة ، وجلس فى الميمنة واحتفل بالأمراء ، ثم أشار بإحضار الخليفة ، وقال له : « إنك مضيف ونحن الضيوف ! ... فهيا أحضر ما يليق بنا » . فظن الخليفة أن هذا الكلام على سبيل الحقيقة ، وكان يرتعد من الخوف ، وبلغ من دهشته

أنه لم يعد يعرف مكان مفاتيح الخزائن ، فأمر بكسر عدة أقفال ، وأحضر لهولاكو ألفى ثوب وعشرة آلاف دينار ونفائس ومرصعات وعددا من الجواهر ، فلم يلتفت هولاكوخان إليها وعددا من الجواهر . يلتفت هولاكوخان إليها ومنحها كلها للأمراء والحاضرين ثم قال للخليفة :

« إن الأموال التى تملكها على وجه الأرض ظاهرة ، وهى ملك عبيدنا لكن أذكر ما تملكه من الدفائن ما هى وأين توجد » ؟ فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب فى ساحة القصر ، فحفروا الأرض حتى وجدوه ، وكان مليئاً بالذهب الأحمر ، وكان كله سبائك تزن الواحدة مائة مثقال .

بعد ذلك صدر الأمر بإحصاء نساء الخليفة ، فعدوا سبعمائة زوجة وسرية وألف خادمة ، فلما اطلع الخليفة على تعداد نسائه . تضرع وقال : من على بأهل حرمى اللائى لم تطلع عليهن الشمس والقمر » . فقال له هولاكو : « اختر مائة من هذه النساء السبعمائة ، واترك الباقى » . فأخرج الخليفة معه مائة امرأة من أقاربه ، والمحببات إليه . ثم رجع هولاكوخان إلى المعسكر ليلا وفى الصباح أمر بأن يسير سونجاق إلى المدينة ، وأن يجرد أموال الخليفة ، ويخرجها ، وقصارى القول أن كل ما كان الخلفاء

قد جمعوه خلال خمسة قرون وضعه المغول بعضه على بعض فكان كجبل على جبل وقد احترق أكثر الاماكن المقدسة فى المدينة مثل جامع الخليفة ومشهد موسى الجواد عليه الرحمة وقبور الخلفاء .

وأخيرا أوفد سكان المدينة ، شرف الدين المراغى ، و « شهاب الدين الزنجانى » و « الملك دل راست » إلى هولاكو وطلبوا الأمان ، فصدر الأمر بالتوقف من بعد ذلك عن القتل والنهب ، لأن بغداد أصبحت ملكا لنا فاليستقر الأهالى ، ولينصرف كل شخص إلى عمله . وبهذا وجد الأمان أولئك الذين نجوا من السيف .

ويئس الخليفة من انقاذ حياته ، واستأذن فى أن يذهب إلى الحمام ليجدد اغتساله . فأمر هولاكوخان بأن يذهب مع خمسة من المغول . ولكن الخليفة قال : « أنا لا أريد أن أذهب بصحبة خمسة من الزبانية » ، وكان ينشد بيتين أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها :

وأصبحنا لنا دار كجنات وفردوس

وأمسينا بلا دار كأن لم نغن بالأمس

وفى مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ قضوا

على الخليفة وعلى ابنه الأكبر ، وخمسة من الخدم كانوا فى خدمته فى قرية، وقف ، وفى اليوم التالى قتلوا الذين كانوا قد نزلوا معه فى بوابة كلواذى . كذلك قضوا على كل شخص وجدوه حيا من العباسيين اللهم إلا أفرادا قلائل لم يأبهوا بهم ، وقد سلم مباركشاه الابن الأصغر للخليفة إلى « أولجاى خاتون » فأرسلته إلى مراغة ليكون مع الخواجة نصير الدين ، ثم زوجوه من امرأة مغولية ، فأنجب منها ولدين .

وفى يوم الجمعة السادس عشر من صفر ألحقوا الابن الثانى للخليفة ، بوالده وأخيه ، وبذلك قضى على دولة خلفاء آل العباس الذين حكموا بعد بنى أميه وكانت مدة خلافتهم خمسا وعشرين وخمسمائة سنة وعددهم سبعة وثلاثون خليفة .

(جامع التواريخ)

— ١٠٩ —

سمع على عليه السلام رجلا يغتاب آخر عند ابنه الحسن . فقال : يا بنى ! نزه سمعك عنه فإنه نظر إلى أخبث مافى وعائه فأفرغه فى وعائك .

— ١١٠ —

قال خالد بن الوليد لأهل الحيرة :

أخرجوا إلى رجلا من عقلائكم ، فأخرجوا له عبد المسيح ابن عمرو الغسانى وهو الذى بنى قصر الحيرة ، وقد بلغ ارزل العمر . فكان عمره خمسين وثلثمائة سنة ، فأراد خالد أن يداعبه ليعرف مدى تعقله ، فقال له . من أين أتيت ؟ قال : من صلب أبى ، قال : أين كنت ؟ قال : فى بطن أمى ، قال : فعلام أنت الآن ؟ ، قال : على الأرض ، قال : فيم أنت الآن ؟ . قال : فى ثيابى قال : ابن كم أنت ؟ قال ابن رجل واحد ، قال : كم أتى عليك من الدهر ؟ قال : لو أتى على شيء لقتلنى ، قال : كم سن لك الآن ، قال : كانت لى أكثر من ثلاثين سنا ولم يبق الآن شيئا منها ، قال : ما أردت ذلك ، بل أردت أن أعرف ، كم سنة مرت عليك فى هذه الدنيا ؟ قال : خمسون وثلثمائة ، قال : أعرب أنتم أم نبط ؟ قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا ، قال : أحرب أنتم أم سلم ؟ قال : سلم ، قال : ماذا أدركت فى هذا الأمد الطويل من العمر ؟ قال : أدركت ـ وكان البارحة ـ سفن البحر ترد إلينا فى هذا الجرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها على رأسها ولا تتزود إلا رغيفاً واحدا فلا تزال تسير فى قرى مخصبة متواترة حتى تصل الشام ، وقد أصبحت اليوم خراباً يبابا كما ترى .   (عن البيان والتبيين بتصرف)

— ١١١ —

قال الحجاج لمربى أولاده ،

علمهم السباحة قبل الكتابة فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم .

قال أبو عقيل بن درست :

رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر ، فقلت : بأى شيء كنت اليوم ؟ قال · فى تعلم ماليس ينسى وليس لحيوان منه غنى قلت وما ذاك ؟ قال : السباحة .

كتب عمر رضى الله عنه إلى الأمصار :

علموا أولادكم السباحة والفروسية وما سار من المثل وما حسن من الشعر وقال ابن التوأم :

علم ابنك الحساب قبل الكتاب فإن الحساب أكسب من الكتاب .

— ١١٢ —

بعث أحد الشعراء برقعة إلى أمير من الأمراء يقول : « رأيت فى النوم أنى راكب فرسا ، ولى وصيف وفى كفى دنانير ، فوقع الأمير تحتها أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين .

— ١١٣ —

رأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له . فقال : هذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا ! قال : رحمك الله يا بن أخى . ما فقدنا إلا الفضول .

— ١١٤ —

قيل لجندى :

لم لا تخرج إلى الغزو ، فقال : والله لا أعرف منهم أحد ولا يعرفوننى فمن أين وقعت العداوة بينى وبينهم ؟

وقيل لمجوسى :

ما تفسير (إنا لله وإنا إليه راجعون) فقال : لا أعرف تفسيره ولكن أعلم يقينا أن لا يقال فى دعوة ولا فى عرس ولا فى مجلس أنس .

— ١١٥ —

حضر أبو العيناء مائدة فقدمت فالوذجة قليلة الحلاوة . قال : عملت هذه الفالوذجة قبل أن أوحى إلى النحل .

— ١١٦ —

قال الحجاج لرجل من الخوارج يريد قتله :

ما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال : لعنه

ولعنك معه ، قال :كيف تلقى الله ؟ قال : ألقاه بعملى وتلقاة بدمى .

— ١١٧ —

أشرف أبو الدرداء على أهل دمشق ، فقال : يا أهل دمشق ، تبنون مالا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لاتدركون ! أين من كان قبلكم ؟ بنوا شديداً ، وأملو بعيدا ، وجمعوا كثيراً ، فأصبحت مساكنهم قبوراً ، وجمعهم بوراً وأملهم غروراً .

— ١١٨ —

كانت امرأة مزيد حبلى فنظرت إلى وجهه فقالت : الويل لى أن يشبهك ما فى بطنى . فقال : الويل لى إذا لم يشبهنى .

— ١١٩ —

وقالت امرأة لزوجها : ياديوث يامفلس . فقال : الحمد لله ليس لى ذنب ، فالأول منك ، والثانى من الله

— ١٢٠ —

جاء فى أخبار معن بن زائدة :

أن أعرابياً وفد عليه وقال له : احملنى أيها الأمير ، فأمر له

بناقة وفرس وبغلة وحمار ، ثم قال : لو علمت يا هذا أن هناك مركوبا آخر لأمرت بإعطائه لك . فقال الأعرابى : فالبسنى إذا يا أمير ! فأمر له بعباءة ورداء وجبة وخباء وقميص وجلباب وسروال وعمامة وقلنسوة وجرب وحذاء وخف ، وقال له : لو كان هناك مليوس آخر لأمرت لك به .

— ١٢١ —

من أحسن ما قيل فى الربيع هـــذه الأبيات : [لصفى الدين الحلى] .

جاء الربيع فرحبا بوروده

وبنور بهجته ونور وروده

ويحسن منظره وطيب نسيمه وأنيق ملبسه ووشى بروده

فصل إذا افتخر الزمان فإنه إنسان مقلته وبيت قصيده

— ١٢٢ —

مثل فى أكاذيب الأقدمين

قال الأصمعى : قال الخليل بن سهل ، أنه سمع أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعاً من حديد مصمت ، فى غلظ الراقود أى العمود الغليظ المتين ، فسمع بذلك أعرابى وقال : نعم إنه

لـكذلك ، وإنى سمعت بأن رستم واسفنديار سمعاً بخبر لقمان بن عاد ، فاشتاقا للقائه ، فذهبا إلى البادية ، وإذا به قد قام ورأسه فى حجر أمه ، فقالا لأمه : سمعنا بخبر أبنك ، وعظم جسمه ، وطول قامته ، فأتينا لنرى ذلك بأم أعيننا ؛ فرفع رأسه غضباً ، فنفخهما ، وألقاهما فى أصفهان فماتاً من شدة الصدمة ، وقبرهما هناك .

— ١٢٣ —

إدعى رجل مالا على رجل عند الحاكم ، واشتكى من مما طلته فى دفع الدين ، فقال المدين : ياحضرة الحاكم ! أمهلنى حتى أبيع دارى وحانوتى وأسدد له الدين ، فقال المدعى : والله ياحضرة الحاكم إنه لـكاذب ولا يملك فلساً واحداً يصرفه لشربة ماء ؛ فقال المدين : الحمد لله الذى أنطقك بهذا الإقرار ، إذن ، فقل له ياحضره الحاكم : هذا مفلس ، والمفلس فى أمان الله .

— ١٢٤ —

حكاية :

رأى هارون الرشيد رؤيا على تلك الجملة : إذ تخيل أن جميع أسنانه سقطت من فمه ، فدعا معبراً فى الصباح ، وسأله عن تعبير تلك الرؤيا ؛ فقال المعبر : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! جميـع

أقربائك يموتون قبلك بحيث لا يبقى أحد بعدك ، فأمر هارون بأن يضربوا المعبر مائة عصا ، قائلا : يا كذا وكذا واجهتنى بهذا الكلام المؤلم لهذا الحد ! إذا مات أقربائى جميعاً فمع من أكون حينئذ ؟ وأمر بإحضار معبر آخر ، وقص الرؤيا ثانيا ، فقال المعبر : يستدل بهذه الرؤيا التى رآها أمير المؤمنين على أن حياة مولانا ستكون أطول من حياة أقربائه جميعاً ! فقال هارون : [هذا فى طريق واحد] لم يخرج التعبير عن ذلك ، ولكن بين العبارة والعبارة فرق كبير ، وأعطى لهذا الرجل مائه دينار .

— ١٢٥ —

قال الإمام الكاظم موسى بن جعفر لابن يقطين :

إضمن لى واحدة أضمن لك ثلاث ، إضمن لى أن تراعى حق كل مظلوم فى دار الخلافة ، أضمن لك : ألا يصيبك حد سيف ، ولا يظلك سقف سجن ، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً .

— ١٢٦ —

ولى أعرابى بعض النواحى ، فجمع اليهود فى عمله وسألهم عن المسيح فقالوا : قتلناه وصلبناه ، فقال : فهل أديتم ديته ؟ قالوا : لا ، قال : فوالله لا تخرجون أو تؤدوها ، فلم يبرحوا حتى أدوها .

— ١٢٧ —

حدث سفيان قال : سمعت الخليل بن أحمد يقول : إن أردت أن تعلم العلم لنفسك ، فاجمع من كل شيء شيئاً ، وإذا أردت أن تكون رأساً فى العلم فعليك بطريق واحد ، ولذلك قال الشعبى : غلبت كل ذى فنون ، وغلبنى ذو فن واحد .

— ١٢٨ —

قيل :

لا يجتمع فحلان فى أجمة .

— ١٢٩ —

قال الكندى :

من لم يكن يومه الذى هو فيه
أفضل من أمسه ودون غده
فالموت خير له وأروح من
حياة سوء تفت فى عضده

— ١٣٠ —

موت الحجاج :

ذكر أنه أخذه السل وهجره الرقاد ، فلما احتضر قال لمنجم

عنده : هل ترى ملكاً يموت ؟ قال : أرى ملكاً يموت اسمه كليب ، فقال : أنا والله الكليب ، بذلك سمتنى أمى ، قال المنجم : أنت والله تموت ، كذلك دلت عليه النجوم ، قال الحجاج : لأقدمنك أمامى ، فأمر . . فضرب عنقه ، ومات الحجاج فى ولاية الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وقد بلغ من السن ثلاثاً وخمسين سنة ، وولى الحجاز والعراق عشرين سنة ؛ وكان قد قتل من الأشراف والرؤساء المذكورين مائة ألف ، وعشرين ألفاً صبراً سوى عوام الناس ومن قتل فى معارك الحروب وكان قد مات فى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة ، ومات قبل موته ابنه محمد بن الحجاج وأخوه محمد بن يوسف فى ليلة واحدة فقيل فى ذلك :

فى ليلتين وساعتين دفن الأمير محمدين

فلما مات الحجاج قالت امرأته هند بنت أسماء :

ألا أيها الجسد المسجى لقد قرت بمصرعك العيون
وكنت قرين شيطان رجيم فلما مت سلمك القرين

— ١٣١ —

لخص حكيم أسرار الجمال إلى ثلاثة ثلاثه :

١ — بياض فى ثلاثة : الجلد ، الأسنان ، اليدان

٢ ــ احمرار فى ثلاثة : الشفتين ، الخدين ، الأظافر

٣ ــ طول فى ثلاثة : القامة ، الشعر ، اليدين

٤ ــ قصر فى ثلاثة : الأذنين ، الأسنان ، الساقان

٥ ــ سعة فى ثلاثة : الصدر ، الذراعان ، عضلة الساق

٦ ــ صغر فى ثلاثة : الخصر ، القدمان ، اليدان

٧ ــ رقه فى ثلاثة : الأصابع ، الشعر ، الكفل

— ١٣٢ —

قال السيوطى :

علامة حسن الخلق عشرة أشياء : قلة الخلاف ؛ وحسن الانصاف ؛ وحب الائتلاف ، والتغاضى عن العثرات ؛ وقبول المعذرة ، واحتمال الأذى ، ولطف الكلام ، وبشاشة الوجه ، وصفاء القلب ، ووفاء الوعد .

— ١٣٣ —

قال سعيد بن العاص :

أرحب بصاحبي إذا دنا ، أوسع له إذا جلس ، أصغى إليه إذا تحدث .

— ١٣٤ —

قال جعفر الصادق عليه السلام :

قال انو شروان ، لا يكون العمران حيث لا يعدل السلطان .

وكان لرجل بقرة وكان يخلط لبنها بالماء ويبيعه للناس ، فجاء السيل فى واد حينما كانت قطعانه ترعى فأغرقها ، وصار الرجل يبكى عليها ، فقال له أولاده : يا أبانا لا تحزن فإن المياه التى كنا نخلطها بلبنها إجتمعت وصارت سيلا فأغرقتها .

— ١٣٥ —

يحكى أن بخيلا كان له مال كثير ، ولشده حرصه عليه اشترى سبائكا من الذهب ودفنها فى موضع من الأرض لا يعرفه سواه ، واستمر كل يوم يذهب . إلى ذلك المكان ليتفقدها ويتأكد من وجودها ، فيتمتع بالنظر إليها ، فشعر به أحد اللصوص ، فذهب على حين غفلة منه إلى ذلك الموضع ، وأخذ الذهب وانصرف ، ولما جاء البخيل كعادته ولم يجد معشوقه وقع مغشيا عليه ، ثم صاح باكيا ، فاجتمع حوله خلق كثير فقال له أحدهم : لا تحزن وخذ هذه الأحجار وضعها فى موضع تلك السبائك وأحضر لزيارتها كل يوم كما كنت تفعل ، فإن الذهب والحجر إذا كنزته وأخفيته يكونان سواء .

ابن سينا : بلغت الفلسفة الإسلامية أوجها عند الشيخ الرئيس أبي على الحسين بن عبد الله ابن سينا [٣٧٠ — ٤١٨ هـ —] — ٩٨٠ — ١٠٣٦] ، فهو الذى ألف فيها التآليف الغزيرة فى كل فرع من فروعها . ولم تتقدم من بعده تقدما يذكر ، بل كان معظم الفلاسفة شراحا لكتبه مثل الرازى والطوسى ، وفى الوقت نفسه أصبحت الفلسفة ممثلة فى شخصه حتى أضحى هدفا لسهام الطاعنين عليها حين يراد الشر .

وإذا كان الكندى عربيا ، فقد كان ابن سينا فارسيا مما يدل على النزعة العالمية للحضارة الإسلامية ، والفضل فى ذلك يرجع إلى دينها وهو الإسلام وإلى لغتها وهى العربية . وكما ازدان بلاط المعتصم بالكندى ومصنفاته ، فقد تألقت دولة بنى بويه فى فارس بالشيخ الرئيس . وكان القدماء يكتفون بقولهم الشيخ ليفهم أن المقصود ابن سينا . وقد أراد السلطان محمود الغزنوى أن يجتذب ابن سينا إلى بلاطه ، ولكنه رفض وآثر البقاء فى فارس وكان ابن سينا بعد أن ترك بخارى قد اتجه إلى بلاط على بن العباس فى خوارزم ، حيث لقى هناك عدة من العلماء والحكماء منهم أبو الريحان البيرونى وهو فى مكانه أبى معشر فى علم النجوم ، وأبو الخير الخمار

— ٩٥ —

ثالث بقراط وجالينوس فى الطب ، وكان ابن سيناوأبو سهل المسيحى خليفين لأرسطو فى علم الحكمة ، وفى ذلك يقول نظامى عروضى سمرقندى فى كتابه (چهار مقالة) : « وكانت هذه الطائفة فى القصر غنية عن أمور الدنيا ، وكان بعضهم أنس لبعض بالمحاورة وطيب العيش بالمكاتبة . ثم إن السلطان محمود الغزنوى أرسل يطلبهم إلى مجلسة ليشرف بهم ، ويفيد من علومهم ، فلم يقبل ابن سينا وهرب إلى جرجان عند الأمير قابوس » .

وللشيخ الرئيس قصائد تصدر حكمته وفلسفته ، ومن أشهرها قصيدته فى النفس التى مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع   ورقاء ذات تدلل وتمنع

يشير بذلك إلى انفصال النفس عن البدن ، وخلودها فإنها نزلت لتسكن هذا البدن .

— ١٣٧ —

زعموا أن رجلا نجا من خوف فيل هائج إلى بئر ، فتدلى فيها ، وتعلق بغصنين كانا على سمائها ، فوقعت رجلاه على شىء فى طىء البئر ، فإذا حيات أربع قد أخرجن رءوسهن من أحجارهن ؛ ثم نظر فإذا فى قاع البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه ، فرفع بصره إلى الغصنين ، فإذا فى أصلهما جرزان أسود وأبيض وهما

يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران ، فبينما هو فى النظر لأمره والاهتمام لنفسه إذ أبصر قريبا منه كوارة فيها عسل نحل ، فذاق العسل فشغلته حلاوته ، وألهته لذته عن الفكرة فى شيء من أمره ، وأن يلتمس الخلاص لنفسه . فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط فى فم التنين فهلك ، فهكذا المرء بالنسبة إلى الدنيا .

— ١٣٨ —

قال على عليه السلام فى وصف الإنسان :

أوله نطفة قذرة ، وآخرة جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة .

— ١٣٩ —

يقول المتنبى :

وللنفس أخلاق تدل على الفتى　　أكان سخاء ما أتى أو تساخيا

— ١٤٠ —

ذكر الخطيب فى بعض مصنفاته ، أن الرشيد دخل يوما وقت الظهر إلى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها ، فوجدها تغتسل ، فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئاً ، فأعجبه

منها ذلك الفعل واستحسنه ، ثم عاد إلى مجلسه وقال لأبى نواس وبشار: ليقل كل منكما أبياتا توافق ما فى نفسى ، فأنشأ بشار يقول:

تحببتكم والقلب صار إليكم   بنفسى ذاك المنزل المتحبب

إلى أن يقول :

وقالوا تجنبنا وقرب بيننا   وكيف وأنتم حاجتى أتجنب ؟
على أنهم أحلى من الشهد عندنا   وأعذب من ماء الحياة وأطيب

فقال الخليفة : أحسنت ، ولكن ما أصبت ما فى نفسى ، فقل أنت يا أبا نواس . فجعل يقول :

نضت عنها القميص لصب ماء   فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت   بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها   إلى ماء معد فى إناء
فلما أن قضت وطراً وهبت   على عجل لتأخذ بالرداء
رأت شخص الرقيب على اقتراب   فأسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل   فظل الماء يجرى فوق ماء
فسبحان الإله وقد براها   كأحسن ماتكون من النساء

فقال الرشيد : سيفا ونطعا ياغلام ! قال أبو نواس : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أمعنا كنت ؟ قال : لا والله ولكن شىء خطر ببالى ، فأمر له بأربعة آلاف درهم !.

— ١٤١ —

حكاية

يحكى أنه كان بمدينة الرى خياط له دكان فى بوابة الجبانة ، وقد علق كوزاً فى مسمار ، وكان له شغف بأن يلقى حصاة فى ذلك الكوز كلما خرجت جنازة من البوابة ، ويحصيها كل شهر قائلا : إنه قد مات فى هذا الشهر كذا شخصاً ، ويفرغ الكوز ويلقى به الحصى ثانياً إلى الشهر التالى ، حتى انقضى على ذلك زمن ، ومات ذلك الخياط ، فجاء رجل فى طلبه ، ولم يكن يدرى أنه مات ، فلما رأى باب الدكان مغلقاً سأل جيرانه أن أين الخياط ؟ فقال الجار : إن الخياط وقع فى الكوز أيضاً .

— ١٤٢ —

قال : بزرجمهر الحكيم :

من كبر أدبه عظم شرفه وإن كان وضيعاً . وبعد صوته وإن كان خاملا ، وساد وإن كان غريباً ، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً .

وقال شاعر :

العبقرية والنبوغ لكل ذى نفس كبيرة

لا يبلغ الآمال من كانت له نفس صغيرة

— ١٤٣ —

حكم :

لا داء أعيا من الجهل .

من سل سيف البغى قتل به .

إذا أحب الله عبداً ابتلاه .

— ١٤٤ —

نادرة :

قال القاضى للرجل : لماذا لم ترد المحفظة التى عثرت عليها وعرفت صاحبها ؟ فقال الرجل : لأنى يا حضرة القاضى عثرت عليها فى ساعة متأخرة من الليل ، فآثرت تسليمها فى اليوم التالى حتى لا أزعجه وأسلبه راحته ، فقال القاضى : طيب ولماذا لم تردها فى اليوم التالى ؟ فقال المتهم : آسف يا حضرة القاضى ، لأنه لم يبق فيها ولا مليم واحد فخجلت أن أردها خالية .

— ١٤٥ —

فى الحماسة :

سواى يخاف الموت أو يرهب الردى

وغيرى يهوى أن يعيش مخلداً

وقيل :

لا فقر أكثر من فقر بلا أدب

ليس اليسار بجمع المال والنشب

العقاد

— ١٤٦ —

وقال أبو سليمان الخطابي :

إرض للناس جميعاً مثل ما ترض لنفسك

إنما الناس جميعاً كلهم أبناء جنسك

فلهم نفس كنفسك ولهم حس كحسك

— ١٤٧ —

سمع الناس صراخاً عالياً من بيت جحا فلما تبينوه علموا أن زوجته تصرخ وتقول : الحمد لله ، الحمد لله فقالوا ولم : قالت : أحمد الله لأن الريح قد ألقت بقميص جحا من السطح فى الطريق ولم يكن جحا فيه .

— ١٤٨ —

جاء فى كتاب بدائع الزهور الحكاية التالية :

ومن العجائب أن أهل قريتين قتلوا بالسيف عن آخرهم

بسبب قطرة من عسل ، وسبب ذلك أن رجلا نحالا فى قرية أخذ ظرفاً من العسل ليبيعه فى قرية أخرى ، فجاء إلى زيات وفتح الظرف ليريه العسل فسقطت قطرة منه فانقض عليها زنبور فخطفته قطة ، فخطف القطة كلبه ، وكانت القطة للزيات والكلب للعسال فلما رأى الزيات أن الكلب افترس القطة ضرب الكلب فقتله ، فلما رأى العسال أن كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله ، فلما رأى ولد الزيات أن أباه قتل ضرب العسال فقتله ، فلما سمع أهل القرية بقتل الرجلين لبسوا حرابهم ولا زالوا يقتتلون حتى فنوا تحت السيف عن آخرهم ، وكان السبب قطرة من عسل كما قيل .
ومعظم النار من مستصغر الشرر .

قال الشاعر :

وعين البغض تبرز كل عيب
وعين الحب لا تجد العيوبا

— ١٤٩ —

قال الأبشيهى :

كان المعتصم أشجع بنى العباس وأقواهم جسماً ، ضربه بعض

الخوارج برمح فنفصم الرمح ولم يتأثر جسمه ، وكان يشد يده على وجه الدينار فيمحو الكتابة منه ، ويأخذ عمود الحديد ويلويه ويلفه على يده أو يجعله طوقاً لعنق شخص ما .

وكان يعرف بالمثمن لأنه كان ثامن الخلفاء وعاش ثمان وأربعين سنة ، وكانت خلافته ثمان سنوات وثمانى أشهر وثمانى أيام ، وأنه هو الذى سلط الأتراك على الخلافه ، وفتح بجهله وسوء عمله باب الفتنة على الخلافة والخلفاء ، فلم يدم بعد ذلك للخلافة شأن وللخلفاء عز .

— ١٥٠ —

فتح بغداد على يد المغول :

فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من المحرم هدم المغول برج العجمى وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين . وحيث كان يقف هولاكو ، تسلق جنود المغول السور عنوة ، وظهروا أعالى الأسوار من الجند ، لكنهم لم يتسلقوا الأسوار من ناحية سوق السلطان . كذلك لم يذهب أتباعهم ، وفى المساء تسلم المغول جميع الأسوار الشرقية .

بعد ذلك أمر هولاكو خان بأن يقيموا جسرا فى أعلى

بغداد ، وآخر فى اسفلها وأن يعدوا السفن ، وينصبوا المجانيق ، وكان بوقا تيمور قد رابط مع عشرة آلاف جندى على طريق المدائن والبصرة ، ليصد كل من يحاول الهرب بالسفن ، ولما حمى وطيس الحرب فى بغداد ، وضاق الحال على الأهالى ، أراد الدواتدار أن يركب سفينة ، وأن يهرب إلى ناحية « سيب » ولكنه بعد أن إجتاز قرية « العقاب » أطلق جند بوقاتيمور حجارة المنجنيق والسهام وقوارير النفط واستولوا على ثلاثة سفن ، وأهلكوا من فيها ، وعاد الدواتدار منهزما .

فلما وقف الخليفة على تلك الحال ، يئس نهائياً من الاحتفاظ ببغداد ، ولم ير أمامه مفراً ولا مهرباً قط ، فقال .

« سأسلم وساطيع » ثم أرسل فخر الدين الدامغانى وابن درنوش ، مع قليل من التحف إلى هولاكو ، زاعماً أنه لو بعث بالكثير ، لكان ذلك دليلا على خوفه فيتجرأ العدو ، فلم يلتفت هولاكو إلى هذه الهدايا . وعادا محرومين وفى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من المحرم خرج من بغداد للقاء هولاكو صاحب الديوان وجماعة من العظماء مع أبى الفضل ، وقد حملوا أموالا

كثيرة ، فلم تقبل منهم أيضاً . وفى غد ذلك اليوم ، آخر المحرم خرج ابن الخليفة الأكبر ومعه الوزير وجماعة من المقربين للشفاعة فلم يجدوا فائده وعادوا إلى المدينة . وقد بعث الخواجة نصير الدين وايتيمور برسالة إلى الخليفة ، فخرجا فى صحبة رسل بغداد فى غرة صفر ، وأرسل فخر الدين الدامغانى الذى كان صاحب الديوان ، وابن الجوزى وابن درنوش إلى المدينة ليخرجوا منها سليمان شاه والدواتدار ، ومنحهم فرمانا وبايزه تطمينا لهم وتقوية لموقفهم وقال : « إن الرأى للخليفه ، فله أن يخرج أولا يخرج ، وسيكون جيش المغول مقيما على الأسوار إلى أن يخرج سليمان شاه والدواتدار . وفى يوم الخميس غرة صفر خرج الرجلان ، فأعادهما مرة ثانية إلى المدينة ليخرجا أتباعهما حتى ينضموا إلى قوات مصر والشام وعزم جند بغداد على الخروج معهم ، وكانوا خلقا لا يحصى مؤملين أن يجدوا الخلاص ، فقسموهم ألوفا ومئات وعشرات جميعاً .

أما من بقى فى بغداد فقد هربو إلى الأنفاق ومواقد الحمامات ، ثم خرج جماعة من أعيان المدينة وطلبوا الأمان قائلين : إن أناساً كثيرين طائعون خاضعون فليمهلوا ، لأن الخليفة سيرسل أبناءه ، ويخرج بنفسه أيضاً وفى تلك الأثناء أصاب سهم عين « هندو

— ١٠٥ —

البيتكجى ، وكان من أكابر الأمراء ، فتملك هولاكو خان .
غضب عظيم وجد فى الاستيلاء على بغداد ، وأمر الخواجة نصير
الدين بأن يقوم على بوابة الحلبة أمانا للناس ، فشرع الأهالى
يخرجون من المدينة وفى يوم الجمعة الثانى من صفر قتل الدواتدار
وجىء بسليمان شاه مع سبعمائة من أقاربه فأمر هولاكو بقتله مع
كافة أتباعه وأشياعه . وبعد أن رأى الخليفة المستعصم أن الأمر
قد خرج من يده ، استدعى الوزير وسأله : « ما تدبير أمرنا » ؟
فأنشد الوزير هذا البيت .

يظنون أن الأمر سهل وإنما   هو السيف حدت للقاء مضاربه

ثم بدأ القتل العام والنهب فى يوم الأربعاء السابع من صفر
فاندفع الجند مرة واحدة إلى بغداد . وأخذوا يحرقون الأخضر
واليابس ما عدا قليلا من منازل الرعاة ، وبعض الغرباء .

— ١٥١ —

يروى أن :

عمر بن هبيرة عندما عين واليا على العراق أحضر الحسن
البصرى ، رعامرا الشعبى ، وجرت بينهم المناقشة التالية .

قال ابن هبيرة : أصلحكما الله ، إن أمير المؤمنين يزيد

بن عبد الملك يكتب إلى كتبا أعرف فى تنفيذها الهلكة ، فأخاف إن اطعته غضب الله ، وإن لم أطعه لم آمن سطوته فما تريان ؟

قال الحسن البصرى : [موجها كلامه إلى الشعبى] :

يا أبا عمرو أجب الأمير ، فأجاب الشعبي ورقق القول للأمير وانحط فى هوى الحكام ، ولكن ابن هبيرة لا يستشفى دون أن يسمع قول الحسن .

قال ابن هبيرة : قل يا أبا سعيد .

قال الحسن : أو ليس قد قال الشعبى !

قال ابن هبيرة : فما تقول أنت ؟

قال الحسن : أقول والله إنه يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ ، لا يعص ما أمره الله ، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك . فلا يغنى عنك ابن عبد الملك شيئا ، وإنى لأرجو أن الله عز وجل يعصمك من يزيد ، وإن يزيد لا يعصمك من الله ، فاتق الله أيها الأمير ، فإنك لا تأمن أن ينظرك الله وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد نظرة يمقتك بها فيغلق عليك باب الرحمة ، وأعلم أنى أخوفك ما خوفك الله سبحانه وتعالى ، حين يقول : « ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد »

وإذا كنت مع الله عز وجل كفاك بوائق يزيد ، وإذا كنت مع يزيد على معصيه الله وكلك إلى يزيد ، حيث لا يغنى عنك شيئا .

— ١٥٢ —

قيل أن أبا ثمامة أكرم عباءة لرجل وهو سكران ، ولما صحا من سكره فى الصباح ندم على ما فعل ، وراح إلى الرجل واسترد منه العباءة وقال معتذراً : يا أخى إنى أرتكبت بإكرامى العباءة لك عملا غير جائز عند الشرع وذلك لأن الفقهاء لم يجيزوا هبة السكران وبيعه وشرائه وطلاقه .

— ١٥٣ —

قالوا :

سئل أعرابى من بنى أسد : من أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية . فقيل له : وأين تسكن منها ؟ قال : مساقط الحمى ، حمى ، ضرية [بئر بأرض نجد] بأرض لعمر والله ما نريد بها بدلا ولا نبغى عنها حولا ، قد نفحتها الغدوات ، وحفتها الفلوات ، فلا يملولح ماؤها ولا يحمى ترابها ، ولا يمغر جنابها - أى يقل نباتها - ليس فيها أذى ولا قذى ولا موم ولا حمى ، فنحن بأرفه عيش وأرتع نعمة . فقيل له : فما طعامكم فيها ؟ قال : بخ بخ عيشنا والله

عيش يطلّ جاذبه . وطعامنا والله أطيب طعام وأهنئوه وأمرؤه : الهبيد - الحنظل - والضباب واليرابيع والقنافذ والحيات ، وربما والله آكلنا القد - جلد السخلة - وكانوا يأكلونه فى الجدب - واشتوينا الجلد فلم نعلم أحداً أخصب مناعيشا ، فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من الدعة ، أو سمعت قول قائلنا ، وكان والله عالما بلذيذ العيش .

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة
وخمس تميرات صغار كوانز
فنحن ملوك الأرض خصبا ونعمة
ونحن أسود الغاب عند الهزاهز
وكم متمن عيشنا لاينـاله
ولو ناله أضحى به جد فائز

الشجاعة والجرأة والإقدام :

الشجاعة والجرأة مترادفان عند اللغويين ، وهو خلاف اصطلاح الحكماء . فعندهم : أن الجرأة اقتحام المهالك مطلقاً : وأما الشجاعة فلا تكون إلا عن روية . وقال الرازى : الشجاعة مركبة من الإقدام والعقل ، وعلى هذا فليس فى الأسد شجاعة ، كما اشتهر على الألسنة ، فإذا شبه الإنسان بالأسد ، فالوجه إنما هو

الإقدام لا الشجاعة . والمتنبي يسوى بين الشجاعة والإقدام فيجردها من العقل ، ولهذا يقول :

الرأى قبل شجاعة الشجعان　　هو أول وهى المحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة　　بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه　　بالرأى قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم　　أدنى إلى شرف من الإنسان

— ١٥٤ —

قالوا :

نفس الشجاع والجبان سواء فيما يدهمهما عند الوهلة الأولى ، ثم يختلفان : فالجبان يركب نفرته ، والشجاع يدفعها فيثبت ، ومن ذلك قول عمر بن [معد يكرب] :

فجاشت إلى النفس أول مرة　　فردت على مكروهها فاستقرت

— ١٥٥ —

سأل الخليفة عمر بن الخطاب رجلا : ما اسمك ؟ قال : بحر قال : من أى القبائل ؟ قال : من آل فياض ، قال : وما كنيتك ؟ قال : أبو الندى ، فقال له : ياهذا : لا على إلا أن أحصل على سفينة وأركب عليها لأراك .

— ١٥٦ —

من نوادر العرب :

أنه دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميم الوجه فقال له معاوية ، لقد اجتمعت فيك المساوىء يا شريك لأنك دميم والجميل خير من الدميم ، وإسمك شريك وما لله شريك ، وأن أباك الأعور والصحيح خير من الأعور فعجبا كيف سدت قومك ؟ فابتدره شريك قائلا : أما حالك يا معاوية فهى أعجب منى ، فقال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك معاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وإنك بن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وأنك ابن حرب ، والسلم خير من الحرب وإنك لابن أميه ، وما أمية إلا أمة صغرت فاحتقرت .

— ١٥٧ —

بعث قيصر الروم رسولا إلى الخليفة عمر ابن الخطاب يحمل معه بعض الهدايا . منها قلادة مرصعة أهداها لزوجة الخليفة ، وكانت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، ولما عاد الرسول ، طالب الخليفة بالقلادة من أم كلثوم ، قالت : إنها هدية لشخصى ، قال : لا ، إنها هدية لزوجة الخليفة ، وما يملك الخليفة خاص ببيت مال المسلمين ، فشكت أم كلثوم ذلك إلى أبيها . فقضى الإمام بينهما على

أن تقوم القلادة ، فتأخذها أم كلثوم وتدفع ثمنها إلى بيت المال .

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« بالصبر يتوقع الفرج ، ومن يدمن قرع الأبواب يلج »

— ١٥٨ —

كان الخليل السلولي أحد مشاهير البخلاء يقول لعياله :

لا تلقوا نوى التمر والبلح ، وتعودوا ابتلاعه ، وعودوا حلوقكم بتسويغه ، فإن النوى يعقد الشحم في البطن ، واعتبروا ذلك ببطون الحيوانات التي تأكل هـــذا النوى ، فإنها أقوى الحيوانات وأمتنها ، ويا حبذا لو تعلمتم أكل النوى والبذر ، وقضم العلف والشعير واللفت ، فإن الإعتياد عليها يهيئ الآدمي لذة لا يعرفها إلا هو ، وتعدله ذخيرة لا ينافسه عليها أبناء جنسه ، فيكون منعها أيام القحط والغلاء ، محصل لما أكله بجهد قليل وتعب يسير ، وكان يقول : كلوا البقول والخضروات بقشرها ، فإنها تقول : من أكلنا بقشورنا فقد أكلنا ، ومن لم يأكلنا بقشورنا فنحن أكلناه .

قال الشاعر :

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير جامعه

— ١١٢ —

قال على عليه السلام :

« إذا حلت التقادير ضلت التدابير . »

— ١٥٩ —

سأل حكيم غلاما معه سراج ، من أين يأتى نور السراج ؟ فقال له الغلام : إن قلت لى إلى أين يذهب نور السراج بعد أن ينطفىء أخبرتك من أين يأتى نور السراج قبل أن يضىء ،

— ١٦٠ —

وحكى أن بهرام الملك الفارسى خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه ، فرأى صيدا ، فتتبعه طامعا فى لحاقه ، حتى بعد عن عسكره ، فنظر إلى راع تحت شجرة ، فنزل عن فرسه يبول ، وقال للراعى : إحفظ على فرسى حتى أبول ، فعمد الراعى إلى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا ، فاستغفل بهرام ، وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه . فرفع بهرام نظره فرآه ، فغض بصره ، وأطرق برأسه إلى الأرض ، وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته . ثم قام بهرام ، فوضع يده على عينيه ، وقال للراعى : قدم إلى فرسى ، فإنه قد دخل فى عينى

من سافى الريح فلا أقدر على فتحها ، فقدمه إليه فركب ، وسار إلى أن وصل إلى عسكره ، فقال لصاحب مراكبه : إن أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحداً .

[مثال] :

من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه .

— ١٦١ —

مر سائل بقوم فقال : انى جوعان ، فكذبوه ، فقال لهم : جربونى بخمسة أرغفة ، وعشرين بيضة ، ورطلين من اللحم .

— ١٦٢ —

من محاسن الأخلاق ما حكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال : كنت نائماً ذات ليلة عند المأمون فعطش ، فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه ، وأنا نائم فينغص على نومى ، فرأيته قد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء ، وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحوا من ثلثمائة خطوة ، فأخذ منها كوزا ، فشرب ، ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا

عليه لخطا خطوات خائفاً لئلا ينتهى حتى صار إلى فراشه .

قال أبو سعيد السكرى :

وذكرنى حلو الزمان وطيبه
مجالس قوم عليسون المجالساً
حديثاً وأشعاراً وفقها وحكمة
وبرا ومعروفا وإلفا مؤانسا

[حكمة] :

من لم يتعظ بغيره وعظ الله به وغيره .

— ١٦٣ —

كتب مروان بن محمد الجعدى آخر خلفاء بنى أمية إلى عامل له كان قد أهدى إليه غلاما أسود يقول : لو علمت أن عددا أقل من الواحد ، ولونا شرا من السواد لأهديته إلى والسلام .

— ١٦٤ —

وحكى أن أحمقين اصطحبا فى طريق . فقال أحدهما : تعال

— ١١٥ —

نتمن على الله فإن الطريق تقطع بالحديث ، فقال أحدهما : أنا أتمنى قطائع غنم انتفع بلبنها ولحمها وصوفها ، وقال الآخر : أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها فى غنمك حتى لاتترك منها شيئاً ، قال ، أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة ، فتصايحا ، واشتدت الخصومة بينهما ، حتى تماسكا بالأطواق ، ثم تراضيا على أن أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما ، فطلع شيخ بحمار عليه ذقان من عسل ، فحدثاه ، بحديثهما ، فنزل بالزقين ، وفتحهما حتى سال العسل على التراب ، ثم قال : صب الله دمى مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين .

[أمثلة] :

الإحسان إلى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء .

— ١٦٥ —

سمعت أن الصاحب إسماعيل ابن عباد كان يأكل مرة مع خواصه ، فرفع رجل لقمة من الإناء ، وكان فى اللقمة شعرة لم يرها الرجل ، فقال الصاحب : يا فلان ! أخرج تلك الشعرة من

اللقمة ، فوضع الرجل اللقمة من يده وقام وهم بالذهاب ، فأمر الصاحب أن يأتوا به ، وسأله قائلا : أى فلان ! لم قمت عن سماطنا نصف شبعان ؟ فقال الرجل : لا ينبغى لى أن آكل طعام من يرى الشعرة فى لقمتى ، فخجل الصاحب .

— ١٦٦ —

كان يزيد بن معاوية كلفا بالصيد ، لا يزال لاهيا به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلاجل المنسوجة منه ، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه ، قيل : إن عبيد الله بن زياد أخذ من بعض أهل الكوفة أربعمائة ألف دينار وجعلها فى بيت المال ، فقصد يزيد يشكو له الأمر ، وضرب خيمه ظاهر المدينة ، وأقام ينتظر عودة يزيد من الصيد ، فبينما هو كذلك لم يشعر إلا بكلبة قد دخلت عليه ، وفى قوائمها أساور الذهب ، وعليها جلجل يساوى مبلغاً كبيراً ، وقد كادت تموت عطشاً ، فقام إليها وقدم لها ماء وما شعر إلا بشاب حسن الصورة على فرس جميل وعليه زى الملوك فقال له : أرأيت كلبة عابرة بهذا الموضع ؟ فقال : نعم يامولانا وحكى له تعبها وعطشها ، فلما سمع يزيد كلامه نزل ودخل الخيمة وجذب حبل الكلبة ليخرج فشكا له الرجل حاله فكتب له برد ماله وخلعه سنية وأخذ الكلبه وخرج .

— ١٦٧ —

يقطعه عن السؤال :

كان الحجاج كثيرا ما يسأل القراء ، فقال يوما لبعضهم : ما قبل قوله تعالى « أمن هو قانت » ؟ فقال له الرجل : « قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار »
فلم يسأل الحجاج أحدا بعدها .

— ١٦٨ —

صاد أعرابى سنوار ، ولم يكن يعرفه أو رآه من قبل فقابله رجل وقال مازحا : ما هذا السنور ؟ ولقيه آخر فقال : ما هذا القط ؟ ولقيه آخر فقال : ما هذا الهر ؟ ولقيه آخر فقال : ما هذا الضيون ؟ ثم لقيه آخر فقال : ما هذا الجندع ؟ ثم لقيه آخر وقال : ما هذا الزنم ، فقال الأعرابى فى نفسه : أحمله فأبيعه فيجعل الله منه لى مالا كثيراً ، فلما أتى السوق قالوا له : بكم هذا ؟ قال : بمائتى درهم . قالوا : إنه لايساوى أكثر من نصف درهم ، لمن أراد أن يشتريه ، فرماه على الأرض وقال : ما أكثر أسماءك وأقل ثمنك .

— ١٦٩ —

سأل أحد الحمق :

رحمك الله يا أبا عبيدة ما هو « العنجيد » ؟ فقال : ما أعرف هذا ، قال : ياسبحان الله ، ألم تذكر قول الأعشى :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد . . تليغ تزينه الأطواق

وسأله آخر : ما معنى «أودع» ؟ قال سبحان الله أليست فى ما قالوا « عاملهم » « أودع » قال سبحان الله هذه أو دع أى أو « إترك »

وسأله آخر : هل كان كوفا من المهاجرين أم من الأنصار ؟ فقال : سبحان الله ألم تقرأ (والهدى معكوفا) وجرى ذلك كله فى يوم . وحدا بمسجد البصرة ، فأخذ ، أبو عبيدة يصرخ ويقول : « هل حشرت اليوم على البهائم يا رباه ؟ »

— ١٧٠ —

(مما يحكى) أن أحمد بن المدبر ، كان إذا مدحه شاعر ولم يرض عن شعره ، قال لغلامه : أذهب به إلى المسجد ولا تفارقه حتى يصلى ، مائة ركعة ، فتحاماه الشعراء إلا المجيدين منهم ، فجاءه الحسين بن عبد الله البصرى واستأذنه فى النشيد ، فقال له : أعرفت الشرط ؟ قال : نعم ، وأنشد :

— ١٦٩ —

أردنا فى أبى حسن مديحا　　　كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طرا　　　ومن كفية دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدح ولكن　　　جوائزه على المدح الصلاة
فقلت لهم وما تغنى صلاتى　　　عيالى إنما تغنى الزكاة
فيأمر لى بكسو العار منها　　　لعلى أن تنشطنى الصلاة
فتصلح لى على هذا حياتى　　　وتصلح لى على هذا مماتى

فضحك واستظرفه وأمر له بمائة دينار .

— ١٧١ —

بالملح تصلح ما تخشى تغيره
فكيف بالملح إن حلت به الغير
ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت
بلادى . حياتى للبلاد ومالى
« شوقى »

— ١٧٢ —

ومما قيل فى ذكر أسباب قضاء الحاجات قول أبى فارس اللغوى :

— ١٢٠ —

إذا كنت في حاجة مرسلا
وأنت بهـا كلف مغرم
فأرسل حكيما ولا توصه
والحـكيم هو الدرهم

— ١٧٣ —

جاء في كتاب البدء والتاريخ أنه :

لما استقام العراق لعبد الملك بن مروان ، قال عبد الملك بن عمير الليثي : دخلت قصر الإمارة بالكوفة ، وعبد الملك بن مروان قاعد في الإيوان على سريره ، وبين يديه ترس وعليه رأس مصعب بن الزبير ، فتبسمت ، فقال : مم تبسمت ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ! أتيت عبيد الله بن زياد في هذا الإيوان بين يديه رأس الحسين بن علي ؛ ثم رأيت المختار وبين يديه رأس عبيد الله بن زياد في هذا الإيوان ؛ ثم أتيت مصعب بن الزبير في هذا الإيوان وبين يديه رأس المختار بن أبي عبيد ؛ ثم أراك وبين يديك رأس مصعب ؛ فقام عبد الملك فزعا ، وأمر بهدم الإيوان . فهدم .

— ١٧٤ —

من شعر أبي العلاء فى معنى التصوف قوله :

أرى جيل التصوف شر جيل
فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه
كلوا أكل البهائم وارقصوا لى ؟

— ١٧٥ —

قيل لمحمد بن على بن أبى طالب المشهور بابن الحنفية :
ما بال أبوك أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقحمك فى الحروب دون أخويك الحسن والحسين قال لأنهما كانا عينيه وكنت أنا يديه ، فكان يبق عينيه بيديه .

— ١٧٦ —

زعموا أن ناسكا اشترى عريضاً ضخما ليجعله قربانا ، فانطلق به يقوده ، فبصر به قوم من المكرة ، فائتمروا بينهم أن يأخذوه من الناسك ، فعرض له أحدهم فقال له : أيها الناسك ! ما هذا الكلب الذى معك ؟ ثم عرض له الآخر فقال لصاحبه :

— ١٢٢ —

ما هذا ناسك ، لأن الناسك لا يقود كلبا ، فلم يزالوا مع الناسك على هـذا ومثله حتى لم يشك أن الذى يقوده كلب ، وأن الذى باعه إياه سحر عينيه ، فأطلقه من يده ، فأخذه الجماعة المحتالون ومضوا به .

— ١٧٧ —

قال ابن الرومى معاتباً :

يا أخى أين ربع ذاك اللقاء أين ما كان بيننا من صفاء
أين مصداق شاهد كان يحكى أنك المخلص الصديق الإخاء

— ١٧٨ —

قال القزوينى :

دخل على هشام بن عبد الملك رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عن أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك ، قال : وما هى ؟ قال : لا تعد عدة لا تثق فى نفسك بانجازها ، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا ، وإذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن الأعمال جزاء ، فاتق العواقب ، وإن للأمور بغتات فكن على حذر .

— ١٧٩ —

قال الحجاج لعامله حينما ولاه أصفهان :

لقد وليتك يا هذا بلدة وافرة الخيرات ، كثيرة البركات ، ترابها ذهب ، وجوها مزيل للتعب ، مورث للطرب ، ماؤها من تسنيم ، هواؤها نسيم ، عيشها نعيم ، رجالها فطنة ، نساؤها فتنة .

شعر :

وكم من أكلة منعت أخاها   بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشيء   وفيه هلاكه لو كان يدرى

قال كسرى :

النبيذ صابون الهم ، وقال جالينوس : الراح صديق الروح وكيمياء الفرح ومزيل الترح .

— ١٨٠ —

قيل :

أن رجلا دفع رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ

— ١٢٤ —

مال يتيم ، وكان مالا كثيراً ، فكتب الصاحب على ظهر رقعته : النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والساعى لعنه الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

— ١٨١ —

خاف لقيط الأيادى الذى ذهب ليتجسس ، أخبار كسرى حينما كان قد بعث جيشاً من أساورة الفرس ومعهم مالك بن الحارث لمحاربة القبائل التى كان هو من حلفائهم واسترجاع ماسلبته قبيلة أياد من الفرس ، فكتب إلى حلفائه :

كتاب فى الصحيفة من لقيط
إلى من بالجزيرة من أياد
فإن الليث كسرى قد أتاهم
فلا يحبسكم سرق النقاد

أمنية :

ولما نزلنا منزلا طله الندى ... أنيقا ، وبستاناً من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه ... منى فتمنينا فكنت الأمانيا

— ١٨٢ —

قال أشعب :

جاءتنى جارية بدينار ، وقالت : هذا وديعة عندك فحملته بين طيات الفراش ، ولما جاءت بعد أيام تقول : بأبى أنت ، هات الدينار . قلت : ارفعى الفراش وخذى ولده ، فذهبت ووجدت بجانب الدينار درهما ، فأخذته ثم عادت بعد أيام لتودع دينارها ، فلما جاءت ، قلت : خذى ولده ، فأخذت درهما آخر ، ثم عادت وأخذت ثالثاً ، ثم عادت فى المرة الرابعة وما أن رأيتها حتى بكيت ، قالت ويحك ما يبكيك ؟ قلت : مات دينارك فى النفاس ، قالت : أللدينار نفاس ؟ قلت لها . أتصدقين أنه يلد ثم لا تصدقين فى النفاس ؟

— ١٨٣ —

حلم الوليد بن عتبة :

قال ابن عباس : ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبى سفيان والياً على المدينة ، فوالله ما ترك فقيرا إلا أغناه ، ولا مديوناً إلا أدى عنه دينه ، ولقد شهدت منه مشهداً لا أنساه أبدا ، تغدينا يوماً عنده ، فأقبل الغلام بصحفه ، فعثر فى وسادة ، فوقعت الصحفة

— ١٢٦ —

من يده وأنكب جميع ما فيها على ذقن الوليد وثيابه ، فبقى الغلام واقفاً مرتعداً ما معه من روحه إلا ما يقيم به رجليه ، فقام الوليد ، فدخل البيت وغير ثيابه ، فعاد إلينا وأسارير وجهه تبرق هشاشة ، فأقبل على الغلام وقال : يا بائس ، ما أرانا إلا روعناك . إذهب فأنت حر وأولادك أحرار لوجه الله .

— ١٨٤ —

أشفق أحد الأثرياء المعروفين بالبخل على أعرابى ، وأعطاه عباءة قديمة بالية ، وبعد أيام ، رآه يرتديها وقد كتب عليها « لا إله إلا الله » فقال للأعرابى جميل أن تكتب هذه العبارة ، ولكن لماذا نسيت أن تكتب « محمد رسول الله » ؟ فقال الأعرابى : لأن عباءتك ياسيدى أعدت قبل ظهور الإسلام

— ١٨٥ —

المآذن المتحركة :

من أطرف الآثار وأعجبها ، وأكثرها امتيازاً وحباً من السواح والزوار ، أثر يقع على بعد ٦ كيلو مترات من مدينة أصفهان بناء مرتفع ومزدحم دوما بالسياح ، وبوابة البناء تحتوى

— ١٢٧ —

على ثلاثة عقود ، وفى الداخل ردهة كبيرة وقبر دفن فيه « عمو عبد الله » ، ويرجع عهد هذا البناء إلى القرن الرابع عشر م ، وحجر المقبرة يدل على عام ١٣٣٨ . والميزة العامة لهذا البناء هى وجود مئذنتين قائمتين على أطراف البناء ، أضيفتا إليه من ٢٠٠ أو ٨٥٠ عاما .

وقصة حركة المئذنتين ، أنه يكفى لأى كان أن يضغط على إحداهما حتى تهتز الأخرى ، ويظهر على وجوه السياح استغراباً ودهشة ، دعى إلى شهرة هذا البناء ورغم كل التوفيقات الفنية والعلمية التى أجريت لفهم أسرار تحرك المئذنتين فإنه لم يزل حتى الآن غامضاً ومجهولا .

— ١٨٦ —

ذكر ابن الجوزى أن رجلا قال : يارسول الله ! إن لى جاراً يؤذينى ، قال عليه الصلاة والسلام : إنطلق فأخرج متاعك إلى الطريق ، قال : فانطلق فأخرج متاعه ، فاجتمع الناس إليه ، فقالوا له : ما شأنك ؟ قال : لى جار يؤذينى ، فجعل الناس يقولون : « اللهم ألعنه ، اللهم اخذه ، فبلغه ذلك فأتاه ، وقال له : ارجع إلى بيتك فوالله لا أؤذيك بعدها .

— ١٨٧ —

كان أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبته الديون ، واشتهر ذلك عنه . فدخل عليه رجل وأنشده :

أيارب المنائح والعطايا ويا طلق المحيا واليدين
لقد خبرت أن عليك دينا فزد فى رقم دينك واقض دينى

— ١٨٨ —

قال البرفوسور بوريس روزنفلد مدير معهد التربية فى كولومبيا بالقرب من موسكو أن عمر الخيام الشاعر والفيلسوف وعالم الرياضيات الفارسى هو مكتشف المعادلة التى عرفت فيما بعد بنظرية نيوتن ذات الحدين ، صيغة المعادلة لم يعثر عليها الباحثون وقد عثروا على صيغة معادلة جبرية وضعها عمر الخيام ولم تكن معروفة من قبل .

— ١٨٩ —

يحكى أن « الميكادو » امبراطور اليابان الأسبق قال يوم لأحد أكابر دولته : إننا أبناء مملكة الشمس ، فيجب أن نمشى مع الشمس ؛ فأجاب . نعم يامولاى ، ولكن نخاف أن نغرب معها أيضاً .

— ١٩٠ —

جاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة :

إن قلب جميع الحيوان موضوع فى الوسط من الصدر ماخلا الإنسان ، فإن قلبه مائل إلى الجانب الأيسر .

الأفعى تبيض فى رحمها ، ثم يصير هناك حيوانا .

الشعر المولود مع الإنسان شعر الرأس والأجفان والحاجبان وأول ما ينبت بعد ذلك شعر العانة وشعر الإبطين .

وشعر اللحية : (إن خصى الإنسان قبل احتلامه لم ينبت فى جسده الشعر الذى يتأخر نباته ، وإن خصى الإنسان قبل احتلامه فإن ذلك الشعر يزول . ما خلا شعر العانة فإنه يبقى .

المرأة إذا احتبس طمثها ربما خرج لها شعر يسير فى موضع اللحية .

شعر الحاجبين ربما طال عند الكبر .

وشعر الأجفان لا يطول .

للأرانب فى داخل أشداقها شعر ، وكذلك تحت أرجلها .

القنفذ فى فيه خمس أسنان فى عمقه .

— ١٩١ —

من قول حافظ إبراهيم

أنشأ الخديوى إسماعيل لنزول الامبراطورة أوجينى التى نابت

— ١٣٠ —

عن زوجها نابليون الثالث ، فى حضور حفلة افتتاح قناة السويس ، قصرا بالجزيرة ، كما أنشأ لها قصر الجيزة فى مكان حديقة الحيوانات الآن ، وقد أسرف إسماعيل فى الانفاق عليها ، والحفاوة بها ، ثم زارت مصر مرة أخرى فى شيخوختها ، فقال حافظ إبراهيم :

أين يوم القنال يا ربة التا ج ويا شمس ذلك المهرجان
أين ذا القصر بالجزيرة تجرى فيه أرزاقنا وتحبو الأمانى
كنت بالأمس جنة الحور يا قصر فأصبحت جنة الحيوان
وعوى الذئب فى نواحيك يا قصـــر وقد كنت معقلا للسان
تلك حال الإيوان ياربة التا ج فما حال صاحب الإيوان
كنت بالأمس ضيفة عند ملك فانزلى الآن ضيفة فى خان
واعذرينا على القصور كلانا غيرته طوارىء الحدثان

— ١٩٢ —

روى صاحب الفخرى قال :

« كان المنصور مبخلا يضرب بشحه الأمثال » وتروى كتب الأدب والتاريخ عن المنصور الكثير من النوادر والأقاصيص تدل على أنه كان حريصاً على جمع المال ، شحيحاً به ، حتى أطلق عليه لقب « أبى الدوانيق » و « المنصور الدوانيق » من جراء تشدده فى محاسبة العمال على الحبة والدانق ، وهو مقدار لا يزيد

على سدس درهم ؛ ويقال إنه لما بنى مدينة بغداد كان ينظر فى العمارة بنفسه ، ولا يكل أمرها إلى أحد غيره ، ويحاسب الصناع والأجراء فيقول لأحد العمال « أنت نمت القائلة ، ولهذا أنت لم تبكر إلى عملك » ويقول لغيره « أنت انصرفت ولم تكمل اليوم » .

— ١٩٣ —

مما يحكى عن عدل كسرى أنو شروان :

أن وفودا وفدوا عليه من قبل بعض الملوك ، واستأذنوا فى الدخول عليه ، فأمر رجل من بطانته أن يحضر له تاجه ؛ ولما أقبل الرجل بالتاج ، وقبل أن يصل به إلى الملك ارتعشت يده ، وسقط التاج على الأرض محطما ، فتناثرت جواهره وأحجاره الكريمة ؛ فلما رأى ذلك أنو شروان ، ابتسم وقال : لا بأس ! اذهب وأوعز إلى الحاجب أن يحضر الوفود فى يوم آخر .

— ١٩٤ —

(مما يحكى) عن عدل عمر بن الخطاب أنه جاء إليه رجل من مصر مستظلما وقال : يا أمير المؤمنين ! هذا مكان العائذ بك ، فقال له عمر : ما شأنك ؟ قال : سابقت ولد عمرو بن العاص بمصر فسبقته فجعل يعنفنى بسوطه ويقول : أنا ابن الأمير ، وبلغ أباه ذلك

فحبسنى خشية أن أقدم عليك ، فكتب إلى عمرو « إذا جاءك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وابنك ؛ فلما قدم عمرو وابنه دفع الدرة إلى المصرى وقال : اضربه كما ضربك ، فجعل المصرى يضربه وعمر يقول : « إضرب ابن الأمير ، إضرب ابن الأمير » يرددها حتى قال المصرى : يا أمير المؤمنين ! قد استعدت منه ، فقال عمر وأشار إلى عمرو : ضعها على صلعته ، فقال المصرى : يا أمير المؤمنين ! إنما أضرب من ضربنى فقال : إنما ضربك بقوة أبيه وسلطانه فاضربه إن شئت فوالله لو فعلت لما منعك أحد منه ، حتى تكون أنت الذى تتبرع بالكف عنه . . . ثم قال : يا بن العاص ! متى استعبدتم الناس وقد خلقكم الله أحراراً .

(كتاب الصبر الجميل ص ١٨٣)

— ١٩٥ —

حكاية

سئل أحد المحكوم عليهم بالإعدام ، ماذا تشتهى قبل إعدامك ؟ قال : أشتهى العنب ، قالوا : ولكن أوان العنب بعيد ، وبيننا وبين موسمه ثمانية شهور ، قال : إذا أفوض أمرى إلى الله وانتظر ، وإن الله مع الصابرين .

— ۱۹٦ —

روى الوضين بن عطاء قال :

استزارنى أبو جعفر المنصور . وكانت بينى وبينه خلالة قبل الخلافة ، فصرت إلى مدينة السلام ، فخلونا يوماً ، فقال : « يا أبا عبد الله ! ما مالك ؟ »

فقلت : ثلاث بنات والمرأة وخادم لهن ، فردد المنصور ذلك حتى ظننت أنه سيمنحنى هبة تحولنى وتغنينى ثم رفع رأسه وقال لى : « أنت أيسر العرب ، أربعة مغازل يدرن فى بيتك ! . »

وكان يعرف المنصور قبل أن يلى الخلافة رجلا يقال له أزهر السمان ، فلما تقلد الخلافة قصده أزهر هذا فى مدينة السلام ، فادخل عليه ، ولما مثل بين يديه قال له المنصور : « ما حاجتك ياأزهر ؟ » فقال أزهر : يا أمير المؤمنين ، على دين أربعة آلاف درهم ، ودارى مستهدمة ، وابنى محمد يريد البناء بأهله » . وأمر المنصور بإثنى عشر ألف درهم ، وقال له : « لا تأتنا بعد ذلك طالب حاجة » فقال أزهر : أفعل ، ولكنه عاد بعد قليل وطلب لقاء المنصور ، فلما سمح له بذلك قال له المنصور : « ما جاء بك يا أزهر ؟ فقال : « جئت مسلما يا أمير المؤمنين » فقال المنصور : إنه ليقع فى نفسى أنك أتيتنا لما أتيتنا له فى المرة الأولى وأمر

— ١٣٤ —

له باثنى عشر ألف درهم آخر ثم قال : « يا أزهر ، لا تأتنا طالب حاجة ولا مسلما » ، فقال أزهر : « نعم يا أمير المؤمنين » ولكنه لم يلبث أن عاد وطلب الإذن بالمقابلة ، فقال له المنصور حينما رآه : « يا أزهر ما جاء بك ؟ » . فقال أزهر : دعاء سمعته منك أحببت أن آخذه عنك » ، فأجاب المنصور : « لا ترده فإنه غير مستجاب لأنى قد دعوت به أن يريحنى من خلقتك فلم يفعل وصرفه ولم يعطه شيئاً .

— ١٩٧ —

عن كميل بن زياد :

قال سألت مولاى أمير المؤمنين عن النفس ، وقلت يا أمير المؤمنين ، أريد أن تعرفنى نفسى ، فقال : يا كميل ! وأى الأنفس تريد أن أعرفك ؟ فقلت يا مولاى ! وهل هى الانفس واحدة ؟ قال : يا كميل ! إنما هى أربعة ؛ النامية النباتية ؛ والحسية الحيوانية ؛ والناطقة القدسية ؛ والكلية الإلهية .

ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان : فالنامية النباتية لها خمس قوى ؛ ماسكة ، وجاذبة ، وهاضمة ، ودافعة ، ومغذية ، ولها خاصيتان : الزيادة والنقصان ، وانبعاثها من الكبد ، والحسية الحيوانية لها خمس قوى : سمع وبصر ، وشم ، وذوق ، ولمس ،

— ١٣٥ —

ولها خاصيتان : الرضا والغضب ، وانبعاثها من القلب ، والعاقلة القدسية لها خمس قوى : فكر ، وذكر ، وعلم ، وحلم ، ونباهة ، وليس لها انبعاث ، وهى أشبه الأشياء بالنفوس الملائكية (الملكية) ولها خاصيتان النزاهة والحكمة ، والكلية الإلهية ، لها خمس قوى : بقاء فى فناء ، ونعيم فى شقاء ، وعز فى ذل ، وفقر فى غنى ، وصبر فى بلاء ، ولها خاصيتان : الرضا والتسليم ، وهذه هى التى مبدؤها من الله وإليه تعود ، قال تعالى : « ونفخت فيه من روحى » وقال أيضاً : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية » والعقل وسط الكل .

(الكشكول ص ٢٢٤ ج ٣)

— ١٩٨ —

قال الجاحظ :

بينما كنت أسير فى بعض الأسواق إذا بامرأة جميلة تخاطبنى بقولها : بالله ياشيخ ، تعال معى خطوات إلى هذا الصائغ ، فظننت أن لها أمراً هاماً ، فذهبت معها إلى الصائغ ، فقال لها أعمل الشكل على صورة هذا الشيخ ؟ قالت : نعم ، فتعجبت من ذلك ، وسألت الصائغ عن هذا ، قال : أتت لى هذه المرأة ، تريد أن أصوغ لها شكل شيطان ، فسألتها عما تريد من مثل هذا الشكل ،

— ١٣٦ —

قالت : لدفع الحسد فقلت لها : إنى لم أر الشيطان قط ، فأنت بك على أنك شكله .

— ١٩٩ —

حكى عن القزوينى فى عجائب البلدان : أن رجلا رأى خنفساء فقال : ماذا أراد الله من خلق هذه ، ألحسن شكلها ، أو لطيب ريحها ؟ فابتلى بقرحة عجز الأطباء عن علاجها ، واتفق أن يوما مر عليه رجل متطبب من البادية ينادى ! طبيب طبيب فقال الرجل : ادعوه لعل الله يجعل على يده شفائى ، فقالوا له : وما يصنع هذا البدوى فى مرض أعيا حذاق الأطباء ؟ فقال : إن هذا هو من شأنى لا من شأنكم ، فلما حضر وشاهد القرحة قال : إن دواءها شيء يسير ، وأخرج من أحد الأكياس المتعددة التى كانت فى مخلاته كيساً أخذ منه دواء أسود اللون ورشه على القرحة واستمر ذلك ثلاثة أيام حتى زالت القرحة وشفى الرجل ، ولكن لفرط تعجبه من تأثير ذلك الدواء التمس من البدوى المتطبب أن يذكر اسم الدواء ومادته ، فقال له : ليس هذا الدواء إلا جثة الخنفساء المحرقة ، فندم الرجل على قصور فكره فى معرفة حكمة البارى تعالى .

— ٢٠٠ —

حكى أن المأمون حين بنى على بوران بنت الحسن بن سهل فرش له حصير منسوج بالذهب ، ثم نثر على قدميه لآلىء كثيرة ، فلما رأى المأمون تساقط اللآلىء المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال : قاتل الله أبا نواس ، كأنه شاهد هذه الحال حين شبه حباب كأسه بقوله :

كأن كبرى وصغرى من فواقعها   حصباء در على أرض من الذهب

— ٢٠١ —

ذكروا من دهاء معاوية فى مداراة الناس واجتذاب قلوب العامة ، أن رجلا من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق فى حال منصرفهم عن واقعة صفين ، فتعلق به رجل من أهل دمشق فقال : هذه ناقتى أخذت منى فى صفين ! فارتفع أمرها إلى معاوية ، وأقام الدمشقى خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقته ، فقضى معاوية على الكوفى ، وأمره بتسليم البعير إليه ، فقال الكوفى : « أصلحك الله ، إنه جمل وليس بناقة . » فقال معاوية : « هذا حكم قد أمضى » ودس إلى الكوفى بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره ، ودفع إليه ضعفيه ، وبره وأحسن إليه وقال له . « أبلغ عليا أنى أقابله بمائة ألف مافيهم من يفرق بين الناقة والجمل .

— ٢٠٢ —

قال ابن ظفر :

رأيت فى أخبار بعض الملوك أن وزيره أشار عليه بجمع الأموال وادخارها ، وقال . إن الرجال وإن تفرقوا عنك اليوم ، فإنك متى احتجت إليهم عرضت عليهم الأموال ، فيتهافتون عليك . فقال : هل لهذا من شاهد ؟ قال : نعم ، هل بحضرتنا الساعة ذباب ؟ قال : لا ، فأمر الوزير بجفنة فيها عسل ، فتسافط عليها الذباب . فاستشار الملك بعض خواصه فنهاه عن ذلك ، وقال : لا تغير قلوب الرجال ، فليسوا يحضرون فى كل وقت أردتهم . فقال : فهل لهذا من دليل ؟ قال : نعم ، إذا أمسينا أخبرتك ؛ فلما أظلم الليل ، قال للملك : أحضر جفنة العسل : فأحضرت ، فلم تحضر ذبابة فرجع الملك عن رأيه الأول .

— ٢٠٣ —

سئل ابن الشاعر جرير :

ما كان أبوك صانعا حيث يقول :

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم　　يوم الرحيل ، فعلت ما لم أفعل

فقال : كان يفقأ عينيه فلا يرى رحيل أحبابه .

— ٢٠٤ —

حكاية

ادعى رجل النبوة فى عهد هارون الرشيد . فلما توسم الرشيد فيه صفات الحمق والسفاهة ، أمر بحبسه فى المطبخ ، فبقى فيه مدة يأكل ويشرب كما يشتهى ، وذكره الخليفة يوماً ، فدعاه إليه ليسخر منه ، ويضحك عليه ، فقال له : ألم يأتك جبريل بوحى جديد ؟ قال : نعم ، هبط على الأمين ، وقال لى : إن الله يقرئك السلام ، ويقول : لا تخرج من مطبخ هارون الرشيد ما دمت حيا .

— ٢٠٥ —

أقوال لمعاوية :

— المروءة : احتمال الجريرة ، وإصلاح أمر العشيرة .

— النبل : الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة .

— ما رأيت تبذيرا قط إلا وإلى جنبه حق مضيع .

— أنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

— ٢٠٦ —

بخيل وابنه :

خرج بخيل مع ابن له بعد العشاء ، وفى الطريق ذكر أن ابنه

ترك القنديل فى البيت من غير أن يطفئه ، فقال له : لقد خسرنا بذلك درهما ، ثم ذهب الولد ورجع فقال أبوه : لقد خسرنا بذلك أكثر لأنك أبليت من حذائك ما يساوى درهمين ! فرد الإبن . اطمئن فقد ذهبت وعدت حافيا !

— ٢٠٧ —

وجهات نظر :

— تبدأ المرأة بمقاومة مطالب الرجل ، وتنتهى بقطع خط الرجعة عليه حينما يريد أن يتقهقر .

— المرة الوحيدة التى تتمنى فيها المرأة أن تكون أكبر من عمرها بسنة واحدة هى حينما تكون حاملا تنتظر مولوداً .

— بعض الناس يصدقون كل شىء يقال لهم همسا .

— لا تخف من أن تقول آسف لأن أحداً لم يصب بعسر هضم لابتلاع كلماته .

— الأشخاص الذين يتمنون دائما الحصول على أشياء ليست عندهم أشخاص معقولون ، لأن من الحماقة أن يتمنى المرء شيئاً عنده .

— إذا أقرضت شخصاً خمسة دنانير ولم تر وجهه مرة أخرى أبداً فإن عدم رؤيته تساوى المبلغ الذى أقرضته إياه .

— سلم قاربك للأمواج ، ولا تسلم قلبك للنساء ، فالبحر أقل غدراً من المرأة . (شيشرون)

— المرأة كالبحر ، مطيعة لمن يقوى عليها ، جبارة معاندة لمن يخاف منها . (مثل إغريقى)

— قلب المرأة أعظم مصدر للحنان والعطف ، إذا أحبت الرجل ، وأعظم مكمن للضغينة والحقد إذا كرهته . (لوثر)

— عبقرية المرأة فى قلبها . (شيشرون)

— إذا تخليت عن امرأة ، جاز أن تسامحك . وأما إذا أحببت غيرها فإن ذنبك لا يغتفر . (ديوچيو)

— ما أقدس الرجال لو كان حبهم لله يعادل حبهم للمرأة . (كونفوشيوس)

— المرأة كالإعلان يحقق غايته بالتكرار . (دورانت)

— لا تستطيع أبداً أن تقول شيئا عن المرأة وإذا استطعت يجب أن لا تفعل .

— هناك رجل يستعمل دائما كلمات صعبة لأنه كان يخاف أنه إذا عرف الناس ما يتحدث عنه فإنهم سيعرفون أنه لم يكن يعرف مايتحدث عنه .

— من يحسن خدمة وطنه يستغنى عن النسب . (لافونتين)

— الإرادة التى لا تثنى تعلو على كل شىء حتى على الدهر .
(شاتوبريان)

— عند مايخطىء رامى السهام هدفه ، ينظر لنفسه ليعرف لماذا أخطأ . وهكذا دائما . إذا أردتم الوصول إلى هدفكم ، فأصلحوا أنفسكم . . (روكفلر)

— ٢٠٨ —

نادرة :

قال الخطيب أثناء وعظه — وكان حديثه عن النساء ومالهن وما عليهن — : من كان منكم غير راض عن زوجته فليقف ! فوقف المستمعون جميعاً ، إلا عمدة القرية الذى بقى جالسا فى مكانه لا يتحرك ، فقال الخطيب : يبدو أن العمدة هو الوحيد الذى قدر له أن يكون راضياً عن زوجته ، فنحمد الله على ذلك ، فأجاب هذا من فوره : لا تتعجل بإصدار الأحكام فإنى معذور لا أستطيع الوقوف لأن المؤمنة زوجتى ضربتنى ضرباً مبرحا حتى كسرت رجلى .

— ٢٠٩ —

قابل إمام العبد الأديب الكبير وكان أسود ، أحد أصدقائه ، وكان يدعى « محمود » وكان يمزح مع إمام ويغالى فى المزاح ،

— ١٤٣ —

ومرة سأله : ما قولك يا إمام فى قصيدة المتنبى التى مطلعها « عيد بأية حال عدت يا عيد » أليست من أحسن القصائد واصدقها ؟ وقد أراد أن يشير إلى قول المتنبى :

لا تشتر « العبد » إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجاس مناكيد

وفطن لذلك إمام ، وكان سريع الخاطر فأجابه : طبعا لقوله :

ما كنت أحسبنى أحيا إلى زمن   يسىء لى فيه كلب وهو « محمود »

— ٢١٠ —

يقال : أن عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان آخر خلفاء بنى أمية كتب كتاباً إلى أبى مسلم الخراسانى ، حمل على جمل لعظمته وثقله ، فلما وصل الكتاب إلى أبى مسلم أحرقه بالنار قبل أن يطلع عليه ، مخافة أن تؤثر عليه بلاغة عبد الحميد وبديع عباراته فتفتر بذلك همته فى نضاله مع بنى أمية ، ولما علم بذلك مروان أمر عبد الحميد أن يرد عليه هذه الإهانة ، فكتب إليه فى رقعة صغيرة : « لو أراد الله للنملة صلاحا لما أثبت لها جناحا » ، فرد عليه أبو مسلم مجيباً بقول السموأل :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها   فليس إلى حسن الثناء سبيل

- ٢١١ -

سر الجمال :

« ليست العبرة فى الجمال الشائع ، بالغا ما بلغ من حسن « التكوين » العبرة فى سر الجمال ، وروحه ومعناه ، وسر جمالك هو العاطفة ، وروحه هو الألم ، ومعناه هو الحب » .

(الرسام الاسبانى جويا)

- ٢١٢ -

قيل إن عماد الدولة بن بويه لما فتح شيراز ، دخل فى إحدى القصور واستلقى على ظهره فى بهو ذلك القصر طلبا للاستراحه ، وبينما هو كذلك إذا بحية كبيرة خرجت من ثقب فى السقف ودخلت فى سقف آخر ، فارتاع عماد الدولة من ذلك ، ونهض لساعته ، فأمر بهدم السقف فوراً ، وكانت مناجأة ، إذ تناثر من السقف كنوز لا عد لها من الدهب والفضة ، فاستولى هذا عليها وقسمها على جنوده الذين كانوا على وشك الانقلاب ضده ، لتأخر جراياتهم .

ويحكى أيضا عن عماد الدولة نفسه : أنه بعث وهو فى شيراز لاحضار خياط يخيط له لباساً ، فأحضروا الخياط ، وكان أصما ، وهو خياط أمير شيراز الذى فر بعد استيلاء عماد الدولة عليها ،

— ١٤٥ —

وظن الخياط أن عماد الدولة أحضره ليسأله عن الأموال التى أودعها الأمير الهارب عنده فبمجرد أن حضر، أخذ يقسم الإيمان ويقول: والله يا أميرنا ما أودع عندى أكثر من سبع خزائن وها هى موجودة عندى أسلمها إلى من تأمرهم بحملها .

— ٢١٣ —

سألوا بعض حكماء الروم :

أى وقت أفضل للطعام فقال : لمن قدره إذا جاع ، ولمن لم يقدر إذ وجد .

— ٢١٤ —

حكاية :

ذكر ابن الجوزى فى كتاب « مواعظ الملوك والسلاطين » أن كسرى خرج فى بعض الأيام للصيد ، فانقطع عن أصحابه ، وأظلته سحابة فأمطرت مطراً شديداً حال بينه وبين جنده ، فمضى لا يدرى أين يذهب ، فانتهى إلى كوخ فيه عجوز ، فنزل عندها ، وأدخلت العجوز فرسه ، فأقبلت إبنتها ببقرة قد رعتها ، فاحتلبتها . فرأى كسرى لبناً كثيراً ، فقال : ينبغى أن نجعل على كل بقرة خراجاً ، فهذا حلاب كثير ، ثم قامت البنت فى آخر

الليل لتحلبها فوجدتها لا لبن فيها ، فنادت : يا أماه ! قد أضمر الملك لرعيته سوءاً . قالت أمها : وكيف ذلك ؟ قالت : إن البقرة ما تبز بقطرة من لبن . فقالت لها أمها : اسكتى فإن عليك ليلا . فأضمر كسرى فى نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم . فلما كان آخر الليل قالت لها أمها : قومى أحلبى ، فقامت فوجدت البقرة حافلا ، فقالت : يا أماه ! قد والله ذهب ما فى نفس الملك من السوء ؛ فلما ارتفع النهار جاء أصحاب كسرى ، فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه ، فأحسن إليهما وقال : كيف علمتما ذلك ؟ فقالت العجوز : أنا بهذا المكان منذ كذ وكذا . ما عمل فينا بعدل ، إلا أخصبت أرضنا واتسع عيشنا ، وما عمل فينا بجور إلا ضاق عيشنا وانقطعت موارد النفع عنا .

— ٢١٥ —

الإفلاس قلعة فولاذية :

هكذا سمعت أن اثنين من الصوفية كانا يسيران معا ذات مرة ، وكان أحدهما مجرداً ، والآخر معه خمسة دنانير ، وكان هذا المجرد يسير بلا خوف ، ولم يكن يطلب أى رفيق ، وكان يجلس وينام ويستريح ولا يخشى أى شخص فى أى مكان يصل إليه سواء أكان مأمونا أم مخوفا ، وذاك الذى كان معه خمسة

دنانير كان يوافقه ولكنه كان دائما فى خوف ، إلى أن وصلا فى وقت ما إلى رأس بئر ، وكان المكان مخوفا ومعدنا للصوص والصعاليك . فشرب الرجل المجرد من تلك العين ، ووضع رأسه ، وراح فى النوم ، ولم يكن صاحب الدنانير الخمسة يستطيع النوم ، وكان يقول لنفسه سرا : ماذا أعمل لآمن القضاء ؟ فاستيقظ المجرد فجأة وسمعه فقال : أى فلان ! ماذا أصابك حتى تكثر ترديد : ماذا أعمل ، ماذا أعمل ؟ فقال الرجل : يا أخى معى خمسة دنانير ، وهذا المكان مخوف ، وأنت نمت هنا ، وأنا لا أستطيع النوم ولا أستطيع الذهاب ، فقال ذلك الصوفى المجرد : أعطنى تلك الدنانير الخمسة لأدبر أمرك . فأعطاه الرجل الخمسة دنانير ، فأخذها الصوفى المجرد وألقى بها فى البئر وقال : قد نجوت من ماذا أعمل ، ماذا أعمل ، فاجلس الآن آمنا ونم ، لأن الإفلاس قلعة فولادية .

— ٢١٦ —

قيل أنه لما اشتد المرض بهارون الرشيدى بخراسان ، وكان قد نزل بدار حميد الطوسى ، وقد جمعوا له الأطباء ، ويئسوا منه أخذ يقول :

إن الطبيب بطبه وعلاجه   لا يستطيع دفع مقدور جرى

— ١٤٨ —

ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان يشفى غيره فيما مضى

وقال رجل ليحيي بن أكثم : أيها القاضى ! كم آكل ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع ؛ قال : وكم أضحك ؟ قال : حتى يبتسم وجهك ولا يعلو صوتك . قال : كم أبكى ؟ قال : لا على البكاء من خشية الله حد .

وأجاب أبو العلاء المعرى على كتاب فقال :

وافى الـكتاب وأوجب الشكرا
فضممته ولثمته عشرا
وفضضته وقرأته فإذا
أجلى كتاب فى الورى يقرا

— ٢١٧ —

من ألطف ما إتفق أن بعض الخلفاء كان يحفظ الشعر من مرة واحدة ، وله جارية تحفظه من مرتين وله عبد مملوك يحفظه من ثلاث مرات ، وكان بخيلا جداً ، فـكان الشاعر إذا أتاه بقصيدة قال له : إن كانت مطروقة بأن يكن أحد منا يحفظها نعلم أنها ليست لك ، فلا نعطيك لها جائزة ، وإن لم يكن يحفظها أحد نأتيك بوزن ماهو مكتوب فيها ذهباً ، فيقرأ الشاعر القصيدة ويحفظها من أول مرة ، فيقول للشاعر : إسمعها فإنى أحفظها .

فينشدها بتمامها ، ثم يقول : وهذه الجارية أيضاً تحفظها ، فيسمعها المملوك مرتين من الشاعر كما أن هذا المملوك يحفظها أيضاً فحينئذ لا يصله عن القصيدة شيئاً .

— ٢١٨ —

ابن المقفع ، صفته وأخلاقه :

إذا صح ان أسلوب الكاتب مرآة أخلاقه وطبعه ، فلا شك أن بن المقفع كان حسن الخلق ، سهل الطبع . كريم السجية ، حلو المعاشرة ، وافر المروءة ، وقد وصفه الجاحظ بكونه : جواداً فارسياً جميلا ، وما أظن أديباً عمل بما كان يقول كابن المقفع . قال :« إبذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك وقتك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحيتك ، ولعدوك عدلك ، وضن بدينك وعرضك عن كل أحد » ولقد بذل هو دمه وماله فى سبيل المروءة والكرم والصداقة ، وأى إيثار أبلغ من إيثاره لعبد الحميد بن يحي كاتب بنى أمية ؟ فقد صح أن عبد الحميد لجأ إلى بن المقفع بالبحرين بعد مقتل مروان بن محمد ، ففاجأه الطلب ، وهو فى بيته ، فقال الذين دخلوا عليهما : إيكما عبد الحميد ؟ فقال كلا منهما : أنا مخافة على صاحبه ، وأوشك الجند أن يقتلوا بن المقفع لولا أن صاح بهم عبد الحميد قائلا : ترفقوا بنا فإن لكل علامات

فوكلوا بنا بعضكم ، وليمض البعض الآخر إلى من وجهكم فيذكر له تلك العلامات ، ففعلوا ، وأخذ عبد الحميد فقتل سنة ١٣٢ .

وقال ابن قتيبة فى عيون الأخبار : بلغ بن المقفع أن جارا له يبيع داراً له لدين ركبه ، وكان يجلس فى ظل داره ، فقال : ما قمت إذا بحرمة ظل داره إن باعها معدما وبت واجدا ، فحمل إليه ثمن الدار وقال : لا تبع .

لم يشتهر بن المقفع بالمجون والخلاعة ، ولكنه كان يصحب من عرفوا بذلك ، قال صاحب الأغانى : كان مطيع بن إياس ويحيى بن زياد الحارثى وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك ، وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة . وهؤلاء الذين صحبهم كانوا معروفين أيضاً بالخلاعة ، ولكنه هـــو كان إلى الحشمة والتصون أميل .

وروى صاحب الأغانى أيضاً : أن معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفع اجتمعوا يوما عند بن رامين ، فلما غنتهم جاريته الزرقاء ، بعث معن إليها بدرة فصبت بين يديها ، وكذلك فعل روح أما بن المقفع فبعث فجاء بصك ضيعته وقال : هذه عهدة ضيعتى خذيها فأما الدراهم فما عندى منها شيء .

وهكذا كان الغناء يبعث صوته ويهز أريحتيه وله فى الفكاهة جواب يدل على أنه نال حظاً منها ، قال الجاحظ فى كتاب البخلاء : روى أصحابنا عن عبد الله بن المقفع قال : كان ابن جزام الشبي يجلس إلى ، وكان ربما إنصرف معى إلى المنزل فيتغدى معا ويقيم إلى أن يبرد ، وكنت أعرفه بشدة البخل وكثرة المال ، فالح على فى الاستزارة ، وصممت عليه فى الإمتناع ، فقال : جعلت فداك ، أنت تظن أنى ممن يتكلف ، وأنت تشفق على ، لا والله إن هى إلا كسيرات يابسة وملح وماء الحب ، فظننت أنه يريد اجتلابى بتهوين الأمر عليه ، وقلت إن هذا كقول الرجل ، يا غلام اطعمنا كسرة واطعم السائل خمس تمرات ، ومعناه اضعاف ما وقع اللفظ عليه ، وما أظن أن أحدا يدعو مثلى ، ثم يأتيه بكسرات وملح ؛ فلما صرت عنده وقربه إلى إذ وقف سائل بالباب ، فقال : أطعمونا مما تأكلون أطعمكم الله من طعام الجنة ، قال : بورك فيك ، فأعاد الكلام ، فأعاد عليه مثل ذلك القول ، فأعاد عليه السائل ، فقال : إذهب ويلك فقد ردوا عليك ؛ فقال السائل : سبحان الله ! ما رأيت كاليوم أحدا يرد من لقمة والطعام بين يديه . قال : إذهب ويلك وإلا خرجت إليك والله فدققت ساقيك ، قال السائل :

سبحان الله ينهى الله أن ينهر السائل وأنت تدق سافيه ؟ فقلت للسائل : اذهب وأرح نفسك فإنك لو تعرف من صدق وعيده مثل الذى أعرف من صدق وعده لما وقفت طرفه عين بعد رده إياك .

— ٢١٩ —

قلوب النساء :

قلوب النساء مثل رمال البحر ، لا ترى عليها فى الغداة أثرا ما تكتبه بالأمس .

مخلوق عجيب :

المرأة مخلوق عجيب غامض . . تزعم أنها تريد فروا ثمينا ليقيها البرد فى الشتاء ، بينما هى تخرج بجوارب من الحرير الخفيف الشفاف ، وحذاء مكشوف !

هنرى ليتل

— ٢٢٠ —

قال رجل لثمامة :

إن لى إليك حاجة ، قال ثمامة : ولى إليك حاجة . قال : وما هى ؟ قال : لا أذكرها حتى تضمن لى قضاءها ، قال : قد فعلت ، قال : حاجتى أن لا تسألنى أى حاجة ، قال الرجل : رجعت

عما أعطيت ، قال ثمامة : ولكنى لا أرجع عما أخذت .

— ٢٢١ —

قال صفى الدين الحلى يعزى الملك الأفضل بوفاة والده الملك المؤيد (صاحب حماه) :

خفض همومك فالحياة غرور
فرحى المنون على الأنام تدور
والمرء فى دار الفناء مكلف
لا قادر فيها ولا مقدور
والناس فى الدنيا كظل سائر
كل إلى حكم الفناء يصير
فى فقدنا الملك المؤيد شاهد
ان لا يدوم مع الزمان سرور
وإذا القضاء جرى بأمر نافذ
غلط الطبيب وأخطأ التدبير
اين ابن داود سليمان الذى
كانت بجحفله الجبال تمور

أم أين كسرى اردشير وقيصر
والهرمزان وقبلهم سابور

— ٢٢٢ —

أمثلة عربية :

هل يضر البحر أمسى ذاخرا
أن رمى فيه غلام بحجر ؟

والعفو عند لبيب القوم موعظة
وبعضه لسفيه القوم تدريب

لو كل كلب عوى ألقمته حجرا
لأصبح الطين مثقالا بدينار

— ٢٢٣ —

حكاية :

دخل حذيفة بن اليمان على عمر بن الخطاب ، فسأله : كيف أصبحت يا حذيفة ؟ فأجاب : أصبحت أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأصلى بلا وضوء ، ولى فى الأرض ما ليس لله فى السماء ؛ فغضب عمر غضباً شديداً ، وولى وجهه عنه ؛ واتفق أن دخل على بن أبى طالب ، فرآه على تلك الحال ، فسأله عن السبب ،

فذكر له ما قاله بن اليمان ، فقال علي : لقد صدقك فيما قال ياعمر ، فقال عمر : وكيف ذلك ؟ قال علي : إنه يحب الفتنة لقوله تعالى : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ، ويكرة الحق بمعنى الموت ، لقوله تعالى : « وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين » ، ويصلي بلا وضوء ، يعني أنه يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ، وله في الأرض ما ليس لله في السماء ، يعني أن له زوجة وأولاداً ، والله تعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد . فقال عمر : أحسنت يا أبا الحسن ، لقد أزلت ما في قلبي على حذيفة .

— ٢٢٤ —

قال الأصمعي :

رأيت بدوية من أحسن الناس وجهاً ، ولها زوج قبيح الوجه فقلت : يا هذه ! أترضين أن تكوني تحت هذا ؟ فقالت : يا هذا ! لعله أحسن بينه وبين ربه فجعلني ثوابه ، وأسأت بيني وبين ربي فجعله عقابي .

— ٢٥٥ —

لما بنى المنصور مدينة بغداد عظمت النفقة عليه ، فأشار عليه أبو أيوب المرياني بهدم إيوان كسرى ، واستعمال أنقاضه ،

فاستشار المنصور خالد بن برمك فى ذلك ؛ فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنه آية الإسلام ، فإذا رآه الناس علموا أن مثل هذا البناء لا يزيله إلا أمر سماوى ، وهو مع ذلك مصلى على بن أبى طالب ، والمئونة فى نقضه أكثر من نفعه ، فقال له المنصور : أبيت يا خالد إلا ميلا إلى العجمية ، ثم أمر المنصور بهدمه ، فهدمت منه ثلمه ، فبلغت النفقة عليها أكثر مما حصل منها ، فأمسك المنصور عن هدمه وقال : أيا خالد ، قد صرنا إلى رأيك وتركنا هدم الإيوان ؛ قال : يا أمير المؤمنين ! أنا الآن أشير بهدمه لئلا يتحدث الناس أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك ، فأعرض عنه ، وأمسك عن هدمه .

— ٢٢٦ —

قال ابن المقفع :

ليست من خلة تكون للغنى مدحاً ، إلا وهى للفقير عيباً ، فإن كان شجاعاً قيل أهوج ، وإن كان وقورا سمى بليداً ، وإن كان حليما قيل دنيا ، وإن كان صموتاً سمى عيياً ، وإن كان جواداً قيل مبذراً .

— ٢٢٧ —

[روى بن أبى الدنيا عن طاوس أنه قال] :

بينا أنا بمكة استدعانى الحجاج فأتيته ، فأجلسنى إلى جانبه ،

وأتـكأنى على وسادة ، فبينما نحن نتحدث إذ سمع صوتا عالياً بالتلبية ، فقال : على بالرجل ، فأحضر . فقال له : « ممن الرجل ؟ » قال : « من المسلمين » . فقال : « إنما سألتك عن البلد والقوم » قال : « من أهل اليمن » . فقال : « كيف تركت محمد بن يوسف ؟ » يعنى أخاه ، وكان والياء على اليمن . فقال : « تركته جسيما وسيما . لباساً حريراً ، ركابا خراجا ولاجا » . فقال : « إنما سألتك عن سيرته » فقال : « تركته غشوما ظلوما ، مطيعاً للمخلوق ، عاصياً للخالق » . قال : « أتقول فيه هذا وقد علمت مكانه منى ؟ » فقال الرجل : « أتراه بمكانه منك أعز من مكانى من ربى وأنا مصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ووافد بيته ؟ » فسكت الحجاج . وذهب الرجل من غير إذن . قال طاوس : فتبعته ، فقلت : الصحبة ! فقال : لا حباً ولا كرامة . ألست صاحب الوسادة ؟ الآن وقد رأيت الناس يستفتونك فى دين الله . قلت : إنه أمير مسلط ، أرسل لى فأتيته كما فعلت أنت . قال : فما ذاك الإتكاء على الوسادة فى رخاء بال ، هلا كان لك من واجب نصحه . وقضاء حق رعيته بوعظه ، والحذر من بوائق عسفه ، وتخلى نفسك ساعة الأنس به مما يكد عليك تلك الطمأنينة ؟ قلت : أستغفر الله وأتوب إليه ثم أسألك الصحبة . فقال : غفر الله لك !

إن لى مصحوبا شديد الغيرة على ، فلو أنست بغيره رفضنى . ثم تركنى وذهبه .

— ٢٢٨ —

وحكى أن الحجاج اشترى غلامين أحدهما أسود والآخر أبيض ، فقال لها فى بعض الأيام : كل واحد منكما يمدح نفسه ويذم رفيقه ، فقال الأسود :

ألم تر أن المسك لا شئ مثله   وأن بياض اللفت حمل بدرهم
وأن سواد العين لاشك نورها   وأن بياض العين لاشئ فاعلم

فقال الأبيض :

ألم تر أن البدر لاشئ مثله   وأن سواد الفحم حمل بدرهم
وأن رجال الله بيض وجوههم   ولا شك أن السود أهل جهنم

— ٢٢٩ —

قيل أن الحجاج لما فرغ من بناء قصره الذى سماه بالخضراء وكان فى مقر حكمه بالواسط ، أمر بإحضار الضحاك ، وكان ممن حكم عليهم بالسجن رغم ما كان عليه من فضل وأدب فى شئون الدين والدنيا ، فقال له : كيف ترى يا ضحاك قبتى هذه وبناءها ؟ قال : أصلحك الله إنك بنيتها فى غير بلدك ، فلا تصلح لك ولا

لولدك ، ولا تبقى لك ، ولا أنت باق لها ، فتأثر الحجاج وقال : إحملوه إلى السجن . ولما أرادوا حمله على دابة قال : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » قال : انزلوه ، قال الضحاك « رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » فقال الحجاج : اضربوا به الأرض ، ولما ضربوا به الأرض قال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فقال الحجاج : جروه على الأرض ، قال : « بسم الله مجراها ومرساها ، إن ربى لغفور رحيم » فقال الحجاج : ويلكم اتركوه ، فقد غلبنى دهاؤه ، ثم عفى عنه وخلى سبيله ، فقال الضحاك : « وإن تعفوا أقرب للتقوى » وذهب لشأنه .

— ٢٣٠ —

وكتب الوليد إلى الحجاج يأمره أن يكتب له بسيرته ، فكتب إليه : « إنى أيقظت رأيى ، وأنمت هواى ، فأدنيت السيد المطاع فى قومه ؛ ووليت الحرب الحازم فى أمره ؛ وقلدت الخراج الموفر لأمانته ؛ وقسمت لكل خصم من نفسى قسما يعطيه حظا من نظرى ولطيف عنايتى ؛ وصرفت السيف إلى النطف المسىء ، والثواب إلى المحسن البرىء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .

— ٢٣١ —

وروى الأصمعى عن مبشر بن بشير ، أن رجلا كان يطلبه الحجاج ، فمر بساباط فيه كلب بين جبين يقطر عليه ماؤهما . فقال ، ياليتنى مثل هذا الكلب ، فما لبث ساعة أن مر بالكلب فى عنقه حبل ، فسأل عنه ، فقالوا ، جاء كتاب الحجاج يأمر فيه بقتل الكلاب .

— ٢٣٢ —

حكى أن الثعلب مر فى السحر بشجرة ، فرأى فوقها ديكا ، فقال ، أما تنزل لنصلى الجماعة ؟ فقال الديك ، إن الإمام نائم خلف الشجره فأيقظه ، فنظر الثعلب وإذا بالكلب ، ففر هارباً ، فناداه الديك ، أما تصلى ؟ فأجابه الثعلب أن وضوئى قد انتقض ، فاصبر حتى أجدد الوضوء وأحضر للصلاة .

— ٢٣٣ —

حكاية

كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حمص إلى عمر ، « إن مدينة حمص قد تهدم حصنها ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن

لى فى إصلاحه ، فكتب إليه عمر ، « أما بعد ، فحصنها بالعدل ، والسلام » .

— ٢٣٤ —

فى كتاب من كتب العجم ، أن أرد شير قال لإبنه ، يا بنى ! إن الملك والدين أخوان لاغنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أس ، والملك حارس ، ومالم يكن له أس فمهدوم ، ومالم يكن له حارس فضائع ، يا بنى ! إجعل حديثك مع أهل المراتب ، وعطيتك لأهل الجهاد ، وبشرك لأهل الدين ، وسرك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول .

— ٢٣٥ —

قال ابن الرومى

وما الحلى إلا زينة لنقيصة
تتم من حسن إذا الحسن قصرا
فأما إذا كان الجمال موفراً
كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا

— ٢٣٦ —

هدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ، فهجاه أبو العتاهية وقال :

لقد بلغت ما قالا   فلا خوف لما قالا
ولو كان من الأسد   لما داعا وما هالا
فضع حملك للسيف   وأبدله بخلخالا
فما تصنع بالسيف   إذا لم تك قتالا
أرى قومك أبطالا   وقد أصبحت بطالا

قال عبد الله ، والله ما تقلدت السيف يوما إلا وتخيلت أن كل من يرانى سيتذكر شعر أبى العتاهية ويقول ما قال .

— ٢٢٧ —

حكى أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته ، وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه ، فخرج إليه وانتهره ، واتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر ، وزالت نعمته مطلق زوجته ، فتزوجت بعده برجل آخر ، فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية ، وإذا بسائل بالباب ، فقال الرجل لزوجته ، قومى وادفعى له هذه الدجاجة ، فخرجت بها إليه ، وإذا هو زوجها الأول فدفعت إليه الدجاجة وعادت وهى باكية ، فسألها زوجها عن سبب بكائها ، فأخبرته أن السائل كان زوجها الأول ، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول وطرده ، فقال ، أنا والله ذاك السائل .

— ٢٣٨ —

أصاب أعرابى جرو ذئب ، فاحتمله إلى خبائه ، وقرب له شاة ، فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن ، وكبر ، ثم شد على الشاة ، فقتلها ، فقال الأعرابى يذكر ذلك .

عذتك شويهتى ونشأت عندى فمن أدراك أن أباك ذيب
فجعت نسية وصغار قوم بشاتهم وأنت لها ربيب
إذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع أدب الأديب

— ٢٣٩ —

أقوال للأحنف بن قيس :

— من لم يصبر على كلمة سمع كلمات

وقيل له : من السيد ؟ قال : الذى إذا أقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه .

— من تسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون .

— ٢٤٠ —

عصا الأعرابى

لقى الحجاج أعرابياً فقال له ، ما بيدك ؟ قال ، هى عصاى ، أوكزها لوقت صلاتى ، وأعدها لأعدائى ، وأسوق بها دابتى ، وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى ذهابى وإيابى ، وأثب

بها على النهر ، وأتق بواسطتها شر العشرة ، وألقى عليها كسائى فتقينى الحر وتجنبنى القر ، وتدنى إلى ما بعد عنى ، وتحمل سفرتى وأدواتى ، وأقرع بها الأبواب ، وأضرب بها الكلاب ، وتنوب عن الرمح فى الطعان . وعن السيف فى منازلة الأقران ، وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى . فضحك الحجاج وقال له : كف يا أعرابى ودع أوصافها الأخرى لمرة أخرى .

— ٢٤١ —

باع أعرابى ناقة له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن فى يده ، نظر إليها ، فذرفت عيناه ، ثم قال :

وقد تنزع الحاجات يا أم معمر
كرائم من رب بهن ضنين

فقال له مالك : خذ ناقتك وقد سوغتك الثمن .

— ٢٤٢ —

أقطعنى لحيتى

كان الحريرى صاحب « المقامات » كثير العبث بلحيته ، وكان طويل المجالسة لأمير البصرة ، ومرة توعده الأمير ونهاه ، فكان الحريرى بعد ذلك يجلس كالمقيد بالأصفاد وتكلم يوماً

بكلام أعجب الأمير . فسأله : ماذا تريد أن أقطعك يا حريرى ؟
فأجابه فورا : أقطعنى لحيتى !

— ٢٥٧ —

قال الأصمعى :

دهاة العرب أربع ، ومعاوية أدهاهم ؛ فمعاوية للأناة ، وعمرو للبديهه : وزياد للصغار والكبار ؛ ومغيرة للأمر العظيم ، وكان معاوية يقول : والله لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولو كانت شعرة بينى وبين الناس ما انقطعت ، قيل وكيف ذلك ؟ قال : إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها ،

— ٢٥٨ —

من الغاوين :

نظر طفيلى إلى قوم ذاهبين ، فلم يشك فى أنهم مدعوون إلى وليمة ، فتبعهم ، فإذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم ؛ فلما أنشد كل واحد شعره ، وأخذ جائزته لم يبق إلا الطفيلى ، وهو جالس ساكت ، فقيل له : أنشد شعرك ، فقال : لست بشاعر ، قيل : فمن أنت . . ؟ قال : من الغاوين الذين قال الله تعالى

— ١٦٦ —

فى حقهم : « والشعراء يتبعهم الغاوون » فضحك السلطان ، وأمر له بجائزة .

— ٢٥٩ —

مر بعض الأمراء بغلام يسوق حماراً ، وقد عنف عليه فى السوق ، فقال : يا غلام إرفق به .

فقال الغلام : أيها الأمير ، فى الرفق به مضرة عليه . قال : وما مضرته ؟ قال : يطول طريقه ، ويشتد جوعه ، وفى العنف به إحسان إليه . قال : وما الإحسان إليه ؟ قال : يخف حمله ، ويطول أكله . فأعجب الأمير بكلامه وقال له : قد أمرت لك بألف درهم . فقال : رزق ٌمقدور ، وواهب مأجور . قال : وقد أمرت بإثبات إسمك فى جيشى .فقال : كفيت مؤونة ، ورزقت بها معونة . قال : لولا أنك حديث السن لاستوزرتك . قال : لن يعدم الفضل من رزق العقل . قال : فهل تصلح لذلك ؟ قال : إنما يكون المدح والذم بعد التجربة ، ولا يعرف الإنسان حتى يبلوها .

فاستوزره الأمير فوجده ذا رأى صائب ونهم رحيب ، ومشورة تقع مواقع التوفيق .

— ٣٦٠ —

حكاية :

سمعت أن المعتصم أمر مرة بضرب عنق مجرم بحضرته ، فقال ذلك المجرم : يا أمير المؤمنين بحق الله ورسوله ، ضيفني بشربة ماء ثم مر بما تشاء ، فإني ظمآن جداً ، فأمر المعتصم — بحكم القسم — فأعطوه الماء ليشرب ، وقال على عادة العرب (كثر الله خيرك يا أمير المؤمنين) بشربة الماء هذه كنت ضيفك ، فإذا كان طريق المروءة يوجب قتل الضيف فمر بأن يقتلوني ، وإلا فاعف حتى أتوب على يديك ، فقال المعتصم : إنك تقول حقاً ، إن حق الضيف عظيم ، عفوت عنك ، فتب على أن لا تقترف إثماً بعد هذا . فتاب الرجل وأطلق سراحه .

— ٣٦١ —

أفضل مثال للباس العرب لباس النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكروا أن أحب اللباس إليه البرود . والبياض والحبرة ، وهي ضرب من البرود فيه حمرة ، وكان كمه قصيراً إلى الرسغ ، يلبس أحياناً حلة حمراء وإزاراً ورداء ، والإزار قصير إلى أسفل الركبة ، ولبس الخف والنعل ، وقد نهى عن الثوب الطويل الذي

— ١٦٨ —

يجر على الأرض من الخيلاء . ومن أقواله : « فضل الإزار في النار ، ولم يكن العرب يعرفون الأنسجة غير القطن والصوف .

— ٢٦٢ —

الكندى : إسمه أبو يوسف بن اسحق الكندى ، من قبيلة كندة من أشرف بيوتات العرب ، تعلم الكندى العلوم الدينية الشرعية ، وعلم الكلام ، وشارك في الصناعة الدخيلة على الإسلام مشاركة فعالة ، ونعنى بها الفلسفة ، فنقل بعض كتب الفلاسفة عن السريانية التي كان يعرفها ، وأصلح كتباً أخرى لبعض المترجمين مثل كتاب الربوبية الذى ترجمه بن ناعمه الحمصى وأصلحه الكندى ، وليس غريباً أن يحفل الكندى بالعلوم وقد نشأ في الكوفة التي كانت مقراً لعلم الكيمياء بوجه ، ونحن نعلم أن الكندى كانت له عناية خاصة بهذا العلم ، وقد بقى من تأليفه رسالة « في كيمياء العطر » واتصل الكندى اتصالا وثيقاً بالمأمون والمعتصم ثم بأحمد بن المعتصم الذى كان مؤدباً خاصاً له ، وفى ذلك يقول بن نباته في كتابه سرح العيون : « وكانت دولة المعتصم تتحمل به وبمصنفاته » ، ودس الحساد بينه وبين المتوكل الذى ضربه وأخذ مكتبته المسماه « بالكندية » ولا شك أنها كانت ذاخرة بالنفائس حتى تشتهر إلى هذا الحد . وقد أذاع

— ١٦٩ —

الجاحظ فى « البخلاء » عن الكندي أنه كان بخيلا فى تلك الصورة الكاريكاتورية المشهورة التى صوره بها . ومع ذاك فيبدو أنه كان مترفا فى حياته الخاصة ، وكان متعالياً عن الجمهور . فيما يبدو ، منعزلا عن الناس ، عاكفاً على كتبه وتأليفه . ومما يذكر فى ذلك أن جاره كان من كبار التجار ، فرض له بن مرضاً نفسانياً أعيا نطسى اطباء ، ولم تكن بينه وبين الكندى مودة على الرغم من الجيرة ، فلما سأل التاجر أهل الرأى قالوا له : « أنت فى جوار فيلسوف زمانه ، وأعلم الناس بعلاج هذه العلة ، فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب » . وعالجه الكندى بالموسيقى حتى شفاه .

ولهذه الإحاطة بالعلوم والمعارف كلها . ولأنه كان عربياً ومسلماً على خلاف الذين كانوا يشتغلون بهذه العلوم ويترجمونها من أطباء السريان . سمى بحق « فيلسوف العرب » كما سمى « فيلسوف الإسلام » .

— ٢٦٣ —

سأل أحد الكفار أبا بكر الصديق حينما كان يسير مع النبي صلى الله عليه وسلم للاختفاء فى الغار ، من هذا الذى معك ؟ وأشار إلى النبي . إذ لم يكن يعرفه بالذات ، فأجاب أبو بكر : إنه

رجل يهديني السبيل ، وقد صدق الصديق فيما قال . لأن النبي هو الهادى للسبيل بالنسبة لأبى بكر وللخلق أجمعين »

— ٢٦٤ —

وروى من هذا القبيل أن رجلا سأل النبي ، وكان يشير بأصحابه قبل لقائه بالمشركين يوم بدر ، إذ سأله ، ممن القوم ؟ فقال له النبي : هؤلاء من ماء ، وكان قصده من ذلك إخفاء أمره ، وقد كان جوابه صحيحاً لقوله تعالى : « فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق » لكن العربى لم يلتفت إلى كنه الجواب ، بل أخذ يفكر فى نفسه ليعرف من هى القبيلة التى تسمى بالماء .

— ٢٦٥ —

استشار عمر بن الخطاب على بن أبى طالب فى الخروج إلى غزو الروم بنفسه فقال له :

« إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك ، فتلقهم بشخصك ، فتنكب ، لا تكن للمسلمين كافة دون أقصى بلادهم ليس بعدك مرجع يرجعون إليه ، فابعث إليهم رجلا مجربا ، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة ، فإن أظهر الله فذاك ما تحب ، وإن تكن الاخرى كنت ردأ للناس ، ومثابة للمسلمين .

— ٢٦٦ —

البصرة فى دارى :

ذكر أن رجلا سأل معاوية أن يساعده فى بناء داره باثنى عشر ألف جذع من الخشب .

فقال معاوية : « أين دارك ! » . قال : « بالبصرة » .

قال : « وكم إتساعها ؟ » . قال : فرسخان فى فرسخين . . »

قال : لا تقل دارى بالبصرة ، ولـكن قل ، البصرة فى دارى ! ! » .

— ٢٦٧ —

من قصص كليلة ودمنة :

يقال : أنه كان رجل تاجر ، وكان له شريك ، فاستأجرا حانوتاً ، وجعلا متاعهما فيه ، وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت ، فأضمر فى نفسه أن يسرق عدلا من أعدال رفيقه ، ومكر الحيلة فى ذلك ، وقال : إن أتيت ليلا ، لم آمن أن أحمل عدلا من أعدالى ، أو رزمة من رزمى ولا أعرفها فيذهب عنائى وتعبى باطلا ، فأخذ رداءه ، وألقاه على العدل الذى أضمر أخذه ، ثم إنصرف إلى منزله ، وجاء رفيقه بعد ذلك ليصلح

أعداله ، فوجد رداء شريكه على بعض أعداله ، فقال : والله هذا رداء صاحبى ، ولا أحسبه إلا قد نسيه ، وما الرأى أن أدعه ههنا ، ولكن أجعله على رزمه فلعله يسبقنى إلى الحانوت فيجده حيث يحب ، ثم أخذ الرداء فألقاه على عدل من أعدال رفيقه ، وأقفل الحانوت ، ومضى إلى منزله ، فلما جاء الليل ، أتى رفيقه ومعه رجل قد وطأه على ما عزم عليه ، وضمن له جعلا على حمله ، فصار إلى الحانوت ، فالتمس الإزار فى الظلمة فوجده على العدل ، فاحتمل ذلك العدل وأخرجه هو والرجل ، وجعلا يتراوحان على حمله ، حتى أتى منزله ورمى نفسه تعباً ، فلما أصبح افتقده ، فإذا هو بعض أعداله ، فندم أشد الندامة ، ثم انطلق نحو الحانوت، فوجد شريكه قد سبقه إليه ففتح الحانوت ، ووجد العدل مفقوداً ، فاغتم لذلك غماً شديداً ، وقال : واسوأتاه من رفيق صالح ، قد ائتمننى على ماله وخلفنى فيه ، ماذا يكون حالى عنده ، ولست أشك فى تهمته إياى ، ولكن قد وطنت نفسى على غرامته . ثم أتى صاحبه فوجده مغتما ، فسأله عن حاله ، فقال : إنى قد افتقدت الأعدال ، وفقدت عدلا من أعدالك ، ولا أعلم بسببه ، وإنى لا أشك فى تهمتك إياى ، وإنى قد وطنت نفسى على غرامته ، فقال له : يا أخى ! لا تغتم ، فإن الخيانة شر ما عمله

الإنسان ، والمكر والخديعة لا يؤديان إلى خير ، وصاحبهما مغرور أبداً ، وما عاد وبال البغى إلا على صاحبه ، وأنا أحد من مكر وخدع واحتال ، فقال له صاحبه : وكيف ذلك ؟ فأخبره بخبره ، وقص عليه قصته ، فقال له رفيقه :

ما مثلك إلا مثل اللص والتاجر ، فقال له : وكيف كان ذلك ؟ قال :

زعموا أن تاجراً كان له فى منزله خابيتان ، إحداها مملوءة حنطة ، والأخرى مملوءة ذهباً ، فترقبه بعض اللصوص زماناً ، حتى إذا كان بعض الأيام ، تشاغل التاجر عن المنزل ، فتغفله اللص ، ودخل المنزل ، وكمن فى بعض نواحيه ، فلما هم بأخذ الخابية التى فيها الدنانير ، أخذ التى فيها الحنطة ، وظنها التى فيها الذهب ، ولم يزل فى كد وتعب حتى أتى بها منزله ؛ فلما فتحها ، وعلم ما فيها ندم .

— ٢٦٨ —

من أعجب ما حكى عن حاتم الطائى :

هو أن أحد قياصرة الروم بلغه كرم حاتم ، فاستغرب ذلك ، وكان قد بلغه أن لحاتم فرس من كرام الخيل عزيزة عنده ،

— ١٧٤ —

فأرسل إليه بعض حجابه يطلب منه الفرس هدية إليه . وهو يريد أن يمتحن سماحة حاتم بذلك ، ولما وصل الحاجب ديارطيء ، سأل عن بيوت حاتم حتى دخل عليه ، فاستقبله ، ورحب به ، وهو لا يعلم أنه حاجب الملك ، وكانت المواشي في المراعي حينئذ ، فلم يجد إليها سبيلا لقرى ضيفه فنحر الفرس ، ثم دخل إلى ضيفه ، بجارية فأعلمه أنه رسول قيصر ، وقد حضر يستميحه الفرس ، فساء ذلك حاتم ، وقال : هلا أعلمتني قبل الآن فإني قد نحرتها لك إذ لم أجد جزوراً غيرها ، فعجب الرسول من سخائه وقال : والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا .

مجاني الأدب

— ٢٦٩ —

كان للحكماء الأولين مثل يضربونه ويكتبونه في هياكلهم ومتعبداتهم وهو : « الملك الموكل بالدنيا يقول : إن ههنا خيراً وههنا شراً ، وههنا ما ليس بخير ولا شر ، فمن عرف هذه الثلاثة حق معرفتها تخلص مني ، ونجا سليما ، وبقي كريماً ، وملك نعيما عظيما » .

— ٢٧٠ —

يحكى أن أحد الأثرياء المقترين كان يبخل بانفاق ماله على أهله وعياله ، ويدعهم فى فقر وفاقة ، ولا يلتفت إلى طلباتهم فى شيء ، فاتفق أربعة من أولاده على أن يخطفوه ليلا من فراشه ، ويضعونه فى تابوت ويحملوه إلى الجبانة ، ويدفنوه حياً ، ويتخلصوا منه ، ويتصرفوا فى ماله ، ويوسعوا على أنفسهم بعد الضيق ، ولكنهم صادفوا حاكم المدينة ، وكان يمر فى جوف الليل تحفه خدمه وجلاوزته ، والمشاعل تنير له الطريق ، فسألهم : من أنتم ؟ ومن هذا الميت ؟ هذا الميت أبونا ، ونحن ذاهبون الآن لدفنه : فأحس النائم بما يدبر له ، وجلس فى التابوت وقال : أغثنى يا مولاى الحاكم ، فإنى والله حى لم أمت ، وهؤلاء يريدون دفنى حياً فأجاب الحاكم ، وكان معروفاً ببلاهته وحمقه يا أحمق ! أتريد أن أصدقك أنت وحدك وكذب هؤلاء الاربعة .

— ٢٧١ —

قيل :

يطلب الإنسان فى الصيف الشتا

فإذا جاء الشتا أنكره

لا بذا يرضى ولا يرضى بذا
قتل الإنسان ما أكفره

— ٢٧٢ —

نادرة .

كان ابن جميع الاسرائيلي من مشاهير الأطباء ، خدم السلطان صلاح الدين الأيوبي ملك مصر ، وحصلت له الحظوة عنده ، قيل : أنه كان يوما جالسا فى دكان،وقد مرت به جنازة ، ولما نظر اليها صاح ! يا أهل الميت ! إن صاحبكم لم يمت ، ولا يحل لكم دفنه ، فاندهش أهل الميت . ثم قالوا : فاضرنا لوطلبنا منه بيان حقيقة ما يقول ؟ وقالوا : فلنفرض أنه حى فى الواقع ، فما الحيلة إلى إعادة والحس والحركة فى وجـــوده ؟ فقال : اذهبوا به الآن إلى حمام ساخن ،،وصبوا على جسمه الماء بالتوالى إلى برهة من الوقت ، ثم لفوه بأثواب صوفيه مبطنة وبادروا فى كبسه فستشاهدون أنه يأخذ فى التململ أولا ثم الحركة ثم النهوض والجلوس والعودة إلى الحياة المعتادة بعد ذلك ، فعملوا بما أوصاهم به ، وانقلب الميت حياً ، ولما سألوه عما كشف له هذا السر العجيب ، قال : إنى شاهدت إن احدى رجليه تتحرك حركة رادية وهو فى التابوت فحدست أنه حى لم يمت .

— ٢٧٣ —

مرض لأحد الأغنياء ولد فدعا طبيباً ماهراً عرف مرضه ، فأحضر له كرة ، وقال له : إلعب بها كل يوم فى الخلاء فإن دواءك فى ذلك ، فأطاع الصبى أمر الطبيب ، وبعد أيام قليلة شفى من مرضه ، فسألوا الطبيب عن السبب ، فقال : سبب شفائه هو الحركة والرياضة لأن الصحة فى الحركة والعمل ، والمرض فى البطالة والكسل .

— ٢٧٤ —

قال المسعودى الجغرافى العربى الشهير : ليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل ، وفى ذلك يقول :

كأن النيل ذو فهم ولب
لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم إليه
ويمضى حين يستغنون عنه

وقال أيضاً :

أنظر إلى النيل السعيد وقد أتى
فى عسكر الموج المدبد معبسا

حفر البلاد فسلمته أرضها
فكسى ثراها حين ولى سندساً

قال المسعودى : ومن عادة النيل أنه إذا كان عند ابتداء زيادته يخضر ماؤه ، فيقول أهل مصر : توحم النيل ، ويرون أن الشرب منه مضر ، وسبب ذلك أن البطيحات إذا تناقص النيل عن الزيادة ينقطع عنه الإمداد من المياه ، فيتغير ماؤه من لونه ويخضر ، فإذا زار النيل ساق تلك المياه القديمة التى هى فى أعالى النيل التى كانت راكدة ، فيقول العوام : قد توحم البحر ، وقيل فى المعنى :

عجب لنيل ديار مصر لأنه
عجب إذا فكرت فيه يعظم
يطأ الأراضى فهى تلقح دائما
من مائه وهو الذى يتوحم

ومن عجائب النيل : أن فيه فرس البحر ، قال عبد الله بن أحمد الإسرائيلى : أن فرس البحر فى غلظ الجاموس قصيرة القوائم ، ولها أخفاف ، وهى فى ألوان الخيل ، ولها معرفة وأذنان صغيرتان كأذنى الخيل ، ولها ذيل مثل ذيل الجاموس ، ولها صهيل كالخيل ، ولها أنياب كأنياب السباع ، ولها حافر مشقوق كحافر

البقر ، إذا ظفرت بالتمساح تأكله . وإذا طلعت إلى البر يحصل منها الضر الشامل لأهل النواحى فترعى الزروع ، فإذا حصل منها ضرر . ولا زمت تلك الجهات ، يطرح لها أهل القرى شيئاً من الترمس فى الموضع الذى تطلع منه ، فتأكله وتعود إلى الماء فإذا شربت ، ربا ذلك الترمس فى جوفها ، فتنتفخ فتموت ، وتعلو على وجه الماء ، وقيل إن المكان الذى يسكن فيه لا يقيم به التمساح ، وأكثر ماترى فرس البحر ، فى دنقلة وأسوان من جهات الصعيد.

وقال الكندى : أن النيل أشرف أنهار الأرض ، فإنه سقى عدة أقاليم من ديار مصر ، وماؤه أفضل المياه ، وبذلك يشهد جماعة من الحكماء منهم بن سينا ، وابن نفيس ، وذكروا أن ماءه يهضم كل المياه الرديئة ، ويقوى المعدة ، لأنه يمر على أرض الذهب ، وقال بعضهم : الشرب من ماء النيل ينسى الغريب الوطن وأعظم من هذا كله ما جاءت به أخبار الشريعة أن منبعه من الجنة من تحت سدرة المنتهى ، وقد ورد بذلك أخبار نبوية ، قال الشيخ زين الدين بن الوردى :

ديار مصر هى الدنيا وساكنها
هم الأنام فقابلها بتفضيـــل

يا من يباهى ببغداد ودجلتها
مصر مقدمة والشــــرح للنيل

— ٢٧٥ —

أحب الناس :

أحبكم إلى الله أنفعكم لعياله .

حديث شريف

قال أبو دلف :

أطيب الطيبات قتــــل الأعادى
واختيالى على متون الجياد
ورســـول يأتى بوعد حبيب
وحبيب يأتى بــــلا ميعاد

— ٢٧٦ —

وفد بدوى على أمير عربى فى بعض النواحى ، وكان من أهل حيه ، فسأله الأمير العربى قائلا : كيف تركت الحى ؟ قال : بخير وأمان ؛ وكيف ولدى عمير ؟ قال : زهرة الحى وسيد شبابه ؛ وكيف زوجتى أم عمير ؟ قال : تفتن الحى بقوامها الجميل، وثيابها المعصفرة ؛ وكيف جملى زريق ؟ قال : يرعى وينعم ؛ وكيف كلبى يعسوب ؟

قال : ملأ الحى نباحا وصراخا ، وكيف دارى البيضاء ؟ عامرة بأهلها .

ثم حضر الطعام وأخذ الأمير يأكل دون أن يدعو الأعرابى لتناول الطعام معه ، ثم استأنف الأمير قائلا : نعم يا ميمون النقيبة أخبرنى مرة أخرى .

كيف تركت الحى ؟ قال : خرابا بلقعا

وكيف كلبى يعسوب ؟ قال : لقد اختنق بعظمة فى حلقه ، وأى عظمة ؟ عظم جملك زريق ، أو مات زريق ؟ نعم مات ، ولم ؟ من كثرة ما حمل الماء فى مصاب أم عمير ، أو ماتت أم عمير ؟ نعم ، فما أماتها لا أم لك ؟ أماتها شدة الحزن والكمد على مصاب ولدها عمير ، أو مات عمير ؟ نعم ، ما الذى أمات ولدى عمير ثكلتك أمك ؟ سقطت الدار على راسه فمات لساعته . فثار الأمير غاضبا ونهر الأعراب قائلا . ابتعد عنى يا زنيم قتلك الله .

— ٢٧٧ —

كلمه عن الزرادشتية :

ليس المؤمن فى نظر زردشت (النبى الفارسى) من يعمل الخير ويتجنب الشر ، إنما المؤمن من يعمل الخير ويقاوم الشر ؛ إنه

زردشت لا يوافق على السلبية فى الدين ، ويقول : « إن إثم من يرى الشر ويسكت عنه لا يقل عن إثم من ارتكب الشر ذاته .

ويعتقد زردشت أن للخير أعوان وللشر أعوان وهم ملائكة خلقهم الله ليقوم جمع منهم بحماية الدين وجمع بحماية الشجعان الذين يدافعون عن الوطن . ويعملون لصالحه ، وجماعة لحمايه الحكومة الصالحة ، وجماعة لحماية الفكر الطيب والحيوانات النافعة . وإن كل من يكذب يثير غضب ملاك الإستقامة ، وملاك الصدق (آشنار) عليه .

ويحث زردشت المؤمنين على تكوين الأسرة ، والوطن الناهض فى رأيه هو المجتمع الذى تكون من الأسر الصالحة ، فيحث لذلك على الزواج ، والرجل المتزوج خير من الأعزب ، ومن له ولد واحد خير ممن ليس له ولد ، وكل ما زاد أبناء الرجل زادت تقواه فى ربه ، إن زردشت أتى بمذهب عملى لإصلاح شأن أمته ، أتى فى النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد ، وقبل دعوته « كشتاسب » وكتابه يسمى « الأوستا » وشرحه « زند أوستا » وله تفسير آخر إسمه « پازند » .

نشر دعوته فى إيران والبلاد المجاورة لها . واسكن الطوائف

التترية والمتوحشة أخذت تناوئه وتعمل على حربه إلى أن قتل في إحدى المعارك التي وقعت له معهم .

ومن تعاليم زردشت . أن الروح لا تفنى ، وأن الناس يجازون عن أعمالهم يوم القيامة إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

ويخاطب زردشت العذارى ويوجههن إلى لزوم التحلى بالخلق الطيب ويقول لهن : « اسلكن طريق الخير حتى تسعدن طريق الخير » « المرأة الطيبة هى كالملاك » « والمرأة الخبيثة كالشيطان »

— ٢٧٨ —

أتى جماعة فى محفل على أحد الكبراء فأشاروا بأوصافه الجميلة وبالغوا باطرائه ، فرفع إليهم رأسه وقال أنا نفسى الذى أعرف من أنا .

كفيت أذى يا من تعد محاسنى
علانيتى هـــذا ولم تدر باطنى
لى ظاهر حسن فى العين منظره
وباطنى قبحه ما زال من شغلى
يستحسن الناس فى الطاووس رونقه
وقبح رجليه يدعوه إلى الخجل

— ٢٧٩ —

إن لفظة شهر فى الفارسية بمعنى المدينة فاتفق أن سأل أحدهم من رجل فارسى ، كم يوماً من هذه الشهر ؟ فأجابه : المعذرة يا أخا العرب إنى رجل غريب وليس لى معرفة بهذه المدينة .

— ٢٨٠ —

جاءوا إلى أحد الأغنياء يسألونه كفنا لجار له مات ، فقال : ما عندى الآن شيء ولكن عاودونى لوقت آخر لأنظر فى هذا الطلب .

— ٢٨١ —

قيل : أن هارون الرشيد أرق ذات ليلة ، فقام يتمشى فى قصره بين المقاصير ، فرأى جارية من جواريه نائمة ، فأعجبته فداس على رجلها ، فانتبهت فرأته ، فاستحيت منه وقالت : يا أمين الله ما هذا الخبر ؟ فأجابها يقول :

قلت ضيف طارق فى أرضكم
هل «تضيفوه» إلى وقت السحر ؟
فأجابت : بســـرور سيدى
أخدم الضيف بسمعى والبصر

فبات عندها إلى الصباح ، فلما كان الصباح سأل : من بالباب من الشعراء ؟ قيل له : أبو نواس ، فأمر به فدخل عليه ، فقال : هات ما عندك على وزن . . ، يا أمين الله ما هذا الخبر . . . فأنشد يقول :

طال ليلى وتولانى السهر فتفكرت فأحسنت الفكر

إلى أن يقول :

فإذا وجه جميـــل مشرق زانه الرحمن يزرى بالقمر
فلمســـت الرجل منها موطئاً فدنت منى ومدت بالبصر
وأشارت لى بقول مفصح يا أمين الله ما هذا الخبر ؟
قلت ضيف طارق فى أرضكم هل تضيفوه إلى وقت السحر ؟

إلى آخر البيتين

فتعجب أمير المؤمنين وأمر له بصلة .

— ٢٨٢ —

قال الأبشيهى :

ومما حكى أن عبد الملك بن مروان جلس يوماً وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته ، فقال : أيكم يأتينى بحروف المعجم من بدنه ؟ فله على ما أراد ، فقام إليه سويد بن غفلة ، وقال : أنا

لها يا أمير المؤمنين قال : نعم . أنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق خد . دماغ ، ذكر ، ركبة ، زند ، ساق ، شفة ، صدر ضلع ، طحال ،ظهر ، عين ، غبغب ، فم ، قفا ، كف،لسان ، منخر ، نقنوع ، هامة . وجه . يد . وهذه آخر حروف المعجم والسلام ، فقام إليه رجل من أصحابه وقال : أنا أقولها من جسد الإنسان مرتين . فقال : ماذا تقول يا سويد ؟ قال أنا أستطيع أن أقولها ثلاثاًفقال:هاتها ولك ماشئت ، فأخذ يقول« أنف .أسنان . أذن . بطن بنصر . برة » ، « ترقوة . تمرة . تبنه » ، « ثغر . ثنايا، ثدى »،« جمجمة.جنب . جبهة » ، « حلق . حنك. حاجب »، « خد . خنصر . خاصرة » ، « دبر . دماغ . درادير » ، « ذكر . ذقن . ذراع » ، « رقبة . رأس . ركبة » ، « زند . زردمة. زب »، فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلق على قفاه ، « ساق . سرة . سبابة » ، « شفة . شعر . شارب » ، « صدر . صدغ . صلعة » ، « ضلع . ضفيرة . ضرس » ، « طحال . طرة . طرف » ، « ظهر. ظفر . ظلمة » ، « عين . عنق » ، « عيانق » ، « غبغب . غلصم . غنه » ، « فم . فك . فؤاد » ، « قلب . قد . قدم » ، « كف . كتف .كعب » ، « لسان . لحية . لوح » ، « مرفق . منخر . منكب » ، « نعنوع . ناب » ، « هامة . هبلة . هيكف » ، « ورك .

وجنة . وجه » ، « يمين ، يسار . يا فوخ » ثم نهض وقبل الأرض بين يدى عبد الملك فضحك الخليفة وقال : ما زدتنا على ما علمنا ، ولكن أبهجتنا وسررتنا . ثم أجازه وأنعم عليه .

— ٢٨٣ —

النصف السهل :

ألقى الواعظ بجسمه المتعب على الكرسى وقال لزوجته : إنى فى هذا اليوم حاولت إقناع المصلين أن من واجب الأغنياء مساعدة الفقراء ، فسألته زوجته : وهل أقنعتهم ؟

فقال الواعظ : لقد حققت نصف نجاح ، لقد أقنعت الفقراء

— ٢٨٤ —

قال حجا يوما من على المنبر للناس :

هل تدرون ماذا أقوله لكم اليوم ؟ قالوا : لا قال : فماذا أقول لكم إن كنتم لا تدرون ؟ وسألهم مرة أخرى ، فأجابه الحاضرون خوفاً من أن يحييهم كالسابق ، فقالوا : نعم ، قال : فما أقول لكم إن كنتم تدرونه . وسألهم فى المره الثالثة ، فأجاب بعض الحاضرين بنعم ، وبعضهم بلا فقال : حسناً ! فاليذكر الذين يعرفون قولى للذين لا يعرفونه .

— ٢٨٥ —

خرج ولم يرجع :

قال رجل لابن شبرمة : من عندنا خرج العلم إليكم ، قال : نعم ، ثم لم يرجع إليكم .

— ٢٨٦ —

منتهى البخل :

استيقظ أحد البخلاء ذات صباح ، وذهب ليوقظ زوجته ، فهزها ، فلم تجب ، فأعاد الهز ، فلم تتحرك ، ثم أحدق النظر فيها فوجدها ميته ، فأسرع ينادى خادمه . قائلا . يارباح ! لا تسلق اليوم غير بيضة واحدة للفطور .

— ٢٨٧ —

المطر :

كل موضع فيه مادة « مطر » فى القرآن الكريم فهو فى العذاب ، قال تعالى : « وأمطرنا عليهم حجارة من السماء » « وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين » إلخ .

من كلام على عليه السلام :

الروح فى الجسد كالمعنى فى اللفظ ، » قال الصفدى ، والله ما رأيت مثالا أحسن من هذا .

— ٢٨٨ —

يقال : أن أشعب الطماع كان يسير يوما بشارع ، فرآه الصبيان وعرفوه ، وأخذوا يسخرون منه ويصفقون حوله ويجرون أذياله ، ويضحكون فى وجهه ، فأراد الخلاص منهم ، فقال لهم : ويحكم ألم تعلموا أن سالم بن عبد الله يفرق التمر على الصبيان لأنه نذر نذراً فأعطاه الله ما أراد ؟ فاركضوا وخذوا نصيبكم ، فتركه الصبيان وطفقوا يجرون إلى دار سالم بن عبدالله ، فلما رأى أشعب أن الحيلة قد انطلت على الأطفال ، أخذ يفكر فى نفسه ويقول : ما يدرينى لعله يكون هذا الكذب صدقاً ويفرق سالم التمر حقيقة فأبقى أنا محروما من هذا الرزق الذى رزقنى من حيث لا أحتسب ، قال هذا وأسرع خلف الأطفال .

— ٢٨٩ —

من الأمثال :

اللسان الذى طوله ثلاث عقل ، قد يقتل رجلا طوله ستة أقدام .

ـ الحسناء يملكها رجل واحد ؛ ولكنها تملك قلوب الكثيرين .

— ٢٩٠ —

جلس أحد الملوك مع وزيرله يأكلان ، فجيء بطعام من الباذنجان أعجب به الملك ، وأبدى ذلك للوزير الذى أخذ يطرى الباذنجان ، ويعدد فوائده حتى أرسلها إلى عشر فوائد ؛ وفى يوم آخر جلسا يأكلان فجيء بالباذنجان ، فلم يعجب الملك وتضايق منه ، فجعل الوزير يذمه ، ويعد صفاته الرديئة حتى أوصلها إلى عشر ، فدهش الملك ، ولم يتمالك أن قال لوزيره : ألست أنت نفسك الذى عدد منذ زمن قريب محاسنه ؟ فأجاب الوزير : لأننى يا مولاى وزير الملك ، ولست وزير الباذنجان .

— ٢٩١ —

قيل :

أنه بعث رجل سنى إلى صديق له شيعى وقرا من الحنطة ممزوجة بالتراب يقصد ممازحته والسخرية منه ولكن الشيعى قبل الحنطة بعكس ما كان يتوقع صديقه السنى وكتب إليه رسالة شكر يقول فيها : قبلنا إحسانك اليوم كما قبلنا ــ أبا تراب ــ

— ١٩١ —

من قبل . يريد بذلك خلافة على بن أبى طالب لأنه كان يكنى بأبى تراب .

الكشكول

قيل أن عبدا أسود كان يكتب رسالة ، فسقطت نقطة من الحبر الأسود من قلمه على القرطاس ، فقال له أحد الظرفاء : نشف عرقك يا هذا .

— ٢٩٢ —

قيل :

إن معاوية بن إياس نظر إلى رجل غريب لم يره قط ، فقال : هذا غريب واسطى معلم كتاب ، وقد هرب له غلام أسود ، فقيل له : من أين علمت كل ذلك ؟ فقال . رأيته يمشى ويلتفت إلى ما حوله فحدست أنه غريب ، ورأيت على ثيابه حمرة تراب واسط فعلمت أنه واسطى ، ورأيته يمر بالصبيان ويلتفت إليهم بينما لا ينظر إلى الرجال فعلمت أنه معلم كتاب ، وإذا مر بأسود دنا منه وحقق النظر فى وجهه فعلمت أن غلاما أسود قد هرب منه .

— ١٩٢ —

القوة الحقيقية :

« لقد أدركت أن القوة الحقيقيه هنا ، عند الفقراء ، فى جامعة الألم ، فى رابطة المحبة ، فى نعمة الرحمة ، فى عظم التضحية »

— ٢٩٣ —

وضع أحد المشتغلين بالتنويم المغناطيس كتاباً فى هذا العلم ، ثم حدث أن إلتقى بعد نشر الكتاب بصديق له . فسأله : هل قرأت كتابى .؟ فقال : طبعاً ، وهل أعجبك؟ مدهش : نمت وأنا أقرأ أول صفحة .

— ٢٩٤ —

قال معاوية يوماً لعقيل بن أبى طالب ، وكان قد كف بصره ، ما لكم يا بنى هاشم تصابون بأبصاركم فى آخر حياتكم ، فقال : ومالكم يا بنى أمية تصابون ببصائركم طوال حياتكم .

وأراد معاوية أن يسخر من الحسن بن على عليه السلام وكان

كث اللحية ، فقال مشيراً إلى لحية الحسن : ما هذا الذقن الذى ينبت فيه الشعر بهذه الكثافة ؟ فأجاب الحسن من فوره مشيراً إلى لحية معاوية التى كانت كوسجة (قليلة الشعر) : والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا .

— ٢٩٥ —

قال أبو حيان التوحيدى :

للفرس السياسة والآداب والحدود والرسوم ؛ وللروم العلم والحكمة ، وللهند الفكر والروية والخفة والسحر والأناة ، وللترك الشجاعة والإقدام ، وللزنج الصبر والكد والفرح ، وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذمام والخطابة والبيان .

— ٢٩٦ —

جاء فى كتاب الجليس والأنيس :

أن أبا إسحاق بن مؤيد كان ذات يوم فى داره بالمدينة ، فدخل عليه أحد أصحابه وقال له : هل لك أن تخرج بنا إلى العقيق أو إلى قبا أو إلى ناحية من قبور الشهداء ؟ فإن هذا اليوم كما ترى طيب الهواء ، فقال : اليوم يوم الأربعاء ولا أبرح فيه من

منزلى ، فقال له . وما يكون من يوم الاربعاء وهو يوم ولدفيه يونس بن متى ، فقال : بأبى وأمى صلوات الله على يونس فقد إلتقمه الحوت ، فقال : ويوم نصر الله فيه رسوله « يوم الأحزاب ، فقال : أجل بعـــد ما زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر .

— ٢٩٧ —

يحـكى أن هارون الرشيد قال يوما للفضل بن عباس : ما أزهدك ؟ فقال له الفضل . أنت أزهد منى لأنى أزهد فى الدنيا وهى فانية ، وأنت تزهد فى الآخره وهى باقية .

— ٢٩٨ —

من آثار الشيخوخة :

ذهب شيخ مسن إلى طبيب ، فسأله الطبيب : بماذا تشعر ؟ قال : بضعف الشهية وقلة النوم ، قال : هذه يا عماه من لوازم الشيخوخة ، قال : وأشعر أيضاً بتراخ فى أعصابى ، قال : وهذا أيضاً من لوازم الشيخوخة يا عماه ، فغضب الشيخ وقال : ويحك قبحك الله من طبيب ، فضحك الطبيب وقال : وهذه أيضاً من مستلزمات الشيخوخة يا عماه .

— ٢٩٩ —

من الأمثال :

— حمار يحملك ، خير من حصان يرميك على الأرض .

— الوجه الحسن هو أقوى خطاب توصية يحمله صاحبه .

ومن يك ذا فم مر مريض
يرى مرا به العذب الزلالا

— ٣٠٠ —

يقال أنه فى أيام كسرى جاءت امرأة إلى بزرجمهر ، وسألته عن مسألة ، إلا أنه لم يكن مستعدا لها فى تلك الساعة ، فقال : لا أدرى ، فقالت المرأة : إذا كنت لا تدرى فيم تأكل نعمة الملك ؟ فقال بزرجمهر . آكلها بما أدرى ، ولا يعطينى الملك شيئا عما لا أدرى ، وإذا كنت لا تعرفين ذلك فتعالى واسألى الملك .

— ٣٠١ —

قال الطغرائى يعزى أمين الملك :

فصبرا أمين الملك إن عن حادث
فعاقبة الصبر الجميل جميل

ولا تيأسن من صنع ربك إننى
ضمين بأن الله سوف يديل

ألم تر أن الليل بعد ظلامه
علينا لإسناد الصباح دليل ؟

وأن الهلال النضر يقمر بعدما
بدا وهو تحت الخائنين ضئيل

وقد يعطف الدهر الأبى عنانه
فيشفى مريضاً أو يبل عليل

ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما
تساقط ريش واستطار نسيل

ويستأنف الغصن السليب نضاره
فيورق مالم يعتريه ذبول

وللنجم من بعد الرجوع استقامة
وللحظ من بعد الذهاب أفول

— ٣٠٢ —

قلب المرأة :

عندما تكره المرأة رجلا إلى درجة الموت ، فتيقنوا أنها كانت تحبه إلى درجة الموت .

— ٣٠٣ —

فى شارع جديد فى باريس ، افتتح أحد الخياطين محلا علق على واجهته لوحة كتب عليه : « أحسن خياط فى باريس » وفتح ثان محلا فى نفس الشارع كتب عليه : « أحسن خياط فى فرنسا » وجاء ثالث فكتب : « أحسن خياط فى العالم . وجاء رابع فواجهته مشكلة . . ماذا يكتب . . ؟ وأخذ يفكر طويلا حتى انتهى أخيرا إلى الحل . . أتدرى ماذا كتب « أحسن خياط فى هذا الشارع » .

— ٣٠٤ —

أهدى بعضهم إلى عمر بن عبد العزيز هدية ، فرفضها فقيل له : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدايا قال : كانت الهدية تقدم إلى رسول الله على أنها هدية ، أما لنا فهى رشوة . ولعن الله الراشى والمرتشى .

أقوال

بعض النساء مثل الزهور الصناعيه ، يسر المرء منظرها ، ولا يلتذ بمخبرها ، أى أنه إذا اقترب منها وشمها يجدها بلا عطر ولا رائحه .

دموع الأطفال توسلات ، فإذا لم تجفف فهى أوامر ، أما دموع الحسناوات فهى أحلى من ابتساماتها ، ودموع العذارى أبطش سلاحا ، وضحكهن أمضى سيف .

قال شوقى :

خدعوها بقولهم حسناء　　والغوانى يغرهن الثناء
فوا آها تناست اسمى لما　　كثرت فى غرامها الأسماء
نظرة فابتسامة فسلام　　وكلام فموعد فلقاء
فلقاء يكون فيه شفاء　　أو فراق يكون فيه الداء

وقال الشافعى :

مرض الحبيب فعدته　　فمرضت من حذرى عليه
وأتى الحبيب يعودنى　　فبرئت من نظرى إليه

— ٣٠٦ —

قال على عليه السلام : يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم .

وقال : إنى استحق أن أظلم من لا ناصر له غير الله ،

البشر ثلاثة :

ـ شخص يحب المرأة وهو الرجل

ـ وشخص يزهد فى المرأة ، وهو الناسك

ـ وشخص يكره المرأة ، وهو المرأة .

سئل رويم عن التصوف ، فقال :

الصوفى هو الذى لا يملك شيئا ، ولا يملكه شىء .

— ٣٠٧ —

تراهن رجلان من العرب على إغضاب معن بن زائدة الشيبانى وكان مضرب المثل فى الحلم والرزانة فمثل أحدهما أمامه وقال :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة　　وإذ نعلاك من خفى بعير

فقال معن : نعم أذكر ذلك ولا أنساه .

فقال الأعرابي :

فسبحان الذى أعطاك ملكا . . وعلمك الجلوس على السرير

قال معن : نعم سبحان الذى يعطى ويمنع ، فقال الأعرابي :

واست مسلما ما عشت دهرى على معن بتسليم الأمير

فقال معن : السلام سنة ، فقال الأعرابي :

سأرحل عن بلاد أنت فيها ولو جار الزمان على الفقير

قال معن : إن جاورتنا فحبا وكرامة ، وإن فارقتنا صحبتك الصحة والسلامة ، فقال الأعرابي :

فجد لى يا ابن ناقصة بمال فإنى قد عزمت على المسير

قال معن : أعطوه ألف دينار كى تسهل مشاق الأسفار ، فقال الأعرابي :

قليل ما أمرت به وإنى لأطمع من نوالك بالكثير

قال معن : أعطوه ألفا ثانية كى يكون عنا راضيا ، قال الأعرابي :

سألت الله أن يبقيك ذخرا فمالك فى البرية من نظير

فمنك الجود والأفضال حقا وفيض يديك كالبحر الغزير

قال معن : أعطيناه ألفين على هجرة لنا ، فاعطوه أربعة على مدحه ، فأخذها الرجل وانصرف شاكرا نادما على مافرط منه فى حقه .

— ٣٠٨ —

من جملة من استقبل المهدى عند قدومه إلى البصرة النحاة والعلماء ، يتقدمهم إياس بن معاوية وكان شابا يافعا ، فاستحضره المهدى وقال : ألم يكن فيهم من يتقدمهم غير هذا الحدث ؟ ، فقال له : وكم سنك يافتى ؟ قال : سن أسامة بن زيد بن حارثة ، حين أمره رسول الله على جيش فيه وجوه المهاجرين والأنصار : فقال له : تقدم بارك الله فيك .

— ٣٠٩ —

أمثلة فارسية :

— كل شيء يصلح بالملح ، فآه لو فرة الملح .
— انظر إلى المظهر ، ولا تسأل عن المخبر .
— ليس للجائع إيمان .
— المقيد بالسلاسل مع الأحبة خير من الطليق مع الأعادى فى البستان .

الابتسامة :

الابتسامة عنوان الشعور ، والشعور عنوان الإنسانية ، ولو أن الشيطان ابتسم لما طرد من الجنة .

برناردشو

— ٣١٠ —

سألوا حكيما :

هل لك أعداء ؟ قال لا ؛ قالوا : ولم ؛ قال : لأنى ليس لى أقارب ؛ قالوا : هل تشعر بالهم ؟ قال : لا ، قالوا ولماذا ؟ قال : لأنى لست مدينا ، قالوا : هل تشعر بمرض ؟ قال : لا ، قالوا : ولم ؟ قال : لأنى لست حسودا ، قالوا : فما أحب الأشياء إليك ؟ قال السفر ، قالوا : ولماذا ؟ قال : لأن فيه كمال معرفتى بالخالق والمخلوق .

وسئل رجلا طروب لا يبالى بالدنيا :

لماذا لم نجدك مغتما قط ؟ فقال : إن جميع المكاره قسمان : قسم فيه حيلة ، فالاحتيال دواؤه ، وقسم لا حيلة فيه ، فالصبر دواؤه .

— ٣١١ —

جائزة بألف جنيه :

أعلنت إحدى دور النشر تقول : أنها فى حاجة إلى قصة سينمائية يشترط فيها :

أن تكون خالية من حوادث القتل والسرقة والمواقف الغرامية ومن مناظر الحب والخطبه والزواج والطلاق والخيانة

— ٢٠٣ —

الزوجية وظلم القوى للضعيف ، ويشترط أن لا تحتوى القصة على مناظر الغناء والرقص والكباريهات وعصابات التهريب ، وانتصار الفقر على الغنى أو الشرف على النذالة ، ويجب أن تخلو القصة من السيارات والتليفونات وقطارات السكك الحديدية وعربات الحمل ، كما يشترط فى القصة أن لا تكون تاريخية ، وأن لايظهر فيها مناظر الصحراء والبحر ولاالمستشفيات ، ولا المسارح ولا السجون ولا الجيوش ولا رجال البوليس ولا المحاكم ولا السباق ولا المساجد ولا المعابد والجائزة ألف جنيه .

— ٣١٢ —

تلقى عمدة نيورك الخطاب التالى :

عزيزى : إنى فى حيرة شديدة ، لأن من عادتى قبل النوم أن أستمع إلى آخر الأنباء فى الراديو ، وأنا مستلقية على فراشى وإلى هنا والأمر عادى ، ولكن المشكلة أنه فى نهاية الأخبار يذاع النشيد الوطنى ، فأضطر إلى القيام بعد رقودى ، وأنا أغالب النعاس ، وأقف من فورى احتراما للنشيد الوطنى ، مما جعلنى أصبح فى غاية الإنهاك ، فهل تسمح لى بتحية النشيد وأنا مستلقية فى فراشى ؟ وأحيل الخطاب إلى لجنه من الخبراء ليقرروا : هل يجوز استماع وتحية النشيد الوطنى على سرير النوم أم لا ؟ وأخيرا

— ٢٠٤ —

بعد اجتماعات ومناقشات قررت اللجنة بأن على السيدة ، أن تغلق الراديو قبل إذاعة النشيد .

— ٢١٣ —

هذه هى السعادة :

« اللذة الحقيقية التى تجعل للحياة قيمة ، ليست حيازة الذهب ولا شرف النسب ، ولا علو المنصب ، ولا شيئا من الأشياء التى يجرى وراءها الناس عادة ، وإنما هى أن يكون الإنسان قوة عاملة ذات أثر خالد فى العالم » .

— ٣١٤ —

جمع الرجل البخيل أولاده عندما شعر بدنو أجـــله ، وقال لهم : إنى لا آمل البقاء أكثر من هذا ، فإذا أنا مت ، فلا تسرفوا فى نفقات جنازتى ، ومراسم دفنى ، وإذا ما قال لـكم أحد : إنى رأيت والدكم فى المنام . يلتمس منـــكم إطعام المساكين ، والرحمة على البائسين . فلا تصدقوه ، واعتبروا قوله أضغاث أحلام .

— ٣١٥ —

قالوا :

من تخلق بالخلق الجميل وله خلق سوء أصيل ، فتخلقه لا محالة زائل ، وهو إلى خلقه الأول آيل ، كحلى الذهب على النحاس ، ينسحق ، وتظهر صفرته للناس .

جعفر بن محمد

ما الجذع مما لابد منه ، وما الطمع مما لا يرجى ؟

عمر بن عبد العزيز

— ٣١٦ —

قرأ العلامة الأستاذ الشيخ جعفر النقدى كتابنا عمران بغداد ، وتفضل بتأريخ صدوره بالأبيات التالية :

« عمران بغداد » كتاب قد حوى
ما لم تكن تحويه كتب الأدب
لله در كاتب أجاد به
فإنه فاز بأسمى الرتب
كتاب فضل « صادق » أنشأه
أرخته : فجاء خير الكتب

— ٢١٦ —

هشاشة :

أعالج من نفسى بقايا حشاشة
على رمق ، والعائدات تعود
فإن ذكرت لبنى هششت لذكرها
كما هش للثدى الدرور وليد

قيس بن ذريح

غريم :

باتا بأنعم ليلة حتى بدا صبح يُلوِّح كالأغر الأشقر
فتلازما عند الفراق ، صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

العرجى

— ٢١٧ —

القصير لا يظلم :

جلس انو شروان يوما للمظالم ، فأقبل عليه رجل قصير يصيح أنا مظلوم ، فقال كسرى : إنك قصير والقصير لا يظلم ، فقال الرجل : أيد الله الملك ، إن الذى ظلمنى هو أقصر منى ، فضحك كسرى وأمر بإنصافه .

— ٢١٨ —

رغم اشتهار النساء بالغدر ونكث العهد ، فإن هناك بعض

النسوة قد تجاوزن الوفاء فى الحب حتى آل أمرهن إلى التفانى والتضحية : ومنهن نائلة بنت الأحوص زوجة عثمان بن عفان .

وكان من خبرها أن سعيد بن العاص كان قد تزوج بأختها ، فبلغ عثمان ذلك فكتب إليه : بلغنى أنك تزوجت امرأة من بنى كلب ، فاكتب إلى نسبها وجمالها ، فكتب إليه : إنها بنت القرافصة بن الأحوص ، وأما جمالها فبيضاء مديدة ، والسلام ، فخطب عثمان أختها نائلة ولما أراد سعيد أن يبعث بها إلى الخليفة قال لها : اغتسلى وتطيبى واكتحلى حتى تكونى أظهر وأطيب وأجمل الشباب ، ولما حضرت عند عثمان أجلسها على سرير حياله ، ورفع العمامة عن رأسه فبدا الصلع فقال : يا أبنة القرافصة ، لا يهولنك ما ترين من صلع ، فإن وراءه ما تحبين ؛ فقالت : إننى لمن نسوة أحب البعولة إليهن الكهول ، ثم قال : إنك تجشمت متاعب السفر ، فأرجوا لك راحة السكن والمقام فإما أن تقومى إلى الآن أو أقوم إليك ، ثم قامت إليه وجلست إلى جانبه ، فمسح يده برأسها ، ودعى لها بالبركة ، وقال : إطرحى الآن عنك خمارك وإزارك ودراعتك ، فقالت : ذاك لك ، فخلعت وتعرت ، وأحبها وألف بها طول حياته ، واستمرت زوجة وفية فى بيته حتى واقعة يوم الدار ، إذ ألقت بنفسها على الخليفة وأخذت تنادى : اقتلونى ، اقتلونى ، اقتلونى معه ، اقتلونى قبله والسلام .

— ٣١٩ —

يروى أن الرشيد قال لابن السماك : عظنى ، وكانت بيد الرشيد شربة ماء ، فقال : ماذا تفعل يا أمير المؤمنين لو منعوك عن شرب هذا الماء ؟ فقال : أحاول أن أشربه ولو كلفنى الأمر نصف ملكى ، قال : فإذا شربتها ، وامتنعت عن الخروج ؟ قال : سأحاول دفع المانع بكل ملكى ، فقال : لا خير فى ملك يساوى شربة ماء وبولة .

— ٣٢٠ —

لغز عن النار :

وما إسم ثلاثى له النفع والضرر
له كلمة لا تشبه الشمس والقمر
وليس له وجـــه وليس له قفا
وليس له سمع وليس له بصر

وقيل فى لغز القلم :

وذى خضـــوع راكع ساجد
ودمعه من جفنه جارى
مواظب لخمـــس لأوقاتها
منقطع فى خـــدمة البارى

— ٣٢١ —

من ألطف ما سمعت أن أحد السواح ، شاهد فى إحدى المدن التى مر بها شيخا كبيرا طاعناً فى السن ، جالسا على باب دار وهو يبكى ، فسأله عن ذلك ، فقال : ضربنى أبى ، قال ولم؟ قال : لأنى نسيت السلام على جدى فى صباح هذا اليوم .

— ٣٢٢ —

صادف جحا فى طريقه مرآة مقلوبة ، فرفعها ونظر فيها ، فإذا فيها وجه رجل ، فتصور أن هناك رجلا ، فقلب المرآة على الأرض وقال : المعذرة يا سيدى ، ما كنت أعرف بوجودك هنا .

— ٣٢٣ —

ذكر خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقه :

قد أكثر الناس فى صفته واختلفت الرواية من طرق شتى وأحسن ما أراه حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه من رواية عيسى بن يونس عن مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد عن رجل من ولد على عن على أنه كان إذا نعت النبى صلى الله عليه سلم قال :

لم يكن بالطويل الممعط ولا القصير المتردد . كان ربعة من القوم لم يكن بالجعد القطط ولا السبط كان جعدا رجلا . ولم يكن

بالمطهم ولا المكلثم وكان فى وجهه تدوير أبيض مشرب حمرة . وأدعج العينين أهدب الأشفار جليل المشاش والكتد أجرد ذو مسربه . شثن الكفين والقدمين . إذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب وإذا إلتفت إلتفت معا ، بين كتفيه خاتم النبوة ، أجود الناس كفا وأحسن الناس صدراً وأصدق الناس لهجة . وأوفى الناس ذمة . وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة . من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه . لم يكن قبله ولا بعده مثله .

هذا رواية على كرم الله وجهه وهو أعلم به من غيره . وقد فسر أبو عبيدة غريب ما فى هذا الخبر .

— ٣٢٤ —

حديث :

السعيد من سعد فى بطن أمه ، والشقى من شقى فى بطن أمه

الأعشى عند كسرى :

سمع كسرى الأعشى يتغنى بهذا البيت :

أرقت ، وما هذا السهاد المؤرق
وما بى من سقم ولا بى تعشق

فقال كسرى : ما يقول هذا العربى ؟ قالوا : يتغنى ، قال بماذا ؟ قالوا زعم أنه سهر من غير مرض ولاعشق . قال : إذا فهو لص .

جاء فى حسن الأسوة فى النسوة :

منذ أن تعارف الشعبان العربى والفارسى وقامت بينهما الألفة بفضل الجوار وتبادل المنافع تعلق خاطر العرب وخصوصا أهل الذوق والأدب منهم بالآداب والفنون الإيرانية ومنها الغناء الذى أصبح فيما بينهم مضربا للأمثال فكانت نفوسهم تتوق إلى الغناء الفارسى حين سماعه فقط رغم أنهم لم يكونوا يتقنوا فهم معانيه وهذا ماحصل لأبى تمام بن حبيب الطائى الشاعر العربى إبان وجوده فى خراسان إذ تنشف سمعه بصوت مغنية حسناء بمدينة « أبرشهر » نيسابور . وأخذ غناءها بمجامع قلبه فأنشد يقول :

أيا سهرى ببلدة أبرشهر
ذممت إلى فى نومى سواها

شكرتك ليلة حسنت وطابت
أدام سرورها ومضى كراها

سمعت بها غناء كان أولى
بأن يقتاد نفسى من غناها

ومسمعة يحار الطرف فيها
ولا تسمعه لا تصمم صداها

مرت أوتارها فشفت وسأقت
ولو تسطع لحاسدها فداها

ولم أفهم معانيها ولكن
ورت كبدى فلم أجهل شجاها

فبت كأنى أعمى مغنى
يحب الغانيات ولا يراها

— ٢٢٦ —

نموذج من الشعر الصوفى .

جاء فى كتاب النشوة لما ثبت عن الله ورسوله فى القسوة نقلا عن كتاب يسبحه المرجان فى آثار هندستان ، لمؤلفة السيد غلام على آذاد ، كلام طويل عن العشق وتقسيمه إلى عشق الهى وعشق بشرى . وقد أورد فى نهاية الفصل الذى عقده للغرض المذكور الأبيات التالية التى ترمى إلى العشق الصوفى أى العشق الإلهى فى نظرهم :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا متمكنا

— ٢١٣ —

وقال غيره :

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها
سواها وما طهرتها بالمدامع

وتلتذ منها بالحديث وقد جرى
حديث سواها فى خروق المسامع

أجلك يا ليلى عن العين إنما
أراك بقلب خاضع لك خاشع

وقال غيره :

إذا كان هذا الدمع يجرى صبابه
على غـــير ليلى فهو دمع مضيع

— ٢٢٧ —

الحديث المعاد :

قال ابن السماك لجاريته : كيف ترين ما أعظ الناس به ؟ قالت : هو حسن . الا انك تكرره . قال : إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه . قالت : إلى أن يفهمه البطىء يثقل على سمع الذكى .

— ٣٢٨ —

قالوا :

الفرق بين الأديب والعالم هو :

أن الأديب يأخذ من كل شئ أحسنه فيألفه . والعالم يقصد فنا واحدا من العلم فيتعلمه فالأديب يستطيع التحدث إلى الجميع . والعالم لا يحدث إلا نفسه أو من كان فى صنعته .

— ٣٢٩ —

جاء فى الجزء الثانى من كتاب (معجم الأدباء) لياقوت نقلا عن أبى الحسن البيهق : أن السيد أبو على بنيسابور جمع بين أبى بكر الخوارزمى وبديع الزمان الهمذانى فى داره بأعلى « ملقابار » فتناظرا وتساجلا وتبادها بشتى فنون النظم والنثر وما يتصل بهما . فآل الأمر إلى الخصام بينهما . ولما أراد الخوازمى أن ينصرف خاطب الهمذانى قائلا :

لأتركنك بين الميمات .

فقال وما معنى الميمات ؟

قال الخوارزمى : بين مهموم . مهزوم . مغموم . مهدوم محموم مرجوم ومحروم .

— ٢١٥ —

فقال البديع : لأتركنك بين الهيام والسقام والسام والجذام والبسام . وبين السينات بين منحوس ومنكوس ومعكوس . وبين الخاءات . بين مطبوخ ومسلوخ وممسوخ ومنسوخ . وبين الباءات بين مغلوب ومسلوب ومنكوب .

فخرج البديع بالإجلال والإكرام وعاد الخوارزمى بالخزلان والحرمان .

— ٢٣٠ —

لا أرى عليك سرور الفهم :

قال بعض الحكماء لتلميذه ، وقد ضرب الموسيقى :

أفهمت ؟ قال : نعم .

قال : بل لم تفهم ، لأنى لا أرى عليك سرور الفهم !

— ٢٣١ —

كان سهل بن هارون وهو من مشاهير البخلاء ولعه الرجل الوحيد الذى صنف كتابا فى مزايا البخل وفضله ، فمن جملة ما كان يوصى به إبنه قائلا :

أى بنى : أن إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب إنفاق

الدوانيق ، وانفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب إنفاق الدراهم ، وانفاق الدراهم يفتح عليك أبواب إنفاق الدنانير .

— ٣٣٢ —

أتى الحجاج بأسرى من الخوارج فأمر بضرب أعناقهم ، فقام فيهم شاب فقال : « والله يا حجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت بالعفو » فقال الحجاج : « أف لهذه الجيف ! أما كان فيهم من يقول مثل هذا ؟ وأمسك عن القتل .

وكان معن بن زائدة قد أمر بقتل جماعة من الأسرى ، فقام أصغر القوم فقال له : « يا معن ، أتقتل الأسرى عطاشا ؟ » فأمر لهم بالماء : فلما سقوا قال : « يا معن ، أتقتل ضيفانك فأمر معن بإطلاقهم .

— ٣٣٣ —

قال ابن زرعة :

كنت أعرف رجلا يدعى الجهمى مشتهراً بتلفيق الأكاذيب العجيبة ومن جملتها أنه كان يقول عند الكلام على النعناع .

ينمو عشب النعناع فى البلد الفلانى نمواً عجيباً وتكون سيقانه من الطول والمتانة بحيث يصنعون منه السلالم والأعمدة والسقف . وما أن سمع أحد الحضور هذه الأكذوبة حتى قال . نعم . أنه

— ٢١٧ —

يوجد فى بلاد السند هند طيور تبيض كل سنة بيضة واحدة أصغر من بيض العصافير ولكن إذا نامت عليها تلك الطيور شهراً واحداً تنمو ويزداد حجمها وتتسع وتفقس ويخرج منها بيوت ومنازل آهلة بالسكان . فقال ثالث : أذكر أننى كنت أصلى الجمعة فى أحد مساجد غرناطة بالأندلس . وما أن صعد الإمام على المنبر لتلاوة الخطبة إلا ورأيناه قد سقط ومات لساعته . فذهب جماعة وجاءوا بإمام آخر ليقوم بالخطبة . والعجيب أننا تفرسنا فى وجهه فوجدناه أنه الشيخ عبد الباسط الذى كان أمام هذا المسجد بعينه . وتوفى فى الطاعون الذى وقع منذ عشرة أعوام فى غرناطة نفسها .

— ٢٣٤ —

حكمة :

ماضى يومك فائت ، وآتيه متهم ، ووقتك مغتنم ، فبادر فيه فرصة الإمكان ، وإياك بأن تثق بالزمان .

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

علم لا يصلحك ضلال .

— ٢٣٥ —

كان السيد المرتضى نقيب العلويين ببغداد يكره المتنبى الشاعر

— ٢١٨ —

كرها شديدا فاتفق أن حضر أبو العلاء المعرى . ذات يوم بمجلسه وبادر فى مدح المتنبي فقال :

لو لم يكن للمتنبي من الشعر الا قوله :
لك يا منازل فى القلوب منازل

لكفاه فضلا فغضب المرتضى وأمر بسحبه من رجله وأخرجه من مجلسه . ثم قال لمن بحضرته أتدرون أى شئ أراد هذا الأعمى من هذه القصيدة فإن للمتنبي ما هو أجود منها . فقال النقيب السيد أعرف ذلك : ثم قال يريد : —

قوله فى هذة القصيدة :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص ... فهى الشهادة لى بأنى كامل

— ٢٣٦ —

جئ إلى معاوية فى يوم صفين بأسير من أهل العراق فقال معاوية : « الحمد لله الذى أمكننى منك » .

فقال الرجل : « لا تقل ذلك يا معاوية » قال : « وأى نعمة أعظم من أن يمكننى الله من رجل قتل جماعة من أصحابى فى ساعة واحدة ؟ اضرب عنقه ياغلام » فقال الأسير : « اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ، وأنك لا ترضى بقتلى ، وإنما يقتلنى

فى الغلبة على حطام الدنيا ، فإن فعل فافعل به ما هو أهله ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . . فقال له : « ويحك ! لقد سيدت فأبلغت ، ودعوت فأحسنت . . . خليا عنه .

— ٣٣٧ —

قال على عليه السلام ينذر المسلمين بعواقب تشتتهم واختلافهم:
احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثولات والعقوبات لسوء أفعالهم ، وتذكروا فى الخير والشر أحوالهم . واحذروا أن تكونوا أمثالهم .

— ٣٣٨ —

لما خرج قيس بن سعد من مصر . مر بأهل بيت من بلقين . فنزل بمائهم ، فنحر له صاحب المنزل جزورا وأتاه ، فلما كان الغد نحر له أخرى ، ثم حبستهم السماء اليوم الثالث ، فنحر لهم ثالثه ، ثم إن السماء أقلعت ، فلما أراد قيس أن يرتحل ، وضع عشرين ثوبا من ثياب مصر ، وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وقال لها : إذا جاء صاحبك ، فادفعى له هـــذه ، ثم رحل ؛ فما أتت عليه إلا ساعة حتى لحقه الرجل صاحب المنزل على فرس ، ومعه رمح ، والثياب والدراهم بين يديه ، فقال : يا هؤلاء خذوا ثيابكم ودراهمكم . فقال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإنا لم نكن

لنأخذها . قال : والله لتأخذنها ، فقال قيس: لله أبوك! ألم تكرمنا وتحسن ضيافتنا فكافأناك ! فليس بهذا بأس . فقال الرجل : إنا لا نأخذ لقرى الأضياف ثمنا ، ووالله لا آخذها أبدا ، فقال قيس : أما إذا أبى ألا يأخذها فخذوها : فوالله ما فضلنى رجل من العرب غيره .

— ٣٣٩ —

قال الأصمعى :

سمعت أعرابيا يدعو ويقول : اللهم إن كان رزقى فى السماء فأنزله وإن كان فى الأرض فأخرجه . وإن كان بعيدا فقربه ، وإن كان قريبا فيسره ؛ وإن كان قليلا فكثره ، وإن كان كثيرا فبارك لى فيه .

— ٣٤٠ —

قال محمد الرامشى النيسابورى :

وإذا لقيت صعوبة فى حاجة
فاحمل صعوبتها على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فإنه
حجر يلين سائر الأحجار

قال أبو العتاهية يوما لابن مناذر :

كيف أنت فى الشعر ، قال أقول فى الليلة عشرة أبيات إلى خمسة عشر ، فقال أبو العتاهية : لو أردت أن أقول فى الليلة ألف بيت لقلت ، فقال : أجل والله لأنك تقول :

ألا عتبـــة الساعـــة أمـــوت الساعة الساعة

أو تقول :

يا عتبى مالى ولك يا ليتنى كنت أرك

أما أنا فأقول :

ستظلم بغداد وتجلو لنا الدجى
بمـــكة ما عشنا ثلاثة أبحر
إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت
بيحيا وبالفضل بن يحي وجعفر
فما خلفت إلا بحور أكفهم
وأرجلهم إلا لأعـواد منبر

ولو أردت مثله لتعذر عليك الدهر ، وإنى لا أعوّد نفسى مثل كلامك الساقط . فخجل أبو العتاهية وسكت .

— ٣٤١ —

قيل لعبد :

ألا يكسوك مولاك ؟

قال : إن مولاى لو كان له بيت مملوء بالإبر وجاءه يعقوب يطلب إليه أن يعيره إبرة واحدة ليخيط بها قميص إبنه يوسف لاعتذر إليه ، فكيف يمكن أن يتكرم على بكسوة ؟ .

— ٣٤٢ —

لما هزم بنو أمية وارتحل عبد الله بن على نحو مروان فهزمه واستباح عسكره ونزل فى مناخ للاستراحة واجتمع رؤساء بنى أمية أثنان وثمانون رجلا وجاءوا يستأذنون على عبد الله معتذرين فأذن لهم وقد أكمن رجالا من المسودة ومعهم الكافر كوبات وقال : إذا ضربت بقلنسوتى الأرض فأبرزوا ودخل القوم فسلموا عليه بالخلافة فنادى يا حسن بن على يا حسين بن على يا زيد بن على يا يحي بن زيد مالكم لا تجيبون وتجيب بنو أمية ؟ فأيقن القوم بالهلاك وأنشأ عبد الله يقول :

حسبت أمية أن استرخى هاشم

عنها ويذهب زيـــدها وحسينها

— ٢٢٣ —

كلا ورب محمد وكتابه
حتى يشار كفورها وخؤونها

ثم ضرب بقلنسوته الأرض وقال : يا ثارات الحسين فخرجت المسودة ودقوهم بالكافر كوباب حتى شد خوهم عن آخرهم ثم دعا بالبسط والأنطاع وفرشها عليهم ودعا بالطعام فأكل فوق هامهم وإن منهم لمن يئن أسى وقال : ما أكلت طعاماً مذ سمعت بقتل الحسين أطيب من هذا ، قالوا : وحلف ناس من أهل الشام أنهم ما علموا لرسول الله قرابة غير بنى أمية ، وبعث عبد الله بن على فى أثر مروان فلحقوه ببوصير من حدود مصر فقتله وبعث برأسه إلى أبى العباس فبعثه أبو العباس إلى أبى مسلم وأمره أن يطيف به فى خراسان ، وقالوا : ولما أيقن مروان بالهلاك دفن قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخصفته فى رمل كى لا يعثر عليه أحد ولا ينال فدلهم عليه خصى من خصيانه فاستخرجا وبعث بهما إلى أبى العباس ويقال أن الذى قتل مروان عامر بن إسماعيل من أهلو مرو .

— ٢٤٣ —

قال المتنبي :

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

— ٢٢٤ —

وقال ابن كثير :

الناس أتباع من دامت له النعم
والويل للمرء إن زلت به القدم

— ٣٤٤ —

قال المازنى لأبى العباس المبرد :

بلغنى أنك تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواضع المجانين والمتعالجين فما معنى ذلك ؟

فقال المبرد : أعزك الله : إن لهم طرائف من الكلام ، قال المازنى : فأخبرنى بأعجب ما رايت من المجانين !

قال المبرد : صرت يوما إليهم ، فمررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير قصب ، فجاوزته إلى غيره ، فقال سبحان الله تعالى فأين السلام ؟ ومن المجنون أنا أو أنت ؟ فاستحيت منه وقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال : لو كنت إبتدأت لأوجبت علينا حسن الرد على أن تعرف سوء أدبك إلى أحسن جهاته فى العذر لأنه يقال : إن للداخل على القوم دهشة ، أجلس أعزك الله عندنا وأومأ إلى موضع من الحصير فجلست إلى ناحية منه استرعب مخاطبته وطال بى الجلوس ، وتحدث معى

فى جهات شتى من ضروب الأدب والشعر واللغة ، قال فى نهايتها :

صن نفسك من الدخول إلى هذه المواضع فليس يتهيأ كل وقت أن تصادف مثلى على مثل حالتى ، ثم قال : أنت أنت المبرد ، أنت المبرد ، وجعل يصفق وانقلبت عيناه واحمرت وتغيرت حاله فبادرت مسرعا خوف أن تبدو منه بادرة ، وقبلت منه والله نصحه ولم أعاود بعدها إلى ذلك الموضع .

— ٣٤٥ —

قيل لأردشير أيها الملك الرفيع الذى حلب العصور ، وجرب الدهور ، أى الكنوز أعظم قدرا ؟ قال : العلم الذى يخف عليك حمله ، ويصعب معارفه وتدوم مواقفه ، ولا يمكن سرقته فهو للملأ جمال ، وفى الوحدة أنيس ، قيل له فالمال ؟ قال : إنه ليس كذلك لحمله عليك ثقيل ، والهم فيه طويل .

وقال مصلح الدين سعدى الشيرازى :

ينال المرء من العلم مالا يناله أحدٌ بالغنى والنسب .

وقال أنو شيروان :

قلب العالم كبيت فيه مصباح

— ٣٤٦ —

قال ابن عربى :

مرضى من مريضة الأجفان
علانى بذكرها علانى
هفت الورق بالرياض وناحت
شجو هذا الحمام مما شجانى
بأبى طفلة لعوب تهادى
من نبات الخدور بين الغوانى
طلعت فى العيان شمسا فلما
أفلت أشرقت بأفق جنانى
يا طلولا برامة دارسات — كم رأت من كواعب وحسان

— ٣٤٧ —

كان النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعا فى قبيلة سعد وهى من بين قبائل العرب مخصوصه بالفصاحة وحسن البيان، وظئره حليمه السعدية هى التى تسلمته من عبد المطلب فحملته إلى المدينة ، فكانت ترضعه وتحسن تربيته ، ولما ردته إلى مكة نظر إليه عبد المطلب وقد نما نمو الهلال وهو يتكلم بفصاحة ، وامتلأ سرورا وقال :

جمال قريش ، وفصاحة سعد ، وحلاوة يثرب وكان صلى الله عليه وسلم يقول : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد بن بكر ، فأنى يأتينى اللحن ؟ ! .

— ٣٤٨ —

من درر شعر بن الوردى :

اعتزل ذكر الأغانى والغزل
وقل الفصل وجانب من هزل
واتق الله فتقوى الله ما
جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس من يقطع طرقا بطلا
إنما من يتق الله البطل
اطلب العلم ولا تكسل فما
أبعد الخير على أهل الكسل
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أيامه
كل من سار على الدرب وصل
إزدياد العلم أرغام العدا
وجمال العلم اصلاح العمل

— ٣٢٨ —

جمـــل المنطق بالنحو فمن
يحرم الأعراب بالنطق اختبل
أنا لا أختار تقبيل يـــد
قطعها أجمل من تلك القبل
أعذب الألفاظ قولى لك خذ
لك خـذ واقرأ اللفظ ود
خذ بنصل السيف واترك غنده
واعتبر فضل الفتى دون الحلل
حبك الأوطان عجز ظاهر
فارتحل تلق عن الأهل بدل

— ٣٤٩ —

عمال الله :

هم الذين يعملون لله ، فإما يشتغلون بعبادته ، وإما يجاهدون فى سبيله ، ويرى أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقوم يربعون حجراً فقال : عمال الله أقوى من هؤلاء ، وفى بعض الروايات أنه قال : ألا أخبركم بأشدكم؟

قالوا : بلى ، قال : من ملك نفسه عند الغضب .

كتب أبو فراس لسيف الدولة :

زمانى كلـه غضب وعتب وأنت على والأيام إلب
وعيش العالمين لديك سهل وعيشى وحده بفناك صعب
فـكيف وأنت دافع كل خطب مع الخطب الملم على خطب
إلى كم ذا العتاب وليس جرم وكم ذا الإعتذار وليس ذنب
فـــلا تحمل على قلب جريح به لحوادث الأيام ندب
أمثلى تقبل الأقوال فيه ومثلك يستمر عليه كذب
جنانى ما علمت ولى لسان يقد الدرع والإنسان عضب
وزندى وهو زندك ليس يكبو
وناری وهی نارك ليس تخبو
وفرعى فرعـك السامى المعلى
وأصلى أصـلك الزاكى وحسب
وفضلى تعجز الفضلاء عنه لأنك أصله والمجد ترب
فدت نفسى الأمير وكان حظى
وقربى عنـــده ما دام قـــرب
فلما حالت الأعداء دونى وأصبح بيننا بحر ودرب

— ٣٥٠ —

ظللت تبدل الأقـــوال بعدى
ويبلغنى اغتيابـــك ما يغـــب
فقل ما شئت فى فلى لسان ملى بالثناء عليك رطب
وقابلنى بانصاف وظـــلم تجدنى فى الجميع كما تحب

— ٣٥١ —

مثل فى حلم معاوية :

أغلظ رجل فى الكلام معه فحلم عنه ، فقيل له : أتصبر عن هذا ؟ فقال : إنا لا نحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا ، وتفاخر سليم مولى زياد عند معاوية فقال له : اسكت ويحك ، ما أدرك صاحبك بسيفه أكثر مما أدركته بلسانى وقيل للأحنف : أنت أحلم أم معاوية ؟ فقال : والله ما أرى أجهل منكم ، معاويه يقدر فيحلم وأنا لا أقدر فأحلم .

— ٣٥٢ —

أبو الفتح عثمان بن جنى النحوى اللغوى :

هو القطب فى لسان العرب ، وإليه انتهت الرئاسة فى الأدب ، وصحب أبا الطيب دهراً طويلا ، وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعرابه .

— ٢٣١ —

وكان الشعر أقل خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حاله ، فمن ذلك قوله في الغزل :

غزال غير وحشى حكى الوحش مقلته
رآه الورد يجنى الور د فاستكساه حلته
وشم بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ء فاختلسته نكهته

وله :

وجود المنى أن لا يكاثر بالمنى ... ونيل الغنى أن لا يكاثر بالغنى
ومن كان في الدنيا أشد تصوراً
تجده عن الدنيا أشد تصونا

— ٣٥٣ —

مبارة في الكذب :

قال أعرابي لرفيقه : خرجت مرة على فرس ، فإذا أنا بظلمة ، فيممتها حتى وصلت إليها ، فإذا هي قطعة من الليل ، فطاردتها وما زلت أحمل عليها حتى اصطدتها ! .

فقال الآخر :

— أما أنا فقد رميت ظبياً بسهم فعدل الظبي ، فعدل السهم خلفه ، فعلا الظبي ثم انحدر ، فانحدر السهم حتى أصابه !

— ٣٥٤ —

عبد المحسن بن محمد الصورى :

أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ حسن المعانى رائق الكلام مليح النظام من أهل الشام ، فمن شعره قوله .

أترى بثأر أم بدين علقت محاسنها بعينى
فى خصرها وقوامها ولحاظها ما فى الردينى
وبوجهها ماء الشبا ب خليط نار الوجنتين
بكرت على وقالت اخ تر خصلة من خصلتين
إما الصدود أو الفرا ق فليس عندى غير ذين
فأجبتها ومدامعى منهلة كالمرزمين
يا هذه لا تعجلى إن حان بينك حان حينى
فكأنما قلت اذهبى فمضت مسارعة لبينى

— ٣٥٥ —

فيما يضاف وينسب إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

وصى آدم ، شهوة آدم ، سفينة نوح ، غراب نوح ، عمر نوح ، مقام إبراهيم ، نار إبراهيم ، صحف إبراهيم ، ضيف إبراهيم ، تحفة إبراهيم ، وعد إسماعيل ، ناقة صالح ، رؤيا يوسف ،

— ٢٤٣ —

قميص يوسف ، حسن يوسف ، سنى يوسف ، ريح يوسف ، عصى موسى ، نار موسى ، يد موسى ، بقية قوم موسى ، لطمة موسى ، خليفة الخضر ، صبر أيوب ، حوت يونس ، درع داود ، نغمة داود ، مزامير داود ، خاتم سليمان جن سليمان ، سير سليمان ، ملك سليمان ، حمار عزير ، طب عيسى ، دم يحيي ابن زكريا ، بردة النبي صلى الله عليه وسلم ، داء راية الرسول ، فقر الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

— ٣٥٦ —

قال بعض العرب :

لها حكم لقمان وصورة يوسف
ونغمة داود وعفـــة مريم
ولى سقم أيوب وغربة يونس
وأحزان يعقوب ووحشة آدم

قال أبو الطيب المتنبي :

ولله ســـر فى علاك وإنما
كلام العدا ضرب من الهذيان

— ٣٥٧ —

ذكاء صبي :

قال ثمامة : دخلت على صديق لى أعوده ، وتركت حمارى على الباب ، ولما خرجت وجدت فوقه صبياً ينهره ، فقلت : أركبت حمارى بغير إذنى ؟

فقال الصبي : خفت أن يذهب فحفظته لك ! فقال ثمامه : لو ذهب كان أحب إلى من ركوبك له . فقال الصبي : إن كان هذا رأيك فهبه لى واغنم شكرى !

— ٣٥٨ —

قال الشيخ أبو الفتح البستى :

زيادة المرء فى دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لاثبات له
فإن معناه فى التحقيق فقدان
يا عامرا لخراب الدهر مجتهداً
بالله هل لخراب العمر عمران ؟
ويا حريصاً على الأموال تجمعها
أنسيت أن سرور المال أحزان ؟

دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها
فصفوها كدر والوصل هجران
وأوع سمعك أمثالا أفضلها
كما يفضل ياقوت ومرجان
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإحسان إنسان
وإن أساء مسىء فاليكن لك فى
عرض ذلته صفح وغفران
واشدد يديك بحبل الله معتمداً
فإنه الركن إن خانتك أركان
من يتق الله يحمد فى عواقبه
ويكفه شر عزوا من هانوا
من استعان بغير الله فى طلب
فإن ناصره عجز وخذلان
من كان للخير مناعا فليس له
على الحقيقة إخوان وأخدان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة
إليه والمال للانسان فتان
من عاشر الناس لاقى منهم نصبا
فإن أخلاقهم بغى وعدوان

من استشار صروف الدهر قام له
على حقيقة طبع الدهر برهان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه
ندامة فلحصد الشر إبان
من استنام إلى الأشرار نام وفى قيص منهم صل وثعبان
ورافق الرفق فى كل الأمور فلم يندم رفيق ولا يذمك إنسان
والناس أعوان من والته دولته وهم عليه إذا عادته أعوان
لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلم غرائز لا تحصى وألوان

— ٢٥٩ —

شيبة الحمد :

كان يقال لعبد المطلب بن هاشم ـ شيبة الحمد ـ لنور وجهه ، وذلك أنه كانت فى ذوابته شعرة بيضاء حين ولد فسمى شيبة الحمد ، وفيه يقول حذافة بن غانم :

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه
يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

— ٢٦٠ —

أسماء الأعضاء تأتى لمعان غير الأعضاء .

الرأس: أعلى كل شىء كالريس والرئيس .

الوجه : مستقبل كل شيء ، نفس الشيء ، سيد القوم والجهة ، الماء القليل .

العين : الجاسوس ، جريان الماء ، حاسة البصر ، الحاضر من كل شيء ، حقيقة القبلة ، الدينار ، الذهب ، ذات الشيء ، الربا . السير ، السحاب من ناحية القبلة ، الشمس أو شعاعها ، العتيد من المال . الغيب ، كبير القوم ، المال

الخد : الطريق الجماعة ، الحفرة المستطيلة فى الأرض ، الحجر على من يستحقه ، منع الظلم .

اليد : الجاه ، الوقار ، القوة ، الطريق ، الأكل .

الصدر : أعلى مقدم كل شيء وأوله وكل ما واجهك .

الظهر : القدد القديمة ، المال الكثير ، الفخر بالشيء ، الجانب القصير من الريش ، طريق البر ، ما غلظ من الأرض وارتفع ، لفظ القرآن ، والبطن تأويله وما غاب عنك

البطن : دون قبيلة أو دون الفخذ ، فوق العمامة ، جوف كل شيء . والشق الأطول من الريش

القلب : الفؤاد أو أخص ، العقل ومحض كل شيء .

الفخذ : ما بين الساق والورك ، حى الرجل إذا كان من أقرب عشيرته .

الرجل : قطعة من الجراد .

— ٣٦١ —

قال السيوطى :

جاء دهرى إلى هارون الرشيد وقال له : حضرت لأقيم الحجة على علماء دولتك بعدم وجود الصانع فأمر هارون باستدعاء أبى حنيفة ، وقال له : يا إمام المسلمين إعلم أنه جاءنا دهرى يدعى نفى وجود الصانع وهو الآن ينتظر قدومك فأبطأ أبو حنيفة ساعة ثم دخل المجلس فسأله الدهرى عن سبب تأخره ، فقال :

أردت أن أعبر الجسر فوجدته قد تعطل ، فرأيت بساحل دجلة سفينة قديمة قد تفككت ألواحها فنظرت إليها وإذا بألواحها قد تجمعت واتصل بعضها ببعض فركبتها وعبرت الماء وحضرت هنا وهذا هو سبب تأخرى .

فقال الدهرى : إسمعوا أيها السادة ماذا يقول إمام المسلمين وعالمهم الأوحد ، كيف يمكن أن تتجمع الألواح المفككة لسفينة قديمه محطمة من غير أن يصنعها أحد ، فأجابه أبو حنيفة فوراً :

إذا لم يكن يمكننا هذا فكيف يمكن وجود عالم مثل هذا من غير أن يكون له صانع ؟

— ٣٦٢ —

ما قيل عن سد مأرب :

قال المسعودى : بنى الملك سبأ فى مأرب سداً يبين جبلين بالصخر والقار فحقن به ماء العيون والأمطار ، وساق إليه مياه سبعين واديا . وهو الذى يسمى بالعرم ، ومات قبل إتمامه فأتمه ملوك حمير من بعده ، ودولتهم يومئذ أوفر مما كانت ، فلما طغوا واعرضوا أجحفهم السيل وأغرق جناتهم ، وأخرب أرضهم وتمزق ملكهم ، وصاروا أحاديث لمن بعدهم ، وكان هؤلاء يعرفون بملوك التبابعة .

وقد تفرق عرب اليمن الذين كانوا أصل حضارة العرب ، ومنبع مجدها وفخرها القديم بعد إنكسار سد مأرب السابق الذكر ، فتفرقت قبائل اليمن وهاجر كثير منها إلى الشمال والشرق أما الذين هاجروا إلى الشمال فقد أسسوا دولة الغساسنة فى أرض الشام ، والذين هاجروا إلى الشرق أنشأوا دولة المناذرة فى غرب العراق ، وكانت الغساسنة فى حماية الروم ، والمناذرة فى حماية الفرس .

— ٣٦٣ —

طلب المكتفى من وزيره كتبا يلهو بها ويقطع بمطالعتها

— ٢٤٠ —

زمانه ، فتقدم الوزير إلى النواب بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة فحصلوا شيئاً فى كتب التاريخ فيها شىء مما جرى فى الأيام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيل فى استخراج الأموال ، فلما رآه الوزير قال لنوابه : إنكم أشد الناس عداوة لى ، أنا قلت لكم حصلوا له كتبا يلهو بها ويشتغل بها عنى وعن غيرى ، فقد حصلتم له على ما يعرفه مصارع الوزراء ، ويوجد له الطريق إلى استخراج المال ويعرفه خراب البلاد من عمارتها . ردوها وحصلوا له كتبا تلهيه وأشعار تطربه .

« الفخرى »

— ٣٦٤ —

قيل فى واعظ منافق :

رويدك قد غررت وأنت حر
بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحاً
ويشربها على عمد مساء
تحساها فمن مزج وصرف
يعل كأنما ورد الحساء

— ٢٤١ —

يقول لكم غدوت بلا كساء
وفى لذاتها رهن الكساء

وقال المتنبى :

الناس ما لم يروك أشباه
والدهر لفظ وأنت معناه

والجود عين وأنت ناظره
والبأس باع وأنت يمناه

يا راحلا كل من يودعه
مودع دينه ودنياه

إن كان فيما تراه من كرم
فيك مزيد فزادك الله

— ٣٦٥ —

طبيب عيون خفيف الروح :

كان فى القاهرة كحال — طبيب عيون — يدعى شمس الدين ابن دانيال ، ومرة سأله سائل لا يعرفه : ماحرفتك ؟ وبأى شيء تكتسب ؟

— ٢٤٢ —

فأجابه :

يا سائلى عن حرفتى فى الورى
واضيعتى فيهم وافـــلاسى !
ما حال من درهم أنفـاقه
يأخـذه من أعين النـاس ؟

أمثال :

— النسمة التى تطفىء الشمعة هى نفسها تذكى النار وكذلك الفراق ، يقتل الحب التـافه ، ويحيى الحب العظيم .

— تب قبل موتك بيوم ، ولما كنت لا تعرف متى تموت فكن تائبا على الدوام .

— إذا لم يكن للسارق فرصة للسرقة ظن نفسه شريفا .

— متى تقدم الشيوخ فى السن وجب عليهم أن يطيعوا أولادهم !

— ٣٦٦ —

خاطبة :

قالت إحدى النساء لرجل : عندى امرأة كأنها طاقة نرجس .

— ٢٤٣ —

فتزوجها ، فإذا هى عجوز قبيحة فقال للخاطبة : غششتنى !
فقالت لا والله ، أنا شبهتها بطاقة نرجس ، لأن شعرها أبيض ،
ووجها أصفر ، وساقها خضراء ! !

— ٣٦٧ —

قال شاعر :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحاول أن توليه
إن الهوى ما تولى يصم أو يصم
صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم

قال ابن المقفع :

أمران يحتاج إليهما كل من يحتاج إلى الحياة :
المال ، والأدب

— ٣٦٨ —

قال الإمام جعفر الصادق لابنه :

يا بنى ! إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ، فإن للجود معادن ، وللمعادن أصولا ، وللأصول فروعاً ، وللفروع ثمرا ، ولا يطيب ثمر إلا بأصول ، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب ، يابنى ! إن زرت فزر الأخيار ، ولا تزر الفجار ، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضر ورقها ، وأرض لا يظهر عشبها .

— ٣٦٩ —

قال الأصمعى :

بلغنى أن رجلا قال لآخر : والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً ، فقال له الآخر : لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة . قال : وبلغنى أن رجلا شتم عمر بن ذر فقال له : يا هذا لا تغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعاً ، فإنى أمت مشاتمة الرجال صغيراً ولن أحييها كبيراً ، وإنى لا أكافىء من عصى الله فى بأكثر من أن أطيع الله فيه .

— ٢٧٠ —

إعجاز القرآن :

سئل بندار الفارسى عن موضع الإعجاز من القرآن فقال : هذه مسألة فيها حيف على المعنى المقصود وذلك أنه شبيه بقولك ماموضع الإنسان من الإنسان فيلبس للانسان موضع من الإنسان . بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته . كذلك القرآن لشرفه لايشار إلى شيء منه إلا كان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة لقائله وهدى لقارئه وليس من طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله فى كلامه وأسراره فى كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر .

— ٢٧١ —

كان الإمام زين العابدين (على بن الحسين) يقرأ عقيب كل صلاة الدعاء التالى : اللهم أغفر لى ما أنت أعلم به منى ، اللهم أغفر لى ما وأيت من نفسى ولم تجد له وفاء عندى اللهم أغفر رمزات الألحاظ وسقطات الألفاظ وهفوات اللسان وشهوات الجنان .

— ٢٧٢ —

قال الأصمعى يحدث الرشيد :

دخلت بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ، فإذا جارية

على قبر كأنها تمثال وعليها من الحلى والحلل ما لم أرى مثله وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجى ، فالتفت إلى صاحبي فقلت : « هل رأيت أعجب من هذه ؟ » .

قال : « لا والله ولا أحسبنى أراه » .

ثم قلت لها : « يا هذه أنى أراك حزينة وما عليك زى الحزن فانشأت تقول :

فإن تسألانى فيم حزنى فإننى
رهينة هـذا القبر يا فتيان
وإنى لأستحيه والترب بيننا
كما كنت استحييه حين يرانى
أهابك اجلالا وإن كنت فى الثرى
مخافة يوم أن يسوك لسانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

ياصاحب القبر يامن كان ينعم بى
بالا ويكثر فى الدنيا مواساتى
قد زرت قبرك فى حَلْىٍ وفى حُلل
كأننى لست من أهل المصيبات

أردت آتيك فيما كنت أعرفه
أن قد تسرّبه من بعض هيئاتى
فمن رآنى رأى عبرى مولهة
عجيبة الثرى تبكى بين أموات

فانتبه الأصبعى فإذا عينا الرشيد تذر فان الدمع .

— ٢٧٣ —

انصرف أبو نواس سكران من بعض المواخير فمر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة ، فدخل وقام فى الصف الأول فقرأ الإمام [قل يا أيها الكافرون] فقال أبو نواس من خلفه : ا لبيك ، لبيك ، ولما انتهت الصلاة قالوا له : أنت يا كافر لقد اعترفت بالكفر ونحن شهود عليك ، فأجاب أبو نواس وكان قد صحى من سكره ، اشهدوا الآن بأنى قد تبت إليه وهو التواب الرحيم .

— ٢٧٤ —

من ألطف مايحكى أنه دخل أنس بن مالك بن أنس وعبدالله كاووس على أبى جعفر المنصور وهو جالس على فرش وبين يديه انطاع قد بسطت وجلادون يضربون الأعناق فجلس وأطرق المنصور زماناً ثم رفع رأسه وقال حدثنى يا ابن طاووس عن أبيك قال : سمعت أبى يروى عن رسول الله صلى

الله عليه وآله أن شر الناس ، رجلا أشركه الله تعالى فى ملكه فأدخل الجور فى حكمه فامسك أبو جعفر زماناً حتى تراءى لنا أنه قد أسود وجهه . قال أنس فجمعت ثيابي مخافة أن ينالها شيء من دم ابن طاووس ثم قال المنصور يا ابن طاووس ناولنى هذى الداواه .. فلم يناوله فقال له ما يمنعك أن تناولها قال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع المنصور ذلك قال قوما عنى فقال ابن طاووس ذلك والله ما كنا نبغيه . قال مالك ابن أنس فما زلت أعرف لابن طاووس فضله من ذلك اليوم .

— ٣٧٥ —

قال العماد الأصفهانى :

إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان مستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أحسن ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على البشر .

— ٣٧٦ —

حكمة :

لا تسكن الحكمة بطناً ملىء طعاماً .

— ٢٤٩ —

قباذ ومادح الجانى على المملكة :

يقال أن قباذ أمر بقتل رجل كان من الطاعنين على المملكة فقتل فوقف على رأسه رجل كان من جيرانه فقال :

« رحمك الله ! إن كنت — ما علمت — لتكرم الجار وتصبر على أذاه ، وتواسى أهل الحاجة وتقوم بالنائبة والعجيب كيف وجد الشيطان فيك مساغاً حتى حملك على عصيان ملكك .. وقديماً ما تمكن بمن هو أشد منك قوة وأثبت عزماً . » فأخذ الرجل صاحب الشرطة لحبسه وانتهى كلامه إلى قباذ فوقع قباذ : يحسن إلى هذا الذى شكر إحساناً فعل به وترفع مرتبته ويزاد فى عطائه .

— ٢٧٧ —

من كلام بزرجمهر نقلا عن بهاء الدين العاملى من كتابه « الكشكول » :عاديت الأعداء فلم أرعدوا إلى من نفسى وغالبت الشجعان والسباع فلم يغلبنى أحد إلا الصاحب السوء .

وأكلت الطيب وضاجعت الحسان فلم أرى الذ من العافية وأكلت الصبر وشربت المر فما رأيت أشد من الفقر وصارعت الأقران وبارزت الشجعان فلم أر أغلب من المرأة السليطة .

ورميت بالسهام ورجمت بالأحجار فلم أر أصعب من

— ٢٥٠ —

الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق . وتصدقت بالأموال والزخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ذى ضالة إلى الهدى .

ومررت بقرب الملوك وصلاتهم فلم أر أحسن من الخلاص منهم .

— ٢٧٨ —

من الشعر الصوفى :

سقانى محبوبى بكأس المحبة
فتهت عن العشاق شكرا بخلوتى
ولاح لنا نور الجلالة لو أضا
صم الجبال الراسيات لدكت
وكنت أنا الساقى لمن كان حاضراً
أطوف عليهم كرة بعد كرة
ونادمنى سراً بسر وحكمة
وإن رسول الله شيخى وقدوتى
وعاهدنى عهداً حفظت لعهده
وعشت وثيقاً صادقاً بمحبتى
وحكمت فى سائر الأرض كلها
وفى الجن والأشباح والمردية

— ٢٥١ —

وفى أرض صين الصين والشرق كلها

لأقصى بلاد الله صحت ولايتى

أنا الحرف لا أقرأ لشكل مناظر

وكل الورى من أمر ربى رعيتى

وكم عالم قد جاءنا وهو منكر

فصار بفضل الله من أهل خرقتى

وما قلت هذا القول فخراً وإنما

أتى الإذن كى لا يجهلون طريقتى

إبراهيم الدسوقى

— ٣٧٩ —

روى البيهقى عن ذى النون المصرى أنه سمع جارية تبكى وتقول :

صبرت على مالو تحمل بعضه

جبال حنين أوشكت بتصدع

رباه ! هون على كمدى وضعف قلبى ، وخفف على فؤادى هذا الحزن الذى هو أثقل من جبل أبى قبيس يارب إنى أشكرك إذ جعلتنى أعظم خلقك بلية وعذاباً فى هذه الدنيا، فسألها عن حالها ، فقالت : أحضر زوجى فى يوم العيد ضحية وذبحها ، وبعد أن خرج

لشأنه ، وبقى الطفلان وحدهما ، قال الأكبر منهما لأخيه : أرأيت كيف ذبح والدك الشاه ؟ قال : لا ، فأخذ المدية ، وطرح أخاه ، وقطع رأسه ، ولما رأيت ذلك جعلت أصرخ وأتوعد هذا الطفل دون أن أدرى ، فهرب الولد خوفاً من عقاب أبيه ؛ ولما حضر زوجى وأطلع على حقيقة الأمر ، ذهب لفوره يبحث عن الغلام القاتل الهارب الوحيد الباقى لنا ، ووصل به البحث خارج المدينة ومن يومها مضت أيام لا أقف لأحدهما على خبر ، إلى أن علمت أن أسداً إفترسه فى الغابة .

— ٣٨٠ —

قيل أن محمد بن على عليه السلام رأى فى الطواف أعرابياً عليه ثياب رثة وهو شاخص نحو الكعبة لايصنع شيئاً ثم دنا من الاستار فتعلق بها ورفع رأسه إلى السماء وأنشأ يقول :

أما تستجيب لى وقد قمت شاخصاً
أناجيك يارب وأنت عليم
فإن تكسنى يارب خفا وفروة
أصلى صلاتى دائماً وأصوم
وإن تكن الأخرى على حال ما أرى
فمن ذا على ترك الصلاة يلوم
أترزق أولاد العلوج وقد طغوا
وتترك شيخاً والده تميم ؟

فرآه على بن الحسين فدعا به وخلع عليه فروة وعمامة وأعطاه عشرة آلاف درهم وحمله على فرس فلما كان العام الثانى جاء الحج وعليه كسوة جميلة وحال مستقيم فقال له أعرابى : رأيتك فى العام الماضى بأسوأ حال فأراك الآن ذا بزة حسنة وجمال ! فقال :

إنى عاتبت كريماً فأغنيت .

— ٣٨١ —

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ارحموا ثلاثة : عزيز قوم ذل وغنى افتقر بعد غنى وعالم ضاع علمه بين الجهال .

مامات من خلف ثلاث : ولد صالح . وصدقة جارية . وعلم ينتفع به الناس .

— ٣٨٢ —

قال صاحب العقد الفريد بعد أن روى سنده عن على بن أبى طالب :

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل ، خرج مرة وأنا معه وأبو بكر حتى رفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر فسلم — وكان أبو بكر

مقدماً فى كل خير — عالماً بالأنساب وأخبار الناس — وكان رجلا نسابة .

فقال : فمن القوم ؟

قالوا : من ربيعة .

قال : وأى ربيعة أنتم ؟ أمن هامتها أم من لهازمها ؟

قالوا : من هامتها العظمى .

قال : وأى هامتها العظمى أنتم ؟

قالوا : ذهل الأكبر .

قال أبو بكر : فمنكم عوف بن محلم الذى يقال فيه لا حر إلا بوادى عوف ؟

قالوا : لا

قال : فمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء ؟

قالوا: لا

قال : فمنكم جساس بن مرة الحامى الذمار ، والمانع الجار ؟

قالوا: لا

قال : فمنكم الحوافزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟

قالوا: لا

قال : فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردية ؟

قالوا: لا

قال : فمنكم أخوال الموك من كندة ؟

قالوا: لا

قال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟

قالوا : لا

قال أبو بكر : فلستم ذهلا الأكبر أنتم ذهل الأصغر فقام إليه غلام من شيبان ، يقال له دغفل ، فقال : إن على سائلنا أن نسأله . . والعبء لا تعرفه أو تحمله يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك ، ولم نكتمك شيئاً ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر . من قريش .

قال : بخ . . بخ ، أهل الشرف والرياسة . فمن أى قريش أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة .

قال : أمكنت والله الرامى من صفا الثغرة . أفمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل فسمى مجمعاً ؟ قال : لا ، قال . أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ، ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال : لا . قال : فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء ، الذى وجهه كالقمر فى الليلة الظلماء ؟

قال : لا ، قال فمن أهل إلا فاضة بالناس أنت ؟

— ٢٥٦ —

قال : لا ، فقال : فمن أهل الندوة أنت ؟

قال : لا . قال : فمن أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا .

قال : فمن أهل الحجابة أنت ؟ قال :لا ، قال فمن أهل السقاية أنت ؟ قال: لا ، فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام :

صادف درء السيل درءاً يدفعه . . . يهيضه حينا وحينا يصدعه

فتبسم النبي عليه السلام ، قال علي : وقعت يا أبا بكر من الأعرابي على باقعة . قال : أجل . قال : ما من طامة إلا وفوقها أخرى والبلاء موكل بالمنطق والحديث ذو شجون .

— ٣٨٣ —

الشيخ محمد عيسى :

كان حافظا القرآن ويمشي متوكئاً على العصى فقال له رجل ظريف : لو كان لك حمار لكنت جمعت ميراث الأنبياء الثلاث كما جمعت أسماءهم ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنت حافظ للقرآن واسمك محمد ، واسم جدك موسى وتمشي متوكئاً على عصا فينقصك حمار عيسى حتى تكون قد أكملت كل مـــيراث الأنبياء الثلاث وشاراتهم .

— ٣٨٤ —

جاء فى المستطرف للأبشيهى :

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى : « خرجت إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام ، وبينما أنا فى بعض الطريق إذا بسواد على الطريق ، فتميزت ذاك ، فإذا هى عجوز عليها دراعة من الصوف وخمار من الصوف ، فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقالت : « سلام قولا من رب رحيم » ، فقلت لها : يرحمك الله ، ماتصنعين فى هذا المكان ؟ قالت : « ومن يضلل الله فلا هادى له » ، فعلمت أنها ضالة عن الطريق ، فقلت : أين تريدين ؟ ، قالت : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » ، فعلمت أنها قد قضت حجها ، وهى تريد بيت المقدس ، فقلت لها : أنت منذكم فى هذا الموضع ؟ قالت : « ثلاث ليال سويا » ، فقلت : ما أرى معك طعاماً تأكلين ، قالت : « هو يطعمنى ويسقين » فقلت : وبأى شىء تتوضئين ؟ ، قالت : « فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً » . فقلت إن معى طعاماً فهل لك فى الأكل ؟ فقالت : « ثم أتموا الصيام إلى الليل » ، فقلت : ليس هذا شهر رمضان ، قالت : ومن تطوع فهو خير . « فإن الله شاكر عليم » ،

فقلت : قد أبيح لنا الإفطار في السفر ، قالت : « وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » ، فقلت : لم لا تتكلمى مثل ما أكلمك؟ قالت : « مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » ، فقلت : فمن أى الناس أنت ؟ قالت : « ولا تقف ماليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ، فقلت : أخطأت فاجعليني فى حل ، قالت : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » ، فقلت : فهل لك أن أحملك على ناقتى . قالت : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم . » فغضضت بصرى عنها فقلت لها : اركبى ، ولما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها ، فقالت : « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » ، فقلت لها : إصبرى حتى أعقلها ، قالت : « ففهمناها سليمان » ، فعقلت الناقة ، وقلت: اركبى ، ولما ركبت قالت : «سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون » ، قال فأخذت بزمام الناقة ، وجعلت أسعى وأصيح ، فقالت : « واقصد فى مشيتك ، واغضض من صوتك .» فجعلت أمشى رويداً رويداً وأترنم بالشعر ، فقالت : « فاقرءوا ماتيسر من القرآن » ، فقلت لها : « لقد أوتيت خيراً كثيرا » ،قالت : « وما يذكر إلا أولو الألباب» ولما مشيت قليلا قلت : هل لك زوج ؟ قالت : « يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم » فسكت ولم أكلمها

حتى أدركت بها القافلة فقلت لها : هذه هى القافلة فمن لك فيها ؟ قالت : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، فعلمت أن لها أولاد، فقلت : ماشأنهم فى الحج ؟ قالت : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » ، فعلمت أنهم أدلاء الركب ، فقصدت بها القباب والعمارات ، فقلت : هذه القباب فمن لك فيها ؟ قالت : « اتخذ الله إبراهيم وكلم الله موسى تكليما . يايحيى خذ الكتاب بقوة » ، فناديت : يا يحيى ، يا إبراهيم ، ياموسى ! فإذا أنا بشباب كأنهم الأقمار قد دخلوا ولما استقر بهم الجلوس . قالت : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه » ، ومضى أحدهم ليشترى طعاماً ، وقدموه بين يدى ، فقالت : كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، فقلت : الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها . فقالوا : هذه أمنا لها أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ، سبحان القادر على مايشاء والله ذو الفضل العظيم .

— ٣٨٥ —

قال رجل لسماك بالبصرة :

بكم هذه السمكة ؟ قال : « بدرهمان » فضحك الرجل . فقال السماك : ويلك أنت أحمق سمعت سيبويه يقول : ثمنها درهمان » .

أمثلة :

— أضيق السجون معاشرة الأضداد .

— يسيره يدل على كثيره .

— رضى من الوفاء باللقاء .

— انتزاع العادة شديد .

كان تميم بن أبي بن مقبل يهاجي النجاشي الشاعر ، فهجاه النجاشي فأوجه ، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب ، فاستدعاه عمر فسأله : يا نجاشي مافلت له ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين قلت مالا أرى فيه عليه بأساً . وأنشده :

إذا الله جازى أهل لؤم بذمة
فجازى بني العجلان رهط ابن مقبل

قالوا : وقد قال أيضاً :

قبيلة لايغدرون بذمة . . . ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك .

قالوا : فإنه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية . . . إذا صدر الورّاد عن كل منهل

قال عمر : ذلك أقل الزحام .

قالوا : فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

— ٢٦١ —

فقال عمر : يكفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه .

قالوا : فإنه قال :

وما سمى بالعجلان إلا لقوله
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبيد ، وخير القوم خادمهم .

قال تميم : فسله يا أمير المؤمنين عن قوله :

أولئك إخوان اللعين وأسوة الهجين ورهط الواهن المتذلل

فقال عمر : أما هذا فلا أعذرك عليه ، وجلده ثم حبسه .

— ٢٨٧ —

كان أفلاطون جالساً ذات يوم ، فاقترب منه رجل من جملة خواص المدينة وجلس وأخذ يتحدث حديثاً متشعباً ، ثم قال : أيها الحكيم ، رأيت فلان يتحدث عنك ويدعولك كثيرا ويثنى عليك قائلا : إن أفلاطون رجل عظيم ولم يكن قط رجل على شاكلته ولن يكون ، فأردت أن أبلغك ثناءه ، فلما سمع أفلاطون هذا اغتم وبكى ، فقال الرجل : أيها الحكيم ، أى أذى لحق بك من هذا الكلام فبكيت له ؟ قال أفلاطون : أيها السيد لم يلحقنى منك أذى قط ، ولكن أية مصيبة أسوأ لى من أن يمدحنى الجاهل ويعجبه عملى ؟ لا أدرى أية جهالة فعلت فكانت قريبة

من طبعه وأعجبته لأنوب عنها ، فاغتمامى هـذا من كونى ممدوح الجاهل .

— ٣٨٨ —

قال أبو الدرداء : أضحكتنى ثلاث . وأبكتنى ثلاث : أضحكنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه لايدرى أراض عنه الله أم ساخط ! وأبكانى فراق محمد وحزبه ، وأبكانى هول الموت . وأبكانى هول الموقف ، يوم تبدو السرائر حين لا ادرى أيؤخذ بى إلى جنة أم إلى نار .

— ٣٨٩ —

فى البلاغة

البلاغة : هى المعنى الكبير فى اللفظ اليسير .

قيل : ثلاثة تدل على عقول أصحابها ؛ الرسول على عقل المرسل ، والهدية على مقدار عقل المهدى ، والكتاب على مقدار عقل الكاتب .

وقيل : إن معاوية سأل عمرو بن العاص عن أبلغ الناس .

فقال : أقلهم لفظاً ، وأسهلهم معنى ، وأحسنهم بديهة :

وقال وزير المهدى : البلاغة مافهمته العامة ورضيت به الخاصة .

الكلام البليغ : ما كان لفظه لخلا ومعناه بكرا .

وقال الإمام الرازى : الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد ، وأن البلاغه فى المعانى والفصاحة فى الألفاظ .

وقال يحي بن خالد : لايزال المرء مهاباً فى نظرى ؛ فإذا تكلم زادت مهابته أو سقطت هيبته .

— ١٩٠ —

الملك والمجنون :

من الحكايات اللطيفة : ان بعض الملوك قصد التفرج على المجانين ، فلما دخل عليهم رأى فيهم شاباً حسن الهيئة لطيف الصورة يرى عليه آثار اللطف ، وتلوح عليه شمائل الفطنة . فدنا منه . وسأله مسائل فأجابه عن جميعها بأحسن جواب ، فتعجب منه عجباً شديداً ، ثم إن المجنون قال للملك :

قد سألتنى عن أشياء فأجبتك ، وإنى سأسألك سؤالا واحداً ، قال : وما هو ؟ قال : متى يجد النائم لذة النوم ؟ ففكر الملك ساعة ثم قال : يجد لذه النوم حال نومه . فقال المجنون : فى حالة النوم ليس له إحساس . فقال الملك : قبل الدخول فى النوم ، فقال المجنون : كيف توجد لذته قبل وجوده ؟ فقال الملك : بعد النوم فقال المجنون : توجد لذته وقد انقضى ؟ فتحير الملك وزاد إعجابه ،

وقال : لعمرى إن هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة، فأولى أن يكون نديمى فى مثل هذا اليوم ، وأمر أن ينصب له تخت بإزاء شباك المجنون ، ثم استدعى بالشراب لحضر . فتناول الكأس وشرب ثم ناول المجنون فقال : أيها الملك ؟ أنت شربت هذا لتصير مثلى ، فأنا أشربه لأصير مثل من؟ فاتعظ الملك وتاب لساعته .

— ٣٩١ —

قالى قس بن ساعدة الأيادى فى خطبته المشهورة :

أيها النـاس :

إسمعوا وعوا .

انظروا واذكروا .

من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، ونهارساج ، وسماء ذات أبراج ، ألا إن أبلغ العظات ، السير فى الفلوات ، والنظر فى محل الأموات . إن فى السماء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبرا ، مالى أرى الناس يذهبون ، فلا يرجعون . أرضوا هناك بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟

يامعشر إياد :

أين الآباء والأجداد ، وأين المريض والعواد ، وأين الفراعنة الشداد ، أين من بنى وشيد ، وزخرف ونجد ، وغره المال

والولد ، أين من طغى وبغى ، وجمع فأعوى ، وقال أنا ربكم الأعلى ، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا ؟ وأطول منكم آجالا .

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

— ٣٩٢ —

ذكر مقتل أبي مسلم :

قالوا : لما أخذ أبو مسلم على طريق الجبال من أرض الجزيرة اشتد رعب أبي جعفر وخشي إن هو سبقه إلى خراسان أن يقاتله بما لا قبل له به . فاجتمع الرأي وعمل المكائد وهجر النوم وجعل يقعد وحده ، ويخاطب نفسه ، وأتاه أبو مسلم وهو بالرومية في مضاربه فأمر الناس بتلقيه وإنزاله وإكرامه غاية الكرامة أياماً ثم أخذ في التجني عليه فهابه أبو مسلم وكان استشار بانويه رجلا من أصحابه بالري عند ورود الرسل عليه فأشار عليه بالامتداد إلى خراسان وضرب أعناق الرسل فقال أبو مسلم هو ذا أرى يرميني فما الرأي قال: تركت الرأي بالري فذهبت مثلا ،

ولكن الحيلة أن تبدأ به فإنك مقتول فإذا دخلت عليه فاعله بسيفك ونحن على الباب ، ثم إن أمكنك أن تدافع عن نفسك إلى أن نصل إليك ، واجمع أبو جعفر على قتله وأعد من أصحاب الحرس أربعة نفر فأكنهم فى البيوت منهم شبيب المروزى وأبو حنيفة حرب بن قيس ، وقال : إذا أنا صفقت بيدى فشأنكم ، وبعث إلى أبى مسلم يدعوه فى غير وقت فجاء إليه باستدعائه عيسى بن موسى وهو صاحب عهده وذمته . فقال له عيسى تقدم وأنا وراءك ، فقال له أبو مسلم . أنا أخافه على نفسى ، فقال عيسى : أنت فى ذمتى وجوارى ، وكيف تظن بأمير المؤمنين أن ينقض عهده ، وأرسل أبو جعفر إلى عيسى أن تخلف عن المجىء ، وجاء أبو مسلم فقام إليه البواب وقال ليعطينى الأمير سيفه . قال : ما كان يفعل هذا قبل ، قال هذا لابد منه فأعطاه ودخل فشكى إلى أبى جعفر ذلك فقال : ومن أمره بذلك قبحه الله ثم أقبل عليه يعاتبه ويذكر عثراته فيما عد عليه أن قال ، ألست الكاتب إلى تبدأ بنفسك ودخلت إلينا فقلت : أين بن الحارثية ، وجعلت تخطب آمنة بنت على بن عبد الله بن العباس وتزعم أنك بن سليط بن عبد الله بن عباس ؟ ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير الخزاعى مع أثره فى دعوتنا وسعيه فى دولتنا قبل أن يدخلك فى شىء من هذا الأمر ؟ فجعل أبو مسلم يعتذر إليه ويقبل الأرض بين يديه

ويقول : أراد الخلاف على فقتلته ، فقال أبو جعفر يعصيك وحاله عندنا حاله فتقتله وتعصينا فلا نقتلك ، قتلنى الله إن لم أقتلك ثم ضربه بعمود فى يده وصفق فخرج الحرس فضربوه بسيوفهم وهو يستصرخ ويستأمن ، ويقول أبو جعفر ما تزيد يا ابن اللخناء إلا غيظا ، المقتل قتلكم الله . اقتلوه فقتلوه ولفوه فى بساط ونحوه ناحية . ثم استأذن إسماعيل بن على الهاشمى فأذن له . فلما قام قال : أنى رأيت فى المنام كأنك ذبحت كبشاً وأنى توطأته برجلى ، قال : صدقت رؤياك قتل الله عز وجل الفاسق قم فتوطأه برجلك وأمر أبو جعفر أن لا يؤذن عليه ونام نومة ثم قام وقال : ما تهيأت للخلافة إلى اليوم وبانويه فى ثلاثة آلاف من الخراسانية وقوف على الباب لا يدرون ما الخبر ، فقال أبو جعفر : فرقوا هؤلاء العلوج عنى وأنشأ يقول :

زعمت أن الدين لا يقتضى
فاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كأسا كنت تسقى بها
أمر فى الحلق من العلقم

— ٣٩٣ —

من أشعار عروة بن الورد يتساءل : فيم الخشية من الموت ؟

إن كل حى ملاقيه ، سواء من خاطر بنفسه ومن أحجم ، بل إن الموت قد يصيب المتخلف فى أهله وينجو منه المغامر المخاطر يقول :

أرى أم حسان الغداة تلومنى
تخوفنى الأعداء ، والنفس أخوف
لعل الذى خوفتنا من أمامنا
يصادفه فى أهله المتخلف

وقال يصور كرمه تصويرا رائعا ، فهو يرى أن الكرم هو مشاركة الفقراء له فى إنائه ، واكتفائه . هو بالماء الخالص فى أيام الشتاء الباردة ليوفر لهم طعامهم ، بل يراه تقسيما لجسمه فى أجسامهم حتى أصبح هذيلا شاحبا :

إنى امرؤ عافى إنائى شركة
وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وقد ترى
بجسمى مس الحق ، والحق جاهد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء ، والماء بارد

وتنتشر أحاديث هذا الكرم فى شعره انتشارا واسعاً .

— ٢٦٩ —

حتى لتكاد كل صفحة من ديوانه تنطق بهذه الأحاديث التى كان يراها :

أحاديث تبقى ، والفتى غير خالد
إذا هـــو أمسى هامة فوق صير

وقال أيضاً :

دعينى أطوف فى البلاد لعلنى
أفيد غنى فيه لذى الحق محمل
أليس عظيما أن تلم ملمة
وليس علينا فى الحقوق معول
فإن نحن لم نملك دفاعاً بحادث
تلم به الأيام فالموت أجمل

— ٣٩٤ —

عبد الله بن الزبير ومعاوية :

كان لعبد الله بن الزبير أرض ، وكان له فيها عبيد يعملون فيها وإلى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضاً عبيد يعملون فيها ، فدخل عبيد معاوية فى أرض عبد الله بن الزبير ، فكتب عبد الله كتاباً إلى معاوية يقول له فيه :

أما بعد يا معاوية فإن عبيدك قد دخلوا فى أرضى فإنهم عن

ذلك وإلا كان لى فى ذلك شأن والسلام . فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه إلى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية : يا بنى ما ترى ؟ قال : أرى أن تبعث إليه جيشاً يكون أوله عنده وآخره عندك يأتيك برأسه ، فقال : بل غير ذلك خير منه يا بنى . ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه :

أما بعد فقد وقفت على كتاب وله جوارى وساءنى ماساءه ، والدنيا بأسرها هينة عندى فى جنب رضاه . نزلت عن أرض لك فاضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال والسلام .

فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب إليه :

قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه. ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام . فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به إلى إبنه يزيد ، فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه : يا بنى من عفا ساد ، ومن حلم عظم . ومن تجاوز استمال إليه القلوب ، فإذا ابتليت بشىء من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الدواء .

— ٣٩٥ —

قال أبو عبيدة :

سألت أبا نواس عن رأيه فى رجل فقال : ثقيل الظل ،

جامد النسيم ، فقلت : زد، فقال:مظلم الهواء ، منتن الفناء ، فقلت: زد ، فقال : غليظ الطبع ، بغيض الشكل ، قلت زد ، قال : وهم الطلعة عسر القلعة ، فقلت : زد فقال :

بارد الحركات ، قال خففت عنه ، قال : زدنى سؤالا أزدك جواباً فقلت : كفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

— ٣٩٦ —

دخل المأمون يوماً بيت الديوان فرأى غلاماً جميلا على أذنه قلم فقال : من أنت ؟ قال : أنا الناشىء فى دولتك ، المتقلب فى نعمتك ، والمؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالإحسان فى البديهة تفاضلت العقول،ارفعوا الغلام فوق مرتبته .

— ٣٩٧ —

أقدم ابراهيم ابن المهدى على خلع المأمون من الخلافة بعد مقتل الأمين ولما استتب الأمر للمأمون وقام بالخلافة فى بغداد ، وجاء إلى بغداد من خراسان انهزم ابراهيم ، ولكنه وقع فى قبضة ابن أخيه فى النهاية فتشاور بشأنه مع أحمد بن خالد الوزير ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! إن قتلته فلك نظراء ، وإن عفوت عنه فليس لك نظير ، فعفى المأمون عن إبراهيم وأطلقه .

— ٣٩٨ —

الصراط الوارد ذكره فى الكتاب العزيز ؛ هو الطريق لأهل الجنة إلى الجنة ولأهل النار إلى النار بعد المحاسبة ، قالوا : لأن أهل الجنة يمر بهم على باب النار ، فمن كان من أهل النار عدل به إليها ، وقذف فيها ، ومن كان من أهل الجنة مر بالنار مروراً نجا منها إلى الجنة ، وهو معنى قوله تعالى : وإن منكم إلا واردها ، لأن ورودها هو القرب منها ، وقد دل القرآن على سد مضروب بين مكان النار وبين الموضع الذى يجتازون منه إلى الجنة فى قوله: فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهر من قبله العذاب » .

— ٣٩٩ —

حدث بعض أصحاب جعفر بن محمد الصادق ، قال :

دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه . فكان مما حفظت منها أنه قال : . . يا بنى ! إقبل وصيتى ، واحفظ مقالتى ، فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً ، وتموت حميداً ؛ يا بنى ! من رضى بما قسمه الله له استغنى ، ومن مد عينه إلى ما فى يد غيره مات فقيرا ، ومن لم يرض بما قسمه الله اتهم الله فى قضائه ، ومن

استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، يابنى ! من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغى قتل به . ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، يابنى ! إياك أن تزرى بالرجال فيزرى بك ، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك ، يا بنى ! قل الحق لك أو عليك ، يابنى كن لكتاب الله تاليا ، وللاسلام فاشيا ، وبالمعروف آمرا ، وعن المنكر ناهيا ، ولمن قطعك واصلا ، ولمن سكت عنك مبتدئا ، ولمن سألك معطيا ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال ، وإياك والتعرض لعيوب الناس ، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف .

— ٤٠٠ —

قال شبيب : كنا فى سنة فى طريق مكة فجاء أعرابى فى يوم صائف شديد الحر ومعه جارية سوداء وصحيفة فقال : أفيكم كاتب ؟ قلنا : نعم وحضر غداؤنا فقلنا له : لو دخلت فأصبت من طعامنا ! قال : إنى صائم قلنا الحر وشدته وجفاء البادية فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن فيها وستكون ولا أكون فيها وما أحب أن أغبن أيامى ثم نبذ إلينا الصحيفة فقال للكاتب أكتب ولا تزد

على ما أمليه عليك : هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل الكلبي اعتق جارية له سوداء إسمها لؤلؤة ابتغاء وجه الله وجواز العقبة وإنه لاسبيل له عليها إلا سبيل الولاء والمنة علينا وعليها واحدة .

— ٤٠١ —

روى صاحب العقد الفريد أن رجلا من اليمن دخل الكوفة فأتى المسجد فإذا عمار بن ياسر ورجل ينشده هجاء معاوية وعمرو ابن العاص وهو يقول : ألصق بالعجوزين . فقال له اليمنى : سبحان الله ! أتقول هذا وأنتم أصحاب الرسول ؟ قال : إن شئت فاجلس وإن شئت فاذهب . فجلس الرجل فقال . أتدرى ما كان يقول لنا رسول الله لما هجانا أهل مكة ؟ فقال : لا أدرى قال : كان يقول لنا « قولوا لهم مثل ما يقولون لكم » .

— ٤٠٢ —

كان رجلا فى بغداد يتكلم بنوادر ولطائف مضحكة يسمى ابن المغازلى . فكان كل من يستمع إلى كلامه لا يستطيع أن يتمالك من الضحك ، وقف يوماً على باب دار الخلافة يضحك الناس بنوادره فجاءه أحد خدام الخليفة وأدخلة إلى حضرة المعتضد وكان قد اشترط عليه أن يناصفه كل ما يحصل له

من عطاء الخليفة بيد أن ابن المغاذلى إلتمس منه أن يقنع بأقل من النصف قائلا له : إننى رجل ضعيف ومكلف بمعيشة أسرة كبيرة فأبى الخادم قبول هذا الشرط : يقول بن المغازلى : سلمت على الخليفة ثم رفع رأسه إلى وقال : أنت بن المغازلى ؟ قلت : نعم يا مولاى . قال بلغنى أنك تضحك الناس بنوادر عجيبة فقلت : يا أمير المؤمنين ! إن الحاجة تفتق الحيلة إننى أحكى للناس حكايات تضحكهم وتسليهم فالتمس بذلك برهم . فقال الخليفة : فإن أضحكتنى أجزتك بخمسمائه درهم . وإلا صفعتك بذلك الجراب عشر صفعات فقلت فى نفسى : الملك لا يصفع الناس إلا بشىء خفيف لطيف ثم أخذت فى قول النوادر والحكايات ولم أدع حكاية مضحكة إلا وذكرتها ولم يبق ورائى خادم ولاغلام إلا وقد ماتوا من الضحك ولكن الخليفة ظل مقطب لا يبتسم فقلت : قد نفد ماعندى ووالله ما رأيت مثلك قط . قال : هات ما عندك فقلت : مابقى لى سوى نادرة واحدة قال : هاتها : فقلت : أعلمتنى أن تأمر بصفعى عشر صفعات بهذا الجراب إن لم أضحك فا أمر بذلك حتى استريح وأعود إلى دارى فقال : أصفعه يا غـــلام ولما تحلت الصفعة الأولى على قفاى ظننت أن قطعة من الجبل سقطت على فكادت أن تنفصل رقبتى وطنت أذناى وانقدح الشعاع من عينى فصحت : ياسيدى !

نصيحة قال : ما هى ؟ قلت ليس من الديانة أحسن من الأمانة ولا أقبح من الخيانة . إنى ضمنت للخادم الذى أدخلنى نصف الجائزة على كثرتها وقلتها فأرجو أن يأمر أمير المؤمنين أن يصفع صفعه كما أصفع بها فضحك حتى استلقى وأمر بصفع الخادم . فخاطبنى الخادم قائلا : ماجنايتى يرحمك الله ؟ قلت هذا ما اتفقنا عليه من صلة أمير المؤمنون فخذ حقك كما استوفيت حقى فأمر الخليفة بالصفح عنهما ثم أخرج صرة فيها خمسمائة درهم وقال : خذها وتقاسمها مع شريكك فى النفع والضرر .

— ٤٠٣ —

قيل لأبى العتاهيه :

كيف أصبحت ؟ قال : على غير مايحب الله وعلى غير ما أحبه أنا وعلى غير مايحبه ابليس قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الله يحب أن أطيعه وأنا لست كذلك وأنا أحب أن تكون لى ثروة ولست كذلك وإبليس يحب منى معصية وليس عندى مال ولا آلة استخدمها فى ذلك .

— ٤٠٤ —

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى صفات المتقين :

خلق الله الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم آمناً عن

معصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه . فقسم بينهم معايشهم ووضعهم فى الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيتهم التواضع . غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم . نزلت أنفسهم من البلاء كالتى نزلت فى الرخاء لولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم من أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب .

— ٤٠٥ —

آداب الأكل :

قال بعضهم : إذا أكل أحدهم فليذكر اسم الله من أول أكله وآخره وعلى من يأكل أن يلحق بالآداب والرسوم المستحسنة ومنها : أن يأكل بيمينه ويشرب بيمينه وألا يشرب ويأكل قائماً وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال : إذا أكلت فضم شفتيك ولا تلتفتن يميناً ولا شمالا ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلا .

قال الغزالى : إذا حضر الطعام فلا ينبغى لأحد أن يبتدئ فى الأكل ومعه من يستحق التقدم عليه لكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع المقتدى به فحينئذ ينبغى أن لا يطول

عليهم الانتظار إذا اجتمعوا للأكل وينبغى أن لا يسكت على الطعام ولكن يتكلم عليه بالمعروف وبالحديث عن الصالحين وأهل الأدب فى الأطعمة . ومن آداب المائدة عدم الإسراع فى الأكل وعدم التأخير عن الغير على المائدة وأن لا يبدو الشخص أثناء الأكل نهما وحريصاً ويكتفى بما هو أمامه من الطعام .

قال ابن المقفع : كانت ملوك الفرس إذا رأت الرجل منها شرها أخرجوه من طبقة الجد إلى باب الهزل ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار .

أما آداب المضيف :

فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه . فقد قيل : البشاشة فى الوجه خير من القرى قالوا : فكيف بمن يأتى بها وهو ضاحك ؟ وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوى هذا الكلام بأبيات فقال :

إذا المرء وافى منزلا منك قاصدا
قراك وأوقفه لديك المسالك
فكن باسما فى وجهه متهللا
وقل مرحباً أهلا ويوم مبارك

بشاشة وجه المرء خير من القرى
فكيف بمن يأتى به وهو ضاحك

وقالو : إذا كنت مأكول الطعام فرحب .

وقال بعض الشعراء يصف الغنى والفقير :

إن الغنى إذا تكلم بالخطأ قالو صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير إذا تكلم صادقا قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا

قال الشافعى :

لقد أصبحت نفسى تتوق إلى مصر
ومن دونها قطع المهامه والقفر
فو الله لا أدرى اللفوز والغنى
أساق إليها أم أساق إلى القبر

— ٤٠٦ —

ذكروا فى الإسرائيليات أن الهدهد جاء إلى سليمان :
فقال : أريد أن تكون فى ضيافتى فقال سليمان : أنا وحدى؟
فقال : لا بل أنت وجنودك فى يوم كذا على جزيرة كذا فلما كان ذلك اليوم جاء سليمان وعسكره . فطار الهدهد فصاد جرادة

فخنقها ورمى بها فى البحر وقال : كلوا فمن لم ينل من اللحم نال من المرقة فضحك سليمان من ذلك وجنوده حولا كاملا .

— ٤٠٧ —

جاء فى جامع الحكايات :

كان عمر يمر ذات ليلة فى المدينة متعسسا فوصل باب دار ، وسمع رجلا يغنى ، ورأى أثر الفساد فى هذه الدار ، ولما أراد الدخول إلى الدار وجد الباب موصدا فقال فى نفسه : لو أننى طرقت الباب لعل الرجل يهرب وتسلق سقف المنزل فرأى رجلا يجلس مع امرأة ويضع أمامه قليلا من الشراب فنهره وقال : ياعدو الله ! أتظن أنك تخفى على الله تعالى إثما عظيما كهذا ؟ فنهض الرجل وقال : لو رأيت من المصلحة فاسمع كلمتى ولا تعجل فى تأديبى وتعذيبى . إننى إن كنت قد ارتكبت معصية واحدة فقد ارتكبت أنت ثلاث معاص فقال عمر : كيف ؟ قال : لأن الله تعالى يقول : ولا تجسسوا فتجسست ، وقال ثانيا : وأتوا البيوت من أبوابها ، فأتيت دارنا من السطح ، وقال ثالثا : وإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أهلها ، وأنت لم تسلم على ، فقال عمر صحيح أننى أخطأت ثلاث فلو تبت لعفوت عنك ، فقام الرجل وأهرق الشراب ، وتركه الخليفة العادل عمر .

— ٤٠٨ —

الحجاج فى العراق :

قصة تولى الحجاج أمور العراق كما أوردها ابن المسعودى فى مروج الذهب : خرج عبد الملك إلى أصحابه فقال : ويلكم من للعراق ؟ فصمتوا وقام الحجاج فقال : أنا لها ، قال : إجلس ، ثم قال : ويلكم من للعراق ؟ فسكتوا وقام الحجاج وقال: أنا لها ، قال : إجلس ، ثم قال : ويلكم من للعراق ؟ فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال : والله أنا لها ياأمير المؤمنين ، قال : أنت لها. فكتب إليه عهده ، فلما دخل الكوفة جعل ينادى : الصلاة جامعة ، وما منهم رجل جالس فى مجلسه إلا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر ذلك من أهله ومواليه وصعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا إبهامه على فيه فقال بعضهم لبعض : قوموا حتى نحصبه ، قال له بعض أهل بيته أصلحك الله ! إكفف عن الرجل حتى نسمع مايقول فمن قائل يقول : حصر الرجل فما يقدرعلى الكلام، ومن قائل يقول : أعرابى ما أبصر حجته فلما غص المجلس بأهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه فوالله ماحمد الله ولا أثنى عليه ولا صلى على نبيه وكان أول ما بدأهم :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

الخارجى والمعتصم :

أخبر بعضهم قال : ما رأيت رجلا عرض له الموت فلم يكترث به إلا تميم بن جميل الخارجى ، كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جئ به أسيرا فدخل عليه فى يوم موكب ، وقد جلس المعتصم للناس مجلساً عاما ودعى بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر إليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ومشيته إلى الموت غير مكترث به ، فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال : يا تميم ! إن كان لك عذر فأت به فقال : أما إذا أذن أمير المؤمنين [جبر الله به صدع الدين ولم شنت المسلمين ، وأخمد شهاب الباطل وأنار سبيل الحق] فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الألسنة ، وتصدع الأفئدة ، وأيم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة ، وساء الظن ولم يبق إلا العفو أو الانتقام ، وأمير المؤمنين أقرب إلى العفو ثم أنشد :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظنى من حيث ما أتلفت
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى
وأى امرىء مما قضى الله يفلت ؟

قال : فبكى المعتصم وقال : إن من البيان لسحرا ثم قال : كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل، وقد وهبتك لله ولصبيتك، وأعطاه خمسين ألف درهم .

— ٤١٠ —

من كلام النبوة :

روى فى عـدة مصادر أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك ابن مروان يهدده ، فرأى أن يهدد على بن الحسين ليرى ما يقول فيبعث به إلى ملك الروم ، فـكتب إلى الحجـاج أن توعد على ابن الحسين واكتب إلى بما يقول ؛ فـكتب الحجاج إليه يتوعده، وكان جواب على بن الحسين أن قال : إن لله عز وجل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ليس منها لحظة إلا يحيي ويميت، ويعز ويذل ويفعل مايشاء ؛ وإنى لأرجو أن يكفلك منها بلحظة واحدة ، فأرسله الحجاج إلى عبد الملك ؛ ثم كتب به عبد الملك إلى ملك الروم ردا على تهديده ، فلما قرأه ملك الروم قال: ماخرج هذا الا من كلام النبوة .

— ٤١١ —

وقفت امرأة أمام هارون الرشيد ، وقالت : يا أمير المؤمنين

أقر الله عينيك وأتم سعدك ولقد حكمت فقسطت ، فقال : من أنت أيتها المرأة ؟ قالت : من آل برمك . ممن قتلت رجالهم ، وأخذت أموالهم ، وسلبت نوالهم فقال : أما الرجال فقد ذهبوا بآجالهم ، وأما الأموال فإنها مردودة إليكم ثم التفت إلى أصحابه وقال : أتدرون ماذا قصدت بدعائها ؟ قالوا : كلا قال : أما قولها : أقر الله عينيك . أى أوقفها عن الحركة يعنى أعماها ، وأما قولها : أتم سعدك ، فإنها تلوح بقول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم

وأما قولها : حكمت فقسطت ، فمأخوذ من قوله تعالى .

[أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا] .

— ٤١٢ —

قال كسرى أنوشيروان لابنه هرمز .

يا بنى ! استقلل كثير ما تعطى ، واستكثر قليل ما تأخذ فإن قرة عين الكريم فيما يعطى وقرة عين اللئيم فيما يأخذ ، ولا تجعل البخيل لك معيناً والكذاب أمينا فإنه لا إعانة مع بخل ولا أمانة مع كذب .

عن الأبشيهى

— ٤١٣ —

كان أبو سفيان من أشهر قريش وهو القائل عن نفسه وقبيلته :

لقد علمت قريش بغير فخر بأنا نحن أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعا سابغات وأمضاهم إذا طعنوا سنانا
وأرفعهم عن الضراء عنهم وأبينهم إذا نطقوا لسانا

— ٤١٤ —

يحكى أن علياً نادى على معاوية فى موقعة صفين وقال : علام يقتل الناس بينى وبينك هلم أحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو : قد أنصفك فقال له معاوية ما أنصفت وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله أو أسره فقال له عمرو . وما تجمل بك إلا مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وحقدها عليه ، وقد قيل فى بعض الروايات أن معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا أن يبرز إلى على فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه على وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال . مكره أخوك لا بطل فحول على وجهه وقال . قبحت ورجع عمرو إلى مصافه . المسعودى

— ٤١٥ —

قال بعض العارفين :

إن خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهى التقوى أنظر إلى مافى القرآن الكريم من ذكرها فكم علق عليها من خير ووعد عليها من ثواب وأضاف إليها من سعادة دنيوية وكرامة أخروية . الكشكول

— ٤١٦ —

عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ، رواه أبو داود .

— ٤١٧ —

ذكر الواقدى (نقلا من مروج الذهب) قال : دخل عمرو ابن العاص يوما على معاوية بعد ما كبر ودق ومعه مولاه وردان فأخذا فى الحديث وليس عندهما غير وردان فقال عمرو يا أمير المؤمنين ما بقى مما تستلذه . . فقال أما النساء فلا أرب لى فيهن . وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلدى فما أدرى أيها ألين وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى

— ٢٨٧ —

ما أدرى أيه ألذ وأطيب وأما الطيب فقد دخل خياشيمى منه حتى ما أدرى أيه أطيب فما شئ ألذ عندى من شراب بارد فى يوم صائف ومن أن أنظر إلى بنى وبنى بنى يدورون حولى فما بقى منك يا عمرو ؟ قال مال أغرسه فأصيب من ثمرته ومن غلته . فالتفت معاوية إلى وردان فقال ما بقى منك يا وردان . قال صنيعة كريمة سنية أعلقها فى أعناق قوم ذوى فضل وأخطار لا يكافئوننى بها حتى ألقى الله تعالى وتكون لعقبى فى أعقابهم بعدى فقال معاوية تبا لمجلسنا سائر اليوم إن هذا العبد غلبنى وغلبك وفى سنة ثلاث وأربعين مات عمرو بن العاص بن وائل وله تسعون سنة ولما حضرته الوفاة قال .. اللهم لا براءة لى فأعتذر ولا قوة لى فأنتصر. أمرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا . اللهم هذه يدى إلى ذقنى ثم قال خدوا لى فى الأرض خدا وسنوا على التراب سنا ثم وضع أصبعه فى فيه حتى مات .

— ٤١٨ —

قيل لعبد الملك : لقد أسرع إليك الشيب ، قال : لقد شيبنى صعود المنابر ، والخوف من اللحن ، وكان اللحن عندهم فى غاية القبح ، ولما اشتد مرضه قال : أصعدونى على شرف ، فأصعدوه إلى موضع عال ، فجعل يتنسم الهواء ، ثم قال : يادنيا ! ما أطيبك ،

إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لحقير ،وإن كنا منك لفي غرور.
وتمثل بهذين البيتين :

إن تناقش يكن نقاشك يارب غدا بالاطوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب صفوح عن مسيءٌ ذنوبه كالتراب

— ٤١٩ —

كان ابن مسكوية مديراً لمكتبة أبي الفضل بن العميد الوزير الإيراني المعروف ، وحدث أن ثار العامة على الوزير ، ونهبوا داره ، فلما عاد إليها بعد ذلك لم يجد فيها شيئاً يجلس عليه ، ولا كوباً يشرب فيه ، ولكنه وجد خزانة المكتبة لم تقربها يد سوء ، فسرى عنه الحزن ، وقال لمسكوية أشهد أنك ميمون النقيبة ، فإن لنا عوضاً عما كانت تحويه خزائن المال والجوهر وبقية التحف والنجائب ، أما الكتب فلا يوجد ما يعوضها .

— ٤٢٠ —

باع رجل ضيعة ، فقال للمشترى : أما والله لقد أخذتها ثقيلة المؤنة ، قليلة المنفعة ، فقال : وأنت والله أخذتها بطيئة الإجتماع سريعة التفرق ، واشترى رجل من رجل دارا ، فقال له المشترى : لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة ، فقال : وأنت لو صبرت بعتك الذراع بدرهم .

— ٤٢١ —

واعجبا تنبه الحيوانات بالليل ، فتصوت ، وأنت غافل. ويحك إذا فتحت عينيك فى الدجى ، فصح بقلبك .

قم بنا يا أخى لما نتمنى   واطرد النوم بالعزيمة عنا
قم فقد صاحت الديوك ونادت   لا تكون الديوك أطرب منا

— ٤٢٢ —

عظمة النبوة :

قام رجل بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأخذته رعدة فقال له : هون عليك فإنى لست بملك ، وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .

قال الخليل :

ما ضاق مكان على اثنين متحابين ، والدنيا لا تسع اثنين متباغضين .

حكمة :

إذا ذكر جليسك عندك أحدا بالسوء فاعلم أنك ثانيه .

— ٤٢٢ —

من رقيق شعر العرب :

قال أبو بكر بن دريد : سألت عبد الرحمن يوما فقلت له : إن رأيت أن تنشدنى من أرق ماسمعته من عمك من أشعار العرب ! فضحك وقال : والله لقد سألت عمى عن ذلك فقال : يابنى ، وما تصنع برقيق أشعارهم ؟ فو الله إنه ليفرح القلوب ، ويحث على الصبابة ، ثم أنشدنى :

لعمرى لئن كنتم على النأى والغنى
بكُم مِثلُ ما بى إنكم لصديقُ
فما ذقت طعم النوم مذ هجرتكم
ولا ساغ لى بين الجوانح ريق
إذا زفرات الحب صعّدْن فى الحشا
كررْن فلم يعلم لهن طريق

— ٤٢٤ —

من تقاليد العرب القديمة :

كان العربى إذا أراد أن يتمدح بماله من المقام المحمود فى نظر العرب من الكرم والشجاعة ، لم يكن يخاطب فى غالب الأحيان

إلا المرأة ؛ يقول حاتم الطائى مخاطبا امرأته ماوية بنت عبد الله :

أيا ابنة عبـــد الله وابنة مالك
ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسى له
أكيلا فإنى لست آكله وحدى
أخا طارقا أو جار بيت فإننى
أخاف مزمات الأحاديث من بعدى
وإنى لعبد الضيف ما دام ثاويا
وما فى إلا ذاك من شيمة العبد

يقول عنترة العبسى :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلم
ينبيك من حضر الوقيعة أننى ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

— ٤٢٥ —

كان معن بن زائدة ظنينا فى دينه ، فبعث إلى ابن عياش المنتوف بألف دينار ، وكتب إليه : قد بعت إليك بألف دينار اشتريت بها دينك ، فاقبض المال واكتب إلى بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضت الدنانير ، وبعتك بها دينى خلا التوحيد لما عرفت من زهدك فيه .

قال إبراهيم بن المنذر الحزامى : قدم أعرابى من أهل البادية على رجل من أهل الحضر فأنزله وكان عنده دجاج كثير وله امرأة وابنان وبنتان فقال: فقلت لامرأتى إشوى دجاجة وقدميها إلينا نتغذى بها وجلسنا جميعاً ودفعنا إليه الدجاجة فقلنا : إقسمها بيننا نريد بذلك أن نضحك منه قال : لاأحسن القسمة فإن رضيتم بقسمتى قسمت بينكم قلنا : نرضى ، فأخذ رأس الدجاجة فقطعه فناولنيه وقال : الرأس للرئيس ، ثم قطع الجناحين وقال:الجناحان للابنين ، ثم قطع الساقان وقال : الساقان للابنتين، ثم قطع الزمكى وقال العجز للعجوز ثم قال : الزور للزائر ، فلما كان من الغد قلت لامرأتى إشوى لى خمس دجاجات فلما حضر الغداء قلنا إقسم بيننا قال شفعاً أو وتراً ؟ قلنا : وترا قال : انت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ثم رمى بدجاجة وقال وابناك ودجاجة ثلاثة ثم رمى إليهما بدجاحة وقال وابنتاك ودجاجه ثلاثة ثم قال وأنا ودجاجتان ثلاثة فأخذ الدجاجتين فرآنا ننظر إلى دجاجتيه فقال لعلكم كرهتم قسمتى الوتر قلنا إقسمها شفعاً فقبضهن إليه ثم قال أنت وابناك ودجاجة أربعة ورمى إلينا دجاجة ثم قال والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ورمى إليهن دجاجة ثم قال : وأناوثلاث

دجاجات أربعة وضم ثلاث دجاجات ثم رفع رأسه إلى السماء وقال الحمد لله أنت فهمتنيها .

— ٤٢٧ —

روى أن أبان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال له :

يا أبان ، كيف تركت مكة ؟ قال : تركت الإذخر وقد أغدق ، وتركت الثمام وقد خاص . فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دع القلوب فى أماكنها .

— ٤٢٨ —

مما قيل فى الرباعيات العربية :

لو صادف لوح دمع عينى غرقا
أوصاف لوعتى الخليل احترقا
أو حملت الجبال ما أحمله
صارت دكا وخر موسى صعقا

وقال أبو تمام فى الكرم :

تعود بسط الكف حتى لو أنه
ثناها لقبض لم تطعه أنامله

ولو لم يكن فى كفه غير روحه
لجـــاد بها فليتق الله سائله

مما قالت الخنساء ترثى أخاها صخرا وهو من أروع ما قيل فى الرثاء

وإن صخرا لكافينا وسيدنا
وإن صخرا إذا نشتو لنحار
وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا
وإن صخرا إذا جاعوا لعقار
أغر أبلج تأتم الهـــداة به
كأنه علم فى رأســه نار
جلد جميـــل المحيا كامل ورع
وللحروب غداة الروع مسعار
حمال ألوية هبـــاط أودية
شهاد أندية للجيش جرار

من كلام الزمخشرى الذى جرى مجرى الأمثال :

— الأب أعرف وأشرف ، والأم أرحم وأرءف ،
— قالوا : فلان قد وزر ، قلت كلا لا وزر
— الدهر كالدولاب لا يدور إلا بالبقر
— ثلاثة يجهل مقدارها . . . الأمن والصحة والقوت

— الدخول فى دائرة الإسلام خلود فى دار السلام
— من زرع الأحن حصد المحن
— من لا يخاف من التأنيب لا ينفعه التأديب

— ٤٣٠ —

قال أبو العلاء :

قال المنجم والطبيب كلاهما لاتحشر الأجسام قلت إليكما
أن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالخسار عليكما

وقال أيضا :

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج لا يعاد له سبك

وقال :

إذا قلت المحال رفعت صوتى
وإن قلت اليقين أطلت همسى

وقال :

أن هذه المذاهب أسباب لجر الدنيا إلى الرؤساء

— ٤٣١ —

جاء فى بلاغات النساء :ـ

قال المقدمى أبو اسحاق قال حج معاوية سنة من سنيه فسأل

عن امرأة يقال لها الدرامية الحجونية كانت امرأة سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فبعث إليها فجيء بها فقال لها كيف حالك يا ابنة حام قالت بخير ولست لحام إنما أنا امرأة من قريش من بنى كنانة ثمت من بنى أبيك قال صدقت هل تعلمين لم بعثت إليك قالت لا ياسبحان الله وانى لى بعلم ما لم أعلم قال بعثت إليك أن أسألك علام أحببت علياً عليه السلام وابغضتينى وعلام واليتيه وعاديتينى قالت أو تعفينى من ذلك قال لا أعفيك ولذلك دعونك قالت فأما إذا أبيت فانى أحببت عليا عليه السلام على عدله فى الرعية وقسمه بالسوية وابغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك وواليت عليا عليه السلام على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه من الولاية وحب المساكين واعظامه لأهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا قال صدقت فلذلك انتفخ بطنك وكبر ثديك وعظمت عجيزتك قالت يا هذا بهند (أم معاوية) والله يضرب المثل لا أنا قال معاوية يا هذه لا تغضبى فانا لم نقل إلا خيراً أنه إن انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها وإذا كبر ثديها حسن غذاء ولدها وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها فرجعت المرأة فقال لها هل رأيت عليا قالت أى والله لقد رأيته قال كيف رأيته قالت لم ينفخه الملك ولم تصقله النعمة قال فهل سمعت كلامه قالت نعم قال فكيف سمعته

قالت كان والله كلامه يجلو القلوب من العمى كما يجلوا الزيت صداء الطست قال : صدقت هل لك من حاجة قالت : وتفعل إذا سألت ؟ قال نعم قالت تعطيني مئة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها قال ماذا تصنعين بها قالت اغذوا بالبانها الصغار واستغنى بها عن الكبار واكتسب بها المكارم وأصلح بها عشائر العرب قال فإن أنا أعطيتك هذا أحل منك محل على عليه السلام قالت يا سبحان الله أو دونه فقال معاوية :

إذا لم أجد عليكم فمن ذا الذى بعدى يؤمل بالحلم
خذيها هنيئاً واذكرى فعل ماجد حباك على حرب العداوة بالسلم

أما والله لو كان علياً ما أعطاك شيئاً قالت أى والله ولا بدرة واحدة من مال المسلمين يعطى ثم أمر لها بما سألت .

شيرويه ومادحه على قتل أبيه أبرويز :

يحكى عن شيرويه أن رجلا من الرعية وقف له يوما وقد رجع من الميدان فقال « الحمد لله الذى قتل أبرويز على يديك وملكك ما كنت أحق به منه فأراح آل ساسان من جبروته وعتوه وبخله ونكده فإنه كان ممن يأخذ بالريب ويقتل بالظن ويخيف

— ٢٩٨ —

البرى. ويعمل بالهوى فقال شيرويه للحاجب :

أحمله إلى ، فحمل : فقال له :

ـ كم كانت أرزاقك فى حياة أبرويز ؟

ـ كنت فى كفاية من العيش

ـ فكم زيد فى أرزاقك اليوم

ما زيد فى رزقى شيء

فهل وترك أبرويز فانتصرت منه بما سمعت من كلامك ؟

ـ لا

قال فمن دعاك إلى الوقوع فيه ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترك فى نفسك ؟

وما للعامة والوقوع فى الملوك وهم رعية ؟

فأمر أن ينزع لسانه من قفاه وقال :

بحق ما يقال إن الخرس خير من البيان فيما لا يجب . .

— ٤٣٣ —

لما مات يزيد صار الأمر إلى ولده معاويه بن يزيد وكان قدريا لأنه أشخص عمراً المقصوص فعلمه ذلك فدان به وتحقق فلما بايعه الناس قال للمقصوص : ما ترى ؟ فقال إما أن تعتدل وأما أن تعتزل فخطب معاوية فقال : « إنا بلينا بكم »

— ٢٩٩ —

وابتليتم بنا ، وإن جدى معاوية نازع الأمر من كان أولى به وأحق فركب منه ما تعلمون حتى صار مرتهنا بعملة ثم تقلده أبى ولقد كان غير خليق به فركب ردعه واستحسن خطأه ولا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم فوالله لئن كانت شرا لحسب آل أبى سفيان ما أصابوا منها ، ثم نزل وأغلق الباب فى وجهه ، وتخلى للعبادة حتى مات بالطاعون فوثب بنو أمية على عمرو المقصوص وقالوا له :

أنت أفسدته وعلمته ، فطمروه ودفنوه حيا ، وكان قيل فيه :

تلقفها يزيد عن أبيه
فخذها يا معاوى عن يزيد

وقال آخر :

إنى أرى فتنة تغلى مراجلها
والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

— ٤٣٤ —

جزاء سنمار :

يضرب به المثل للمحسن يكافأ بالإساءة ، وكان سنمار الرومى مشهوراً ببناء المصانع والحصون والقصور للملوك فبنى الخورنق على فرات الكوفة للنعمان بن امرىء القيس فى مدة عشرين سنة

فكان يبنى مدة ويغيب مدة يريد بذلك أن يطمئن البنيان ويتمكن، فلما فرغ منه وصعده النعمان وهو معه، ورأى البر والبحر، ورأى صيد الضباب والظباء والحمير، ورأى صيد الحيتان وصيد الطير، وسمع غناء الملاحين وأصوات الحداة، أعجبه حسن البناء وطيب موضعه، فقال سنمار عندذلك متقربا إليه بالحذق وحسن المعرفة أبيت اللعن والله إنى لأعرف فى أركانه موضع حجر لو زال لزال جميع البنيان، قال أوكذلك ؟ قال نعم، قال : لا جرم والله لأدعنه ولا يعلم بمكانه أحد، ثم أمر به فرمى من أعالى البنيان فتقطع، ويقال بل قتله مخافة أن يبنى مثله لغيره من الملوك، فقال شرحبيل الكلبي وجعل الحديث مثلا :

جزانى جزاه الله شر جزا له
جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة
يعالى عليه بالقواميد والسكب
فلما رأى البنيان تم سحوقه
وآض كمثل الطود ذى الباذخ الصعب
وظن سنمار به كل نافع
وفاز لديه بالكرامة والقرب

فقال : أقذفوا بالعلم من رأس شاهق

وذاك لعمر الله من أعظم الخطب

— ٤٣٥ —

أودع تاجر من نيسابور جاريته عند الشيخ عثمان الحيرى فوقع نظر الشيخ عليها ذات يوم وشغف بحبها ، ولم يتمالك عنها ، فأخبر شيخه أبا حفص الحداد بالأمر ، فكتب إليه : يأمره بالسفر إلى الرى ومصاحبة الشيخ يوسف الفقيه هناك ، فلما وصل إلى الرى وسأل عن دار الشيخ الموصى إليه أخذ أكثر الناس ، يلومه ويقول : كيف يسأل رجل تقى مثلك عن بيت رجل شقى فاسق مثل هذا ، فرجع من ساعته إلى نيسابور وكتب لشيخه بالقصة ، فأمره بالسير ثانياً إلى الرى وملاقاة الشيخ يوسف المذكور ، فقدم هذه المرة إلى الرى وأخذ يسأل عن منزل الشيخ ، دون ، أن يأبه بملامة الناس له ، ولما أتى إليه وسلم عليه . رد عليه السلام ، وكان إلى جانبه صبى بارع الجمال وأمامه زجاجة مملوءة من شيء كأنه الخمر بعينه ، فقال له الشيخ أبو عثمان : ما هذا المنزل فى هذه الحارة ؟ فقال : إن ظالما اشترى بيوت هذه المحلة وصيرها دوراً للخمارين ، ولم يحتج إلى

— ٣٠٢ —

شراء داري ! فقال : من هذا الغلام ؟ وما هذا الخمر ؟ فقال : أما الغلام فولدي من صلبي ، وأما الزجاجة فخل فقال له : فلم تعرض نفسك لاتهام الناس ؟ فقال : لئلا يعتقدوا : أنني ثقة أمين فيستودعونني جواريهم ، فأبتلي بحبهن ، وأهيم بغرامهن ، فبكى الشيخ أبو عثمان بكاء شديدا وعرف قصد أستاذه .

— ٤٣٦ —

قصد الشاعر المؤمل بن أميل المهدي بن المنصور بمدينة الري ، ومدحه بقصيدة من الشعر الجيد ، فأمر له المهدي بعشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو بمدينة السلام ، فكتب المنصور إليه يعزله ويلومه على هذا الإسراف ويقول له : « إنما كان ينبغي لك أن تعطي الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة ، أربعة آلاف درهم » وبث أبو جعفر العيون والأرصاد على الشاعر ، وعلم أنه توجه إلى بغداد ، فأرسل أحد قواده وأمره بالجلوس على جسر النهر ، وأن يتصفح الناس رجلا رجلا ممن يمرون به حتى يظفر بالمؤمل ، فلما رآه وعرفه بسمانه قال له : « من أنت ؟ » . فأجاب الشاعر : « أنا المؤمل بن أميل من زوار الأمير المهدي » . فقال له القائد : « إياك طلبت » ، وقبض عليه وقد كاد قلب الشاعر يتصدع من الخوف ، وأتى به باب المنصور ، وأسلمه إلى « الربيع » وزير المنصور ، فدخل الربيع

إلى المنصور وقال له : « هذا الشاعر قد ظفرنا به » . فقال المنصور : « أدخلوه على » دخل الشاعر خائفا مضطربا فسلم على الخليفة ورد الخليفة عليه وقال له : « أنت المؤمل بن أميل ؟ » فقال الشاعر : « نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين » فقال المنصور : « نعم ، هيه أتيت غلاما غرا فخدعته » فأجاب الشاعر : نعم أصلح الله الأمير ، أتيت غلاما غرا كريماً فخدعته فانخدع » . راق المنصور هذا الرد ، وكان دائماً يعجب بالأجوبة اللبقة ، والتخلص الحسن فقال للشاعر : « أنشدنى ما قلت فيه » فأنشده الشاعر هذه الأبيات :

هو المهدى إلا أن فيه مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا منها إذا ما أنارا مشكلان على البصير
فهذا فى الكلام سراج ليل وهذا فى النهار سراج نور

إلى أن يقول :

وإن بلغ الصغير مدى الكبير لقد خلق الصغير من الكبير

فقال المنصور : « لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم ، فأين المال ؟

فقال الشاعر : « ها هو ذا » .

فقال المنصور للربيع : « يا ربيع : أنزل معه فاعطه أربعة

— ٣٠٤ —

آلاف درهم ، وخذ منه الباقى ، فخرج الربيع مع الشاعر ، ووزن له أربعة آلاف درهم . وأخذ الباقى .

— ٣٢٧ —

قال الصفدى : جماعة رزقوا السعادة فى أشياء لم يأت بعدهم من نالها منهم : على بن أبى طالب رضى الله عنه فى القضاء ، أبو عبيدة فى الأمانة ، أبو ذر فى صدق اللهجة ، أبى بن كعب فى القرآن ، زيد بن ثابت فى الفرائض ، ابن عباس فى تفسير القرآن . الحسن البصرى فى التذكير ، وهب بن منبه فى القصص ، ابن سيرين فى تعبير الرؤيا ، نافع فى القراءات ، أبو حنيفة فى الفقه قياسا ابن اسحاق فى المغازى ، مقاتل فى التأويل ، الكلبى بن أبى الحسن المدائنى فى الأخبار ، محمد بن جرير الطبرى فى علوم الأثر ، الخليل فى العروض ، ابن عياض فى العبادة ، مالك بن أنس فى العلم الشافعى فى فقه الحديث ، أبو عبيده فى الغريب ، على بن المدينى فى علل الحديث ، يحى بن معين فى الرجال ، أحمد بن حنبل فى السنة . البخارى فى فقه الحديث الصحيح ، الجنيد فى التصوف ، محمد بن نصر المرزوى فى الاختلاف ، الجبائى فى الاعتزال الأشعرى فى الكلام ، أبو القاسم الطبرى فى العوالى . عبد الرزاق فى ارتحال الناس إليه ، ابن منده فى سعة الرحلة ، أبو بكر الخطيب

فى سرعة الخطابة ، سيبويه فى النحو ، أبو الحسن البكرى ، فى الكذب ، أبو بكر الرازى فى الطب . الفضل بن يحيى فى الجود ، اياس فى التفرس ، عبد الحميد فى الكتابة ، أبو مسلم الخراسانى فى علو الهمة والحزم ، الموصلى النديم فى الغناء ، أبو الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى فى المحاضرة ، أبو معشر الفلكى فى النجوم ، جعفر بن يحيى فى التوقيعات ، بن زيدون فى سعة العبارة ، بن المعتز فى البلاغة . الجاحظ فى الأدب والبيان الحريرى فى المقامات . البديع الهمدانى فى الحفظ ، أبو نواس فى المطايبات والهزل ، بن حجاج فى سخف الألفاظ ، المتنبي فى الحكم والأمثال الشعرية ، أبو مجنون فى تعاطى العربية ، النسفى فى الجدة ، جرير فى الهجاء الخبيث . حماد الراويه فى شعر العرب ، معاوية فى الحلم . المأمون فى حب العفو . عمرو بن العاص فى الدهاء الباطن ، الشبلى فى الخوف من الله ، ابن البواب فى الكتابة . القاضى الفاضل فى التوسل ، العماد الكاتب الأصفهانى فى الجناس ، ابن الجوزى فى الوعظ ، أشعب فى الطمع ، أبو نصر الفارابى فى نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره ، حنين بن اسحاق فى ترجمة اليونانية إلى العربية ، ثابت بن قرة فى تهذيب من نقل من الرياضة ، إلى العربية ، ابن سينا فى الفلسفة وعلوم الأوائل ، الإمام فخر الدين الرازى فى الإطلاع على العلوم ، السيف الآمدى فى التحقيق

— ٣٠٦ —

النصير الطوسى فى المجسطى ، ابن الهيثم فى الرياضى ، نجم الدين السكاتبي فى المنطق ، أبو العلاء المعرى فى الاطلاع على اللغة أبو العيناء فى الأجوبة المسكتة ، مزيد فى البخل ، القاضى أحمد بن أبى داود فى المروءة وحسن التقاضى ، ابن المعتز فى التشبيه ، ابن الرومى فى التطير ، الصولى فى الشطرنج ، أبو محمد الغزالى فى الجمع بين المعقول والمنقول . أبو الوليد بن رشيد فى تلخيص كتب الأقدمين الفلسفية والطبيعة ، محي الدين بن عربى فى العرفان رضوان الله عليهم أجمعين .

— ٤٣٨ —

دخلت كثير من الألفاظ العربية إلى اللغة الفارسية وكذلك من الفارسية إلى العربية ، وكان ذلك نتيجة للجوار والمصالح المشتركة ووحدة الديانة والعقيدة الإسلامية الشاملة ، حتى أنهم قالوا : إن أكثر من أربعين إلى خمسين أو ستين فى المائة من الكلمات المستعملة فى اللغة الفارسية إنما هى مفردات عربية ، كما قالوا أن كثيراً من الكلمات الفارسية استخدمت فى اللغة العربية بلفظها ومعناها أو بلفظها وتغيير بسيط أو كبير فى لفظها ، وهذه بعض الأمثلة للكلمات العربية المستعملة فى الفارسية بغير معناها :

الكلمات العربية	مدلولها فى الفارسية	الكلمات العربية	مدلولها فى الفارسية
وجه	عمله . مبلغ	عكاسى	مصور
مزخرف	تافه	دفتر	مكتب
رعنا	سيدة جميلة	مطب	عيادة الطبيب
كثيف	قذر . ملوث	حوصله	صبر
حال	حاله . صحة . وضع	مجسمة	تمثال
مدفوعات	قاذورات	عام	عامى
رقيب	منافس	سيد	شريف [من آل البيت]
عرض	خطاب الصغير للكبير	ملت [ملة]	شعب . أمة
صورت	وجه	ملى	شعبي . قومى . أهلى
عكس	صوره	ازدواج	زواج
إيراد	اعتراض	محرم	صاحب السر

أما الألفاظ الفارسية التى استخدمت فى العربية فإنها كثيرة وقد استعمل بعضها بلفظه ومعناه وعرب البعض الآخر أى حرف نطقه فى العربية ، وهذه بعض الألفاظ الفارسية المستعملة فى العربية من غير تغيير فى اللفظ :

دين — وزير — أدب — سرايه — سرداب — كاروان — تاج — خراج — دكان — فدان — ورد — توتيا — تخت —

صدا — بيمارستان — جام — جنايه — زمرد — الماس — فهرست — رمز — درب — بريد — فردوس — زمهرير — زلف — خمير — رشوه — توت — سفره — نهروان .

أما الألفاظ الفارسية المعربة فإنها كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

الكلمة الفارسية قبل تعريبها	الكلمة الفارسية بعد تعريبها	الكلمة الفارسية قبل تعريبها	الكلمة الفارسية بعد تعريبها
مهرگان	مهرجان	بذ	بذيء
برنامه	برنامج	پارس	فارس
كهربا	كهرباء	پيل	فيل
كتان	كتّان	گناه	جناح
گنج	كنز	اندازه	هندسه
كيسه	كيس	اندام	هندام
ريزاب	ميزاب	پول	فول
هژبر	هزبر	شاهراه	شارع
شترنگ	شطرنج	كوشك	جوسق
ديبا	ديباج	سرا	سراى
گنهام	جهنم	سوار	إسوار
بلور	بللور	خوان [تلفظ خان]	خوان (مائدة)
لولو	لؤلؤ		

وقد فرس الإيرانيون بعض الـكلمات العربية واستعملوها في لغتهم وهذه بعض الأمثلة :

اللفظة العربية قبل تفرسها	اللفظة العربية بعد تفرسها	اللفظة العربية قبل تفرسها	اللفظة العربية بعد تفرسها
ملحفة	ملافه	بَلَى	بَـلى
ملعقه	ملاقه	بل	لـكه
تماشى	تماشا	مولى	ملا
ولـكن	ولى	طلايع	تلايه

ذكر عند على رضى الله عنه اختلاف الناس فقال :

إنما فرق بينهم مبادىء طينهم ، وذلك أنهم كانوا فِلقَةً من سبخ أرض وعَزْبِها ، وحزن تربة وسهلها ، فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون ، وعلى قدر اختلافهما يتفاوتون ، فتام الرواء ناقص العقل ، وماد القامة قصير الهمة . وزاكى العمل قبيح المنظر ، وقريب القعر بعيد الشّبر . ومعروف الضريبة منكر الجليبة ، وتائه القلب متفرق اللب . وطليق اللسان حديد الجنان .

والقول باختلاف النفوس فى ماهياتها هو مذهب أفلاطون ،

وقد اتبعه عليه جماعة من أعيان الحكماء، وقال به كثير من مثبتى النفوس من متكلمى الإسلام.

وقد بين رضى الله عنه إختلاف أحاد الناس، فقال: منهم من هو تام الرواء، لكنه ناقص العقل. والرواء بالهمز والمد: المنظر الجميل ومن أمثال العرب: «ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل».

وقال الشاعر:

عقله عقـــل طائر　　　وهو فى خلْقَه الجمل

وقال أبو الطيب:

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له

إذا لم يكن فى فعله والخلائق

قال ابن الزناد: كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز، فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فى المظالم فيراجعه، فكتب إليه: إنه يخيل إلى أنى لو كتبت إليك أن تعط رجلا شاة لكتبت إلى: أضأنا أم معزا؟ فإذا كتبت إليك بأحدهما، كتبت إلى: أذكرا أم أنثى؟ وإذا كتبت إليك بأحدهما، كتبت إلى: صغيراً أم كبيراً؟ فإذا كتبت إليك فى مظلمة، فلا تراجعنى والسلام.

— ٤٤١ —

كانت ملوك الأعاجم إذا آثرت أن تختار من رعيتها من تجعله رسولا إلى بعض الملوك الآخرين تمتحنه أولا ، وكان أردشير بن بابك يقول : « كم من دم قد سفكه الرسول بغير حله وكم من جيوش قد قتلت ، وعساكر قد هزت ، وحرمة قد انتهكت ، ومال قد انتهب وعهد قد نقض بخيانة الرسول وأكاذيبه ! ، وكان يقول : « على الملك إذا وجه سفيرا إلى ملك آخر أن يردفه بآخر وإن وجه رسولين ، أتبعهما باثنين ، وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين فى طريق ولا ملاقاة ولا يتعارفان فيتوطآ فعل » .

— ٤٤٢ —

فى تمييز الأحاديث الصحيحة :

وقد سئل علياً رضى الله عنه سائل عن أحاديث أهل البدع وعما فى أيدى الناس من أختلاف الخبر فقال رضى الله عنه : إن فى أيدى الناس حقاً وباطلا ، وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حتى قام خطيباً فقال : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس ، رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالإسلام لم يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمداً فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده عليه السلام فتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والبهتان فولوهم الأعمال وجعلوهم على رقاب الناس فأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبه ، فهو فى يديه يرويه ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه ولو علم هو أنه كذلك لرفضه ، ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه شيئاً يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو يعلم أنه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض

للكذب خوفاً لله وتعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يهمل بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه وحفظ الناسخ يعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه وعرف المتشابه والمحكم وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام له وجهان فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وماقصد به وماخرج من أجله وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأله ويستفهمه حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطارىء فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا وكان لا يمر بي شيء من ذلك إلا سئلت عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس من اختلافهم وعللهم في رواياتهم .

ج ١ من ينابيع المودة

ملك أفريدون :

لما فرغ أفريدون من أمر الضحاك واستوثق منه بالحديد

والحبس الشديد ، ووافق ذلك يوم مهرماه فاتخذه الناس عيداً وسموه المهرجان يعنون أنهم وجدوا بعدل أفريدون ما أضلوه من نفوسهم بجور الضحاك فألقوا عليه المحبة واقتعد أفريدون سرير الملك واعتصب بالتاج واحتف به مـــلوك الأوساط والأطراف وأسارير وجهه تبرق ولسانه بكل جميل ينطلق وشعاع السعادة الإلهية يلوح عليه ونسيم الدولة القاهرة يفوح منه . ثم إنه أمر بعرض الخزائن والكنوز عليه ففتحت عما لا عين رأت ولا أذن سمعت من نفائس الأعلاق ووسائط الجواهر والثياب المنسوجة بالذهب والأكاليل والمناطق المرصعة باليواقيت واللآلىء التي تحكي بيض العصافير والقناطير المقنطره من الذهب والفضة وما يحصى من زينة الملوك ، وأمر باتخاذ التحوت لها ولسائر ما وجد في بيوت الفرش والأسلحة وغيرها .

ذكر بعض ماينسب إلى أفريدون من الحكم والأمثال :

— الأيام صحائف آجالكم فخلدوها أحسن أعمالكم .
— من طلب المعالي بغير استحقاق لها عظمت صرعته .
— من آذى الناس خافهم .
— من لا يعرف مأواه محذور قربه .
— الأعوان خمسة : البواب والخازن والوكيل والسائس والحارس .

— ٣١٥ —

— الشركاء خمسة : الأكار فى الضيعة والمساهم فى القرية والمساكن فى المحلة والموافق فى الدين والمشارك فى المال .

— الأصدقاء خمسة : الوالدان والمعلم والمفقه والواعظ .

— الأعداء خمسة: السِفلة والحاسد والعبد والمرأة والمستعمل على العامل مكانه .

الثعالبى

— ٤٤٤ —

قال المعتز بالله :

بلوت اخلاء هذا الزمان
فأقللت بالهجر منهم نصيبى
فكلهم إن تصفحتهم
صديق العيان عدو المغيب

كشكول الشيخ البهائى

فى وصف بلدة هرات :

إن الهرات بلدة لطيفة بديعة شائقة شريفة
أنيقة أنيسة بديعة رشيقة آنسة منيعة
خندقها متصل بالماء وسورها سام إلى السماء
ذات فضاء يشرح الصدورا ويورث النشاط والسرورا

حوت من المحاسن الجليلة　　والصور البديعة الجميلة
ما ليس فى بقية الأمصار　　ولم يكن فى سالف الأعصار
لست ترى فى أهلها سقيما　　طوبى لمن كان بها مقيما

— ٤٤٥ —

الحنين إلى الوطن .

يحكى أن الرشيد فى خرجة له حمل أخته عليه معه فلما صارت بالمرج — مرج القلعة — اشتاقت إلى بغداد فكتبت على فسطاط أخيها :

ومغترب بالمرج يبكى لشجوه
وقد غاب عنه المسعدون على الحب
إذا ما تراءى الركب من نحو أرضه
تنشق يستشفى برائحة الركب

فلما وقع الرشيد على الشعر قال : حنت عليه إلى الوطن وأمر بالرجوع إلى بغداد .

— ٤٤٦ —

الظاهر أن أول من حقق الاشتراكية فى المالكية هو هرمز

ابن كسرى أنوشروان وهاك حكاية عن ذلك :

كان هرمز بن أنوشروان الملك الساسانى عادلا يأخذللضعيف من القوى وللوضيع من الشريف ، وبالغ فى ذلك حتى أبغضه خواصه وسئموا حكمه ، ومن جملة ماصنع أنه أمر أن يوضع فى كل مكان صندوقا يختم بخاتمة وفيه خرق من ناحية واحدة حتى يلق من تكون له ظلامة رقعته فى ذلك الصندوق ويأمر بفتحه ويقرأ كل مافيه ويتعرف حقيقة أحوال رعيته من غير أن تكون لبطانته رأركان دولتــــه طريق فى ذلك ويقال أنه أول من استولى على الأراضى والأملاك الواسعة التى كانت للأمراء والوزراء وقسمها بين الرعية ، وجعل لكل عاجز جراية ولكل محتاج وسيلة للكسب ولم يكتب بذلك بل أنه أمر أن تحدد عوائد الأغنياء بحيث لا يزيد شيئاً كثيراً على دخل الفقراء

نخبة من لامية العجم لمحد حسين الطغرائى الأصفهانى .

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل
وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى أخيراً ومجدى أولا شرع
والشمس وأد الضحا كالشس فى الطفل

فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى
بها ولا ناقتى فيها ولا جملى
ناء عن الأهل صفر الكف منفرد
كالسيف عرّى متناه من الخلل
فلا صديق إليه مشتكى حزنى
ولا أنيس إليه منتهى جذلى
طال اغترابى حتى حن راحلتى
ورحلها وقرى العسالة الذبل
أريد بسطة كف أستعين بها
على قضاء حقوق للعلى قبلى
حب السلامة يثنى عزم صاحبه
عن المعالى ويغرى النفس بالكسل
وإن جنحت إليه فاتخذ نفقا
فى الأرض أو سلما فى الجو فاعتزل
إن العلا حدثتنى وهى صادقة
فيما تحدث أن العزّ فى النقل
لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى
لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

أعلل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

— ٤٤٨ —

نظر عبد الملك بن مروان عند موته وهو فى قصره إلى قصار يضرب بالثوب المغسلة ، فقال : ياليتنى كنت قصاراً ولم أتقلد الخلافة . فبلغ كلامه أبا حاتم فقال : الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون مانحن فيه ، وإذا حضرنا الموت لم نتمنى ماهم فيه .

رأى السلطان محمود الغزنوى شيخاً هرماً يحمل حزمة من الشوك على ظهره فرق لحاله وقال له : أيها الشيخ : هل تريد أن أعطيك دينارين أو ثلاث أو أهب لك حماراً ، أو بضعة خراف ، أو بستاناً كى تستريح من هذا التعب ؟ فأجابه الشيخ : إعطنى المال حتى أضعه فى هميانى واتحزم به واركب على الحمار وأسوق أمامى الخراف وأذهب إلى البستان وأعيش بقية حياتى سعيداً بإقبال السلطان ، فسر السلطان بجوابه وأجابه إلى طلبه .

— ٤٤٩ —

قال انوشيروان ينصح ابنه :

ما دام الليل والنهار يتعاقبان فلا تعجب من تقلب الأمور .

لم ينم آمناً من له معرفة بالملوك .

لا تصادق الجاهل فإن الجاهل ليس جديراً بالحب أو البغض .

— ٤٥٠ —

روى عن أبى بكر الوراق عن الحسن بن هانىء أنه قال :

حججت مع الفضل بن الربيع ، حتى إذا كنا ببلاد فزارة ، وذلك إبان الربيع ، نزلنا منزلا بإزاء ماء لبنى تميم ذا روض أريض ونبت غريض ، تخضع بهجته الزرابى المبثوثة والنمارق المصفوفة ، فقرت بنضرتها العيون وارتاحت إلى حسنها القلوب ، وانفرجت لبهائها الصدور فلم نلبث أن أقبلت السماء . فانشق غمامها ، وتدانى من الأرض ركامها ، حتى إذا كانت كما قال أوس بن حجر حيث يقول :

دان مُسف فويق الأرض هيدبه

يكاد يدفعه من قام بالراح

همت برذاذ ثم بطيش ثم بوابل ، ثم أقلعت ، وغادرت الغدران مترعة تتدفق ، والقيعان تتألق ؛ رياض مونقة ، ونوافح من ريحها عبقة ، فسرحت طرفى منها فى أحسن منظر ، ونشقت من رباها أطيب من المسك الأذفر ؛ فلما انتهينا إلى أوائلها إذا

نحن بخباء على بابه جارية مشرقة ، ترنو بطرف مريض الجفون ، وسنان النظر ، أشعرت حماليقه فترة وملئت سحراً ، فقلت لزميلي : استنطقها قال : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ قلت : استسقها! فاستسقاها ، فقالت : نعم ونعما عيني ، وإن نزلتم فعلى الرحب والسعة ، ثم مضت تتهادى كأنها خرط بان أو قضيب خيزران ، فراعني ما رأيت منها ، ثم أتت بماء فشربت منه ، وصببت باقيه على يدي ، ثم قلت . وصاحبي أيضاً عطشان . . . فأخذت الإناء فذهبت . فقلت لصاحبي . من الذي يقول ؟ :

إذا بارك الله في ملبس　　فلا بارك الله في البرقع
يريك عيون الدمى غرة　　ويكشف عن منظر أشنع

. . . وسمعت كلامي فأتت وقد نزعت البرقع ولبست خماراً أسود وهي تقول :

ألا حي ربعي معشر قد أراهما
أقاما فما أن يعرفا مبتغاهما
هما استسقيا ماء على غير ظمأة
ليستمعـــا باللحظ ممن سقاهما

فشبهت كلامها بعقد در وهي فانتثر ، بنغمة عذبة رخيمة ، لو خوطب بها صم الصلاب لا نبجست ، مع وجه يظلم في نوره

ضياء العقول ، وتتلف من روعته مهج النفوس ، وتخف فى محاسنه رزانة الحليم ، ويحار فى بهائه طرف البصير .

خدقت وجلت وأسكرت فلا جن إنسان من الحسن جنت

فلم أتمالك أن خررت ساجداً ، فأطلت من غير تسبيح ، فقالت : إرفع رأسك غير مأجور ! لا تذم بعدها برقعا فلربما انكشف عما يصرف الكرى ، ويحل القوى ، ويطيل الجوى ، من غير بلوغ إرادة ، ولا إدراك طلبة ، ولا قضاء وتر ، ليس إلا الحين المجلوب ، والقدر المكتوب ، والأمل المكذوب. فبقيت والله معقول اللسان عن الجواب ، حيران لا أهتدى لطريق ، فالتفت إلى صاحبي وقال . ما هذا الجهد بوجه برقت لك منه بارقة لا تدرى ما تحته ؟ أما سمعت قول ذى الرمة :

على وجه من مسحة من ملاحة وتحت الثياب العر لو كان باديا

فقالت : أما ما ذهبت إليــــه فلا أبالك ، وأنى لأنا ، حيث يقول الشاعر .

منعمـــة حوراء يجرى وشاحها
على كشح مرتج الروادف
لهـــا أثر صاف وعين مريضة
وأحسن ابهام وأحسن معصم

خزاعية الأطراف سعدية الحشا
فزارية العينين طائيــة الفم

أشبه من قولك الآخر ، ثم رفعت ثيابها حتى بلغت بها نحرها وحاذت منــكبيها ، فإذا قضيب فضة قد أشرب ماء الذهب ، ثم قالت : أعرا ترى لا أبالك ؟ قلت . لا والله . ولـكن سبب القـدر المتاح ومقربى من الموت الذباح ، يضيق على الضريح ويتركنى جسما بغير روح ، فخرجت عجوز من الخباء ، فقالت له : أمض لشأنك ، فإن قتيلها مكلول لا يودى ، وأسيرها مكبول لا يفدى ، فقلت لها : دعيه . فإن له مثل قول غيلان ذى الرمة :

وإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليلا ، فإنى نافع لى قليلها

فولت العجوز وهى تقول :

وما نلت منها غير أنك «واصل» بعينيك عينيها فهل ذاك نافع ؟

فنحن كذلك حتى ضرب الطبل للرحيل ، فانصرفت بكمد قاتل ، وكرب خابل ، وأنا أقول :

واحسرتا مما يكن فؤادى أزف الرحيل بعبرتى وبعادى

فلما قضينا حجنا وانصرفنا راجعين ، مررنا بذلك المنزل ،

وقد تضاعف حسنه ، ونمت بهجته ، فقلت لصاحبي : إمض بنا إلى صاحبتنا ، فلما أشرفنا على الخيام ، وصعدنا ربوة ، ونزلنا وهدة إذا هى تتهادى بين خمس ما تصلح أن تكون خادما لأدناهن . وهن يجنين من نور ذلك الزهر ، فلما رأيننا وقفن وقلن السلام عليكن . فقالت من بينهن : وعليك السلام ، ألست صاحبي ، قلت : بلى ! قلن . أو تعرفيه ؟ قالت نعم ، وقصت عليهن القصة ماخرمت حرفا . . قلن : ويحك ! فهل زودته شيئاً يتعلل به ؟ قالت بل زودته لحداً ضامراً وموتاً حاضراً ، فانبرت لها أنضرهن خدا وأرشقهن قدا ، وأسحرهن طرفاً ، وأبرعهن شكلا ، فقالت : والله ما أحسنت صنعا ولا أجملت عوداً ، ولقد أسأت فى الرد ولم تكافئيه على الود ، فما عليك لو أسعفته بطلبته ، وأنصفته فى مودته ؟ وإن المكان لخالٍ . وإن معك من لاينم عليك . فقالت : أما والله لا أفعل من ذلك شيئاً حتى تشركيني فى حلوه ومره ، : قالت لها : تلك إذن قسمة ضيزى تعشقين أنت وأوخذ أنا ؟ قالت أخرى منهن . أطلتن الخطاب فى غير أرب . فسلن الرجل عن نيته وقصده وبغيته ، فلعله لغير ما أنتما فيه قصد ، فقلن حياك الله وأنعم بك عينا عن ؟ ومن أنت ، وما تعانى وإلام قصدت ؟ قلت اما الاسم الحسن بن هانى من اليمن ثم من سعد العشيرة ، وخير شعراء السلطان الأعظم ، وأما قصدى فتبريد

غلة ، وإطفاء لوعة فقد أحرقت الكبد وأذابتها قالت : لقد أضفت إلى حسن المنظر كرم المخبر ، أرجو أن يبلغك الله أمنيتك وتنال بغيتك . ثم أقبلت عليهن فقالت : ما واحدة منكن إلا ملتمسة رغبة فتعالين نشترك فيه ونتقارع عليه ، فمن واقعتها القرعة منا كانت هي البادئة ، فاقترعت فوقعت القرعة على المليحة التي قامت بأمري ، فعلقن إزارا على باب الغار ، وأدخلت فيه وأبطأت على ، وجعلت أتشوف لدخول إحداهن على ، إذ دخل أسود كأنه سارية . . . ثم صحت بصاحبي وكان متدانياً . . . ووالله ماتخلصت منه حتى خرجنا من الغار ، وإذا هن يتضاحكن ويتهادين إلى الخيمات فقلت لصاحبي : من أين أقبل الأسود ؟ قال : كان يرعى غنما ، إلى جانب النار فدعونه فوسوسن إليه شيئاً فدخل عليك . . . »

— ٤٥١ —

بنو الدنيا :

هم الناس ، وقيل لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه : أما ترى حب الناس للدنيا ؟ فقال : هم بنوها ، وسمعت الخوارزمى يقول : أحسن ماقيل فى مدح النساء قول الشاعر :

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها
وعيش بنى الدنيا لقاء بناتها

وأبلغ ما قيل فى ذمهن

إن النساء شياطين خلقن لنا
فكلنا يتقى شـــر الشياطين

على أنه نقض قول من قال :

إن النساء رياحين خلقن لنا
فكلنا يشتهى شم الرياحين

ثمار القلوب

— ٤٥٢ —

من لطائف المنقول قصة أرينب بنت اسحق زوج عبد الله بن سلام الذى كان والياً على العراق من قبل معاوية :

وكانت أرينب بنت اسحق هذه زوجاً له ، وكانت من أجمل نساء عصرها وأشهرهن مالا وفضلا وأدبا وكان يزيد بن معاوية قد هام بجمالها وأدبها على السماع وبما تمتاز به من صفات قلما توجد فى غيرها من النساء فافتتن بها ، وأصبح لا يطيق الصبر عنها، فعلم بذلك « رفيق » خادم معاوية الخاص وأخبر به سيده ، فأحضر معاوية ابنه وقال له : مهلا يابنى ! قال : علام تأمرنى بالتمهل ؟ وقد انقطع الأمل ، فقال معاوية : ساعدنى يابنى حتى حتى أحقق لك غايتك ، وعليك بالكتمان والله بالغ أمره .

وكانت أرينب بنت اسحق قد سار بذكر جمالها الركبان ، وصارت بذلك مضرب الأمثال ، فأخذ معاوية يدبر حيلة ليحمل عبد الله بن سلام على طلاق زوجته أرينب ، فاستدعاه من العراق فلما حضر دمشق أحضر معاوية أبا هريرة وأبا الدرداء وكانا يقيمان هنالك ، وقال لهما : إن ابنتى عاتكة قد بلغت سن الزواج وفكرت فى أن أزوجها عبد الله بن سلام ، ولكن تبينت بعد حضوره أنه متزوج وليس الأمر كما كنت أظن أنه أعزب فكلماه وقولا له : هل يستطيع أن يطلق زوجته ليتم زواجه بعاتكة لأنها لا تطيق الصبر على الضرائر . ولما سمع عبد الله بن سلام مقالهما قال : إن فراق أرنيب أمر عسير ، ومصاهرة الخليفة شرف خطير أرجو الله أن يعوضنى به مايفوتنى بطلاق أرينب ، قال هذا ونطق بطلاق أرينب فى الحال بحضرتهما وأشهدهما على ذلك ، فجاءا وأخبرا معاوية بما وقع ، فاستبشر وأخذ فى ملاطفتهما ، ثم قام بعد انصرافهما ، ودخل على ابنته عاتكة ، وقال : إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة ، وعرضا عليك عبد الله بن سلام ، ونكاحك إياك ، وحثاك على المسارعة إلى الإذن منى فقولى لهما : عبد الله بن سلام كفء كريم غير أن تحته أرينب وإنى خائفة أن يعرض لى من الغيرة مايعرض للنساء ولست

أرضى بالزواج به حتى يفارقها ، فأجاباها قائلين : أما هذا فقد حصل فإن عبد الله قد طلق أرينب بحضرتنا وأشهدنا على ذلك ، فقالت : إذا كان ذلك فاذهبا إلى أبى واطلبا منه الإذن ، فذهبا إلى معاوية وأخبراه بكل ماجرى ، فأجاب معاوية قائلا : إننى قد أذنت لها بذلك وجعلت لها الشورى والاختيار لنفسها أيضاً ، فاذهبا وكلماها فأجابتهما : إننى أحترم عبد الله بن سلام ، وأراه كفء لى ولكن الناس اختلفو وقالوا : إنه رجل غير ثابت فى حبه ولعله يتغير يوماً على ويتركنى كما ترك زوجته أرينب ذات الجمال البارع والشرف العظيم .

ولما بلغه كلامها قال : إنها والله حيلة وإننى لمخدوع ، ولبئس ماسولت لى نفسى وكان أمر الله قدراً مقدورا ، ثم ذاع الخبر بين الناس وقالوا : مسكين ابن سلام خدعه معاوية فطلق زوجته طمعاً فى الزواج من عائشة ثم تبين أن كل ذلك تدبير منه ليطلق عبد الله زوجته أرينب ثم يعمل هو لزواجها بابنه يزيد الذى كان قد هام بها وشغفه حبها .

ثم إن معاوية وجه أبا الدرداء إلى العراق خاطبا لأرينب ، فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن على بن أبى طالب ، فقال أبو الدرداء فى نفسه : إذا قدمت العراق وفيها الحسين فما ينبغى

لمثلى أن يبدأ القيام بشيء قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة ، فقصد الحسين فلما رآه قام إليه وصافحه إجلالا لصحبته لجده صلى الله عليه وسلم وقال : ما أتى بك يا أبا الدرداء ؟ قال : وجهني معاوية خاطباً أرينب بنت اسحق لابنه يزيد فرأيت على حقاً أن لا أبدأ بشيء قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك وقال : لقد كنت نويت نكاحها وأردت الإرسال إليها إذا إنقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله وهى أمانة فى عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن إبنه ، فقال : أفعل إن شاء الله فلما قابلها قال لها أيتها المرأة إن الله خلق الأمور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سبباً فليس لأحد إن قدر الله له مخلص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يضيرك وجعل الله فيه خيراً كثيراً ، وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من آمن من أمته وسيد شباب أهل الجنة فاختارى أيهما شئت ! فأطرقت طويلا ثم قالت : يا أبا الدرداء : لوجاءنى هذا الأمر وأنت غائب لأشخصت إليك فيه الرسل واتبعت فيه رأيك ، فأما إذ

كنت أنت المرسل له فقد فوضت أمرى فيه بعد الله إليك وجعلته فى يديك فاختر لى أرضاهما لرأيك والله شاهد عليك ، فاقضى بما ترى ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى ، فليس أمرهما عليك خفياً ، فقال أبو الدرداء : يابنتاه : إنما على إعلامك ولك الإختيار لنفسك فقالت عفى الله عنك ، إنما أنا بنت أخيك ، ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به ، فقد وجب عليك أداء الأمانة فلم يجد بدا من القول :

فقال لها : يابنية ! إن بن بنت رسول الله أحب إلى فى ذلك وأرضى عندى والله أعلم ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً شفتيه على شفتى الحسين فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله شفتيه ، قالت : قد اخترته ورضيت به زوجاً فتزوجها الحسين بن على فساق لها مهراً عظيما ، وبلغ معاوية ما فعله أبو الدرداء فعظم عليه ذلك وقال : من يرسل الأبله والأعمر ركب خلاف ما يهوى ، وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه إياها ذهبا ، فتميز معاوية غيظاً وقطع عنه جميع ما كان يعطيه إياه من هبات وأعطيات فاضطر بن سلام إلى العودة للعراق كى يأخذ الوديعة التى أودعها عند أرينب عند خروجه من الكوفه ليعيش بها ، فلما قدمها لقى الحسين فسلم عليه ثم قال :

لقد علمت ما كان من خبر أرينت ، وكنت قبل فراق إياها قد استودعتها مالا وكان الذى كان ، ولم أقبضه ووالله إن ظنى بها جميل ، فتذاكرها فى أمرى فإن الله يجزيك به أجرك فسكت عنه الحسين فلما انصرف إلى أهله ، قال لها: قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك فى دينك وحسن صحبتك فسرنى ذلك وأعجبنى وذكر أنه استودعك مالا ، فقالت : إنه صدق إنه استودعنى مالا ، مطبوع عليه بخاتمه وها هو ذا فادفعه إليه بطابعه فأثنى عليها الحسين خيراً ، وقال : ألا أدخله عليك حتى تبرئى ذمتك ، ثم أدخل عبد الله : فذهب يطلب وديعته فوضعتها بين يديه وقالت هذا مالك ، ففض خواتم بدرته وحثى لها جانبا كبيراً من ذلك وقال لها : والله هذا قليل فاستعبرا . حتى علت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به ، فدخل الحسين عليهما وقد رق لها ثم قال : أشهد الله أنها طالق ثلاثا ، اللهم أنت تعلم أنى لم استنكحها رغبة فى مالها ولا فى جمالها ولكن أردت رجلا لها فتزوجتها وطلقتها ولم يأخذ شيئاً مما ساق لها من مهرها ، بعد ما عرضته عليه ، وقال : الذى أرجو من الثواب هو خير لى من هذا المال ، فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله بن سلام ، وعاد !! ما كان عليه من حسن الصحبة إلى أن فرق الموت بينهما .

هكذا نقله بن بدرون فى تاريخه والله أعلم.
نقلت بتصرف من ثمرت الأوراق من ا. ب

— ٤٥٣ —

قال الحكماء: «الهزل فى الكلام كالملح فى الطعام.

أفد طبعك المكدور بالهم راحة
براح وعلله بشىء من المزح
ولكن إذا أعطيت ذلك فليكن
بمقدار مايعطى الطعام من الملح

— ٤٥٤ —

مناظره بين الإمام جعفر الصادق وبين زنديق:

قال الزنديق: كيف يعبدون الله الخلق ولم يروه؟

قال الصادق: رأته القلوب بنور الإيمان وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها، والكتب ومحكماتها واقتصر العلماء على مارأوه من عظمته دون رؤيته.

قال الزنديق: أليس هو قادراً أن يظهر لهم حتى يروه فيعرفوه فيعبد على يقين؟.

قال الصادق : ليس للمحال جواب . . .

قال الزنديق : فمن أين أثبت أنبياء ورسلا ؟

قال الصادق : إنا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا ، وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا أن يلامسوه ، ولا أن يباشرهم ويباشروه ، ويحاجهم ويحاجوه ، ثبت أن له سفراء في خلقه وعباده يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ، وما به بقاؤهم ، وفي تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه ، وثبت عن ذلك أن لهم معبرين ، وهم الأنبياء وصفوته من خلقه ، وحكماء مؤدبين بالحكمة ، مبعوثين عنه ، مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد ، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص .

قال الزنديق : من أي شيء خلق الله الأشياء ؟

قال الصادق : من لا شيء .

قال الزنديق : كيف يوجد شيء من لا شيء ؟

قال الصادق : إن الأشياء إما أن تكون خلقت من شيء

أو من غير شيء ، فإن كانت الأشياء خلقت من شيء كان معه ، فإن ذلك الشيء قديم ، والقديم لايكون حديثاً ولا يتغير ، ولا يخلو ذلك الشيء من أن يكون جوهراً واحداً ولوناً واحداً ، فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة فى هذا العالم من ضروب شتى؟ومن أين جاء الموت إن كان الشيء الذى انشئت منه الحياة حيا ؟ ، أومن أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشيء ميتاً ، ولا يجوز أن ينشأ من حى وميت قديمين لم يزالا ، لأن الحى لايجيء منه ميت وهو لم يزل حياً ، ولا يجوز أيضاً أن يكون الميت قديماً لم يزل لما هو به من الموت، لأن الميت لاقدرة له ولا بقاء .

قال الزنديق : من أين قالوا إن الأشياء أزلية ؟ .

قال الصادق : هذه مقالة قوم جحدوا مدبر الأشياء فكذبوا الرسل ومقالتهم ، والأنبياء وما أنبئوا عنه وسموا كتبهم أساطير، ووضعوا لأنفسهم ديناً بآرائهم واستحسانهم ، وإن الأشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك بما فيه من سبعة أفلاك ، وتحرك الأرض ومن عليها ، وانقلاب الأزمنه ، واختلاف الحوادث التى تحدث فى العالم من زيادة ونقصان وموت مبلى ، واضطرار الأنفس إلى الإقرار بأن لها صانعاً ومدبراً ، ألاترى

الحلو يصير حامضاً ، والعذب مراً والجديد باطلا ، وكل إلى تغير وفناء .

— ٤٥٥ —

سرق رجل صرة من النقود ووضعها فى جيبه ودخل المسجد للصلاة فسمع الإمام يقول : وما تلك بيمينك يا موسى ؟ وكان اسمه موسى ، فقال فى نفسه : الحمد لله ، إنه لم يطلع على حقيقة الأمر فإن الصرة فى جيبى وليست فى يمينى .

— ٤٥٦ —

من خصائص الحرم :

أنه بواد غير ذى ذرع ولا شجر ، ويوجد فيه كل ثمرات الأشجار والزرع وغيرها ، ومن خصائصه أنه لا يسقط على الكعبة حمام إلا وهو عليل ، عرف ذلك من امتحنه وتعرف حاله ، ولا يسقط عليها مادام صحيحاً ، ومن خصائصه أنه لا يراه أحد ممن لم يكن رآه إلا ضحك أو بكى ، ومنها أنه إذا أصاب المطر الباب الذى من شق العراق كان الخصب فى تلك السنة بالعراق ، وإن أصاب الذى من شق الشام كان الخصب بالشام

وإذا عم جوانب البيت كان الخصب عاما فى البلدان ، ومنها أن الجمار ترمى فى ذلك المرمى منذ يوم حج الناس البيت على طول الدهر ثم كأنه إلى اليوم على مقدار واحد ، ولولا أنه موضع الآية والعلامة والأعجوبة التى فيها ، لقد كان كالجبال ، هذا من غير أن تكنسه السيول أو يأخذ منه الناس .

— ٤٥٧ —

جاء فى كتاب قابو سنامه :

أن المتوكل الخليفة العباسى كان له غلام اسمه الفتح حسن الحظ موفقاً ، وقد تعلم الفنون والآداب وقد أراد أن يتعلم السباحة ، فكان الملاحون يعلمونه فنونها ، واستعجل الفتح على الصغار . فذهب ذات يوم للسباحة منفرداً وفى دجلة الذى لم يكن قد اجترأ عليه بعد ، وكان الماء يجرى بشده فجرف الفتح ، ولما عرف أنه لا يستطيع مقاومته استسلم وصار يدلف على وجه الماء حتى غاب عن أعين الناس ، وفجأة بلغ به الماء فجوات على ضفة النهر كان قد نخرها الماء فجاهد وألقى بنفسه فى إحداها ، وجلس وقال لنفسه : على كل فقد نجوت وسأبقى حتى أرى حكمه الله تعالى وبقى سبعة أيام بلياليها ، ولما أخبر المتوكل فى اليوم الأول أن الفتح قد غرق ، نزل عن السرير وجلس على الأرض ، ودعا الملاحين ، وقال

لهم :من يأتيني بالفتح حياً أو ميتاً أعطيه ألف دينار ، وأقسم إن لم يأتوا به فلن يتناول طعاما . فنزل الملاحون فى دجلة وغاصوا وأخذوا يبحثون إلى أن وصل أحد الملاحين فى نهاية اليوم السابع إلى تلك الفجوة ، ورأى الفتح ، فابتهج وقال : أذهب فاحضر الزورق ، فذهب وجاء إلى المتوكل وقال : يا أمير المؤمنين إذا أتيت بالفتح حياً فماذا تعطيني ؟ قال : أعطيك خمسة آلاف دينار نقداً . فقال الملاح : وجدته وسآتيك به حياً وأحضره ، فأعطاه المتوكل ما وعده وقال للوزير : أذهب واعط للفقراء نصف ما فى الخزانة ، ثم احضروا الطعام فإنه جائع سبعة أيام بلياليها ، فقال الفتح : إنى شبعان يا أمير المؤمنين ، فقال المتوكل : لعلك شبعان من الماء ، فقال الفتح : كان يأتيني فى كل يوم عشرة أرغفة موضوعة على طبق ، فكنت أجاهد وأخذ كل يوم اثنين أو ثلاثة وأعيش بها ، وكان مكتوباً على كل رغيف محمد بن الحسن الإسكاف . فأمر المتوكل أن ينادوا من الرجل الذى يلقى الخبز فى دجلة ، فأتوا به وسألوه : منذ متى تلقى بهذا الخبز فى دجلة ؟ قال : منذ سنة . فقالوا : وماذا تقصد من هذا ؟ قال : كنت قد سمعت : أن أعمل المعروف والق به فى الماء فإنه يثمر يوما ما ، فقال المتوكل لقد عملت بما سمعت ووجدت ثمرة عملك ، وأقطعه خمس قرى على باب بغداد .

— ٤٥٨ —

قال الشهرستانى فى الإمام الصادق :

« هو ذو علم غزير فى الدين ، وأدب كامل فى الحكمة ، وزهد بالغ فى الدنيا وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ثم دخل العراق وأقام بها مدة ما تعرض للإمامة قط ، ولا نازع أحدا فى الخلافة ومن غرق فى بحر المعرفة لم يطمع فى شط ومن تعالى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط ، وقيل : من أنس بالله استوحش من الناس ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس .

— ٤٥٩ —

مشهد الحسين :

من عجائب مشاهد مصر المشهد العظيم الشأن الذى بالقاهرة حيث رأس الحسين وهو فى تابوت من فضة مدفون قد بنى عليه بنيان يقصر الوصف عنه ، مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا بيضاء أكثرها موضوع فى أنوار الفضة ، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا فى مصنع شبه الروضة يبهر الأبصار حسنا وجمالا وفيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مالا يتخيله المتخيلون والمدخل إليها من مسجد على مثالها

فى التأنق وحيطانها تلها رخام وأغرب ما فيه حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبلة الداخل شديد السواد والبصيص يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الهندية ولتزاحم الناس على القبر وانكبابهم عليه وتمسحهم به وبالكسوة التى عليه مرأى هائل .

— ٤٦٠ —

حكى أن أحد الملوك تغير على وزيره ، وكان غائباً ، فأمر الكاتب أن يكتب إليه كتابا يأمره بالمثول إلى الحضرة من غير أن يشم منه أى رائحة للغضب ، فكتب الكاتب الرسالة حسبما أمره الملك ، إلا أنه رسم فى آخرها كلمة [إن] . ولما وصلت الرسالة إلى الوزير وقرأها انتبة إلى غرض صديقه من رسم لفظة « إن » فكتب إلى الملك جوابا لطيفا يليق بالملوك ورسم فى ذيلها كلمة [إنا] وأرسلها .

أما غرض صديق الوزير من رسم كلمة [إن] فهو أن تكون رمزاً للآية الكريمة [إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك . .] ففهم الوزير الغرض ولم يحضر بل رد على صديقه بكلمة « إنا » إشارة إلى الآية الكريمة « إنا لن ندخلها ماداموا فيها » .

— ٤٦١ —

نظر الرشيد يوما إلى ابراهيم الموصلى وقال : يا إبراهيم ،

أرى الشيب يضحك بعارضيك ! فأنشد إبراهيم :

تولى شبابي إلا قليـــلا
وحل المشيب فصبرا جميلا
كفى حزنا بفراق الشباب
وقد أصبح الشيب منه بديلا
ولما رأى الغـانيات المشيب
رددن عنى طرفا كحيلا
سأندب عهدا مضى للصبا
وأبكى الشباب بكاء طويلا

قيل : فبكى الرشيد وقال : والله لو قدرت على رد شبابك لفعلت ! .

— ٤٦٢ —

قال ابن الجوزى :

ومن المغفلين « أزهر » وكان ملازما لمجلس الأمير عمرو بن الليث الصفارى ويكثر من الكلام الذى لا طائل تحته فقدم على الأمير رسول الخليفة من بغداد فقال الأمير لأزهر : أكرمنا بسكوتك اليوم فسكت طويلا حتى إذا عطس الرسول أراد أزهر أن يشمته فيقول « يرحمك الله » فقال له : « صبحك الله » فقال له الأمير : أليس قد تقدمت إليك بأن لا تتكلم ؟ فقال أزهر :

أتريد أن يرجع الرسولى إلى بغداد فيقول عنا إننا قوم لا نعرف العربية ؟! .

— ٤٦٣ —

حدث صاحب المعجم ياقوت الحموى قال :

من لطيف ما اتفق لأحمد بن عمر المعروف بابن النديم ، صاحب كتاب الفهرست ، وكان من ذوى البيوت بمدينة حلب ومن سراتها وأعلامها ، أنه ذهب فى بعض الأيام للصلاة بجامع حلب وخلع نعليه قرب المنبر وكان جديدا ، ولما قضى صلاته وأراد أن يلبس نعليه وجد نعليه القديمين مكانهما فقال لغلامه : ألم أنزل إلى الجامع بالمداس الجديد ؟ فأين هو ؟ قال : بلى ولكن جاءنا الساعة رجل وطرق الباب وقال : القاضى يقول لكم ابعثوا لى مداسى القديم إلى الجامع لأن مداسى الجديد قد سرق فضحك وقال : هذا والله لص شفيق جزاه الله خيرا وهو فى حل منى .

— ٤٦٤ —

عن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال :

لما جاءوا بسبايا طى وقفت جارية عيطاء لعساء فلما رأيتها أعجبت بها وقلت : لأطلبنها من النبى ، ولما تكلمت انسيت جمالها بفصاحتها فقد قالت : يامحمد إنى رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت

بى أحياء العرب ، فإنى إبنة سيد قومى وإن أبى كان يفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ولم يرد طالب حاجة قط ، فقال النبى : ياجارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مؤمنا لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق . » وكانت ابنة جواد العرب حاتم الطائى » .

— ٤٦٥ —

قال أبو الحسن الصابى :

دخل بعض أصدقائنا إلى رجل قد ابتاع دارا فى جواره فسلم عليه وأظهر الأنس بقربه وقال : هذه الدار كانت لصديقنا وأخينا إلا أنك بحمد الله أوفى منه كرما وأوسع نفسا وصدرا والحمد لله الذى بدلنا به من هو خير منه وأنشده : « بدل بالبازى غراب أبقع » فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل وصارت نادرة يولع الرجل بها .

— ٤٦٦ —

قال ابن الفارض يخاطب الذات الإلهية :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا
يا من سبا بجمال طلعته الورى
وارفق بجسم من صدودك ناحل
وارحم حشى بلظى هواك تسعرا

وإذا سألتك أن أراك حقيقة
من غير واسطة الخيال لدى الكرى
طرفى إلى مرأى جمالك تائق
فاسمع ولا تجعل جوابى لن ترى
يا قلب أنت وعدتنى فى حبهم
بتجلد إياك أن تتغيرا
إن الغرام هو الحياة فمت به
تحيا ولا تسمع ملاما منكرا

— ٤٦٧ —

دخل معن بن زائدة على جعفر المنصور فقارب فى حظوته ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنك قال : فى طاعتك ، قال : وإنك لجلد ، قال : على أعدائك ، قال : وأرى فيك بقية ، قال : هي لك .

— ٤٦٨ —

سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول فى دعائه : اللهم اجعلنى من القليلين فقال : ما هذا الدعاء ؟ قال : أنه تعالى يقول : « وقليل من عبادى الشكور » .

— ٤٦٩ —

من الأبيات التي جرت مجرى المثل :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

أبو تمام

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

البحترى

على المرء أن يسعى ويبذل جهده
ويقضى إله الخلق ما كان قاضياً

الوراق

إليك المشتكى لا منك ربى
وأنت لنائبات الدهر حسبي
تروى غلتى وترمُّ حالى
وتؤمن روعتى وتزيل كربى

— ٤٧٠ —

تظلم رجل للمأمون من عامل له . فقال له : يا أمير المؤمنين ما ترك لنا فضة إلا فضها ، ولا ذهباً إلا ذهب به ، ولا ماشية

إلا مشى بها ، ولا غلة إلا غلها ، ولا ضيعة إلا أضاعها ، ولا عقلا إلا عقله ، ولا عرضاً إلا عرض له ، ولا جليلا إلا أجله ، ولا دقيقاً إلا أدقه ، فعجب المأمون من فصاحته وقضى حاجته .

— ١٧١ —

روى الترمذى عن عبد الله بن عباس قال :

كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما ، فقال لى : ياغلام ! إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا .

— ١٧٢ —

مما يتمثل به من التوراة :

— من خاف الله خافه كل شىء ، ومن لم يخف الله خاف كل شىء .

— المال يفنى ، والبدن يبلى والأعمال تحصى ، والذنوب لاتنسى .

— ليكن وجهك بشا ، وكلمتك لينة تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة .

وجاء فى الإنجيل :

— لا تنس الموت فإنه لا ينساك .

— فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق .

— العافية ملك خفى والهم نصف الهرم .

وجاء فى الذبور :

— تاجروا الله بالصدقة تربحوا .

— إذا ظلمت من دونك فلا تأمن من عقاب من فوقك .

— لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك .

— قال داود لسليمان عليهما الصلاة والسلام :

يا بنى لا تشتر عداوة واحد بصداقة ألف .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

منهومان لا يشبعان : طالب العلم وطالب المال .

— خير شبابكم من تشبه بالشيوخ ، وشر شيوخكم من تشبه بالشباب .

— رحم الله امرءا أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من لسانه .

— أنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .

— ما قل وكفى خير مما كثر وألهى .

— ٤٧٣ —

من شعر الحماسة :

فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير

ضعاف الطير أطولها جسوما
ولم تطل البزاة ولا الصقور

بغات الطير أكثرها فراخا
وأم الصقر مقلات نزور

لقد عظم البعير بغير لب
فلم يستغن بالعظم البعير

نهج البلاغة

— ٤٧٤ —

أقوال عن المرأة :

قال النبي داود لسليمان عليهما الصلاة والسلام : يا بنى امشى خلف الأسد والأسود ولا تمشى خلف المرأة .

وقال عيسى عليه السلام : استعيذوا بالله من شرار النساء ، وكونوا من خيارهن على حذر .

وقال : مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرتان كلما أرضى إحداهما أسخط الأخرى .

— ٣٤٨ —

وقال محمد صلى الله عليه وسلم : الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة .

وقال : المرأة كالضلع إن قومتها كسرتها وإن داريتها انتفعت بها .

قيل لظريف : إن أمير المؤمنين قد ولاك على الحمير ، فأجاب فوراً : إذن وجبت عليك طاعتى !

وقيل لأعمى : مما عمشت عيناك ؟ قال : من النظر إلى الثقلاء مثلك .

— ٤٧٥ —

نادى المأمون خادمه يوماً قائلا : يا غلام ! فدخل عليه وهو يقول : أما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك تصيح . يا غلام ، يا غلام ، فنكس الخليفة رأسه طويلا ثم قال : إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خادمه ، وإن ساءت أخلاقه ، حسنت أخلاق خادمه ، ولا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خادمنا .

— ٤٧٦ —

علامة الإنصراف :

كان محمد بن الجهم طليعة بين البخلاء ، ومرة قال له أصحابه :

إنا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك ، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت انصرافنا !

فأجابهم : علامة ذلك أن أقول : يا غلام هات الغداء !

— ٤٧٧ —

قال الشربشى :

روى أن رجلا كان جاراً لأبى دلف ببغداد ، وأدركته حاجة فاحتاج إلى بيع داره فساوموه فيها فسامها ألف دينار فقالوا له : أن دارك لا تساوى أكثر من خمسائة دينار فقال: نعم دارى بخمسمائة وجوار أبى دلف بخمسمائة . فبلغ أبا دلف الخبر . فأمر بقضاء دينه ووصله وقال له لا تنتقل من جوارنا .

فانظر كيف كان الجوار يباع كما يباع العقار .

— ٤٧٨ —

لطيفة :

سأل الملك ناصر الدين شاه أحد خواص جده فتحعليشاه : هل أنت أسعد فى زمنى أم زمن المغفور له جدى ، قال : لم أسعد فى زمن جدك ولا فى زمنك ، قال : ولم ، قال : فى زمن جدك كانت اللحى من لوازم الرجولة والوقار ولم أكن ملتحياً اذ ذاك ،

وفى عهدك أصبح حلق اللحى من لوازم الآداب وأنا شيخ بهذه اللحية الطويلة .

— ٤٧٩ —

مما يروى أن أبو شروان ركب فى بعض الأيام فى الربيع على سبيل الفرجة والنزهة ، فجعل يسير فى الرياض المخضرة ويشاهد الأشجار المثمرة ، وينظر الى الكروم البديعة ، فنزل عن فرسه ليشكر ربه ، وخر ساجداً ووضع خده على التراب زمناً طويلا ، ولما رفع رأسه قال لأصحابه : خصب السنين من الملوك والسلاطين وحسن نيتهم واحسانهم الى رعيتهم ، فشكرت وسجدت له لإظهاره حسن نيتنا فى جميع الأشياء .

قصة حياة

ولد فى شتاء سنه ١٨٩٨ م ، ولأنه كان معتل الصحة فى طفولته فى أغلب الأحيان ، لذلك لم يستطع الحصول على درجة كافية من التعليم إلى أن بلغ الرابعة عشرة من عمره وفى هذه للسن التى هى سن البلوغ والإدراك ، بدأ يحس بنقصه ويعتريه الخجل فى أغلب الأوقات لضعف معلوماته ، وكان من جهة أخرى لا يرغب فى أن يكلف والده بأكثر مما يستطيع القيام به من أجل تعليمه ، فأخذ معتمدا على نفسه يتعلم بمجهوده الشخصى ، وطفق يقلب الكتب فى مكتبة أبيه ، ويقرأ ما يروق له قراءته ويستطيع أن يفهم معانيه كتابا بعد آخر إلى أن رأى نفسه يستطيع الحضور فى حلقات الدروس الدينية التى كان الطالب مكلفا فيها بتعلم القواعد العربية من صرف ونحو ومنطق ومعان وبيان ولغة وأدب وتفسير فضلا عن المعرفة الكافية باللغة الفارسية التى هى لغته الأصلية ، ردرس فى هذه الحلقات إلى أن نال مرتبة أهلته لدراسة علم الكلام والفلسفة والفقه ، والأصول على المذهب الجعفرى .

ولأن والده كان يعشق اللغة العربية وآدابها ويقرأ أغلب ما يصدر فى القاهرة وبيروت من كتب ومجلات لذلك تأثر به

وأخذ يقرأ المجلات وخصوصا : المقتطف والهلال ، وكذلك الجرائد التى كانت تصدر فى البلاد الإسلامية ، ودرس فى تلك الأثناء اللغة التركيه والانجليزية واستطاع أن يلم بهما إلماما كافيا وقد تكون لديه نتيجة لذلك ذخيرة لغويه جاءته من هذه القراءة المستمرة وجعلت فى استطاعته كتابة اللغة العربية كالفارسية واتسعت معارفه بعدما دخل فى خدمة وزارة المعارف فى إيران فقد اشتغل فى حقل التعليم أولا وفى الإدارة ثانيا ، فعين مراقبا للتعليم فى جنوب إيران ، ثم اختارته وزارة المعارف الإيرانية مراقبا عاما لمدارسها فى العراق لخبرته باللغة العربية ، فاستمر يؤدى عمله فى هذه الوظيفة سبعة عشر عاما فى بغداد حيث كان يدير المدارس الموجودة فى العاصمة العراقية ومدينة الكاظمية وكربلاء والنجف والبصرة .

وفى نهاية الحرب العالمية الثانية نقل حسب طلبه إلى طهران وقام بتدريس اللغة العربية وتاريخ البلاد الاسلامية فى المعاهد الإيرانية وكلية المعقول والمنقول (الشريعة) وكذلك فى الكلية الدينية (مدرسة سپهسالار العاليه) . وفى نوفمبر سنة ١٩٥٢ م وفد إلى القاهرة بدعوة من جامعتها ، وقام بالتدريس فى قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة حيث قام أيضا بمهام منصب المستشار الثقافى فى السفارة الإيرانية ، واستطاع أن

يستفيد من وجوده فى مصر ومن اتصاله بالأساتذة المصريين فقام فى أثناء ذلك بتأليف عدة من الكتب المدرسية وذلك لتسهيل الدرس والتحصيل على طلاب اللغة الفارسية فقام بالاشتراك مع الدكتور عبد النعيم حسنين والدكتور عبد المعطى الصياد بتأليف سلسلة آموزكار فارس ، وألف بمفرده كتاب « اقرأ الفارسية وتحـــدث بها ، وكتاب الفارسية للعرب والعربية للإيرانيين ، هذا بصرف النظر عن الكتب التى ألفها إبالفارسيه لطلاب اللغة العربية فى إيران ، وقام علاوة على ذلك بترجمة أمهات الكتب الفارسية إلى العربية مثل « تاريخ البيهق » الذى ترجمه بالاشتراك مع الدكتور يحي الخشاب و « قابو سنامه » بالإشتراك مع الدكتور أمين عبد المجيد هذا غير ما نقله بنفسه وكلفه القيام بترجمته الهيئات العلمية فى مصر : فقد ترجم كتاب (جامع التوراريخ) ويقع فى أربعة أجزاء ترجم جزءين منه بمفرده وجزءين بالإشتراك مع الدكتور موسى هنداوى والدكتور عبد المعطى الصياد وكتاب (تاريخ التصوف فى عهد حافظ) وقام بالاشتراك مع الأستاذ مصطفى حجازى بتأليف كتابى الدروس العربية وصفحات عن إيرن . وقد ألف علاوة على ذلك قاموسا من اللغة الفارسية إلى العربية يقع فى حوالى ١٠٠٠ صفحة ولكنه لم يطبع بعد .

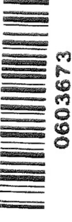
وكان يهدف من كل ذلك إلى تقوية الصلات بين الشعبين العربي والفارسى وإن أكبر أمنية له هو أن يطبع ذلك القاموس الذى يعتبره عمل العمر . حتى أن أكبر فرحة صادفته فى حياته هى فراغه من تأليفه ، فقد سر لذلك أيما سرور ، وكان يوما من الأيام القليلة التى رآها فى حياته المليئة بالأحداث الجسام ، فقد تعرض مرتين لمهاجمة اللصوص وأصيب برصاصه فى ساقه ، كما تعرض أيضا للغرق فى الخليج الفارسى ، ولكن أكبر صدمة واجهته فى حياته وأثرت فى نفسه هى : ضياع حقيبته فى الطريق من طهران إلى بغداد حيث كانت تحتوى على بعض مؤلفاته ومؤلفات والده ومذكراته التى لم تطبع ، وهو يعتبر كتاب (روح ملى إيران) أحب آثاره التى كتبها بالفارسية وكتاب (عمران بغداد) أحب آثاره التى كتبها بالعربية ذلك لأنها فاتحة تأليفه فى كلتا اللغتين .

فهو من أجل كل ذلك يعتبر ممن اقتفى أثر الأدباء ذوى اللسانين كبديع الزمان الهمدانى وأبى الفتح البستى والثعالبى وغيرهم ذلك لأنه سار على نهجهم واقتدى بسيرتهم وأعمالهم وكان لوالده الذى ينتمى نسبه إلى الحسين سبط النبى صلى الله عليه وسلم أكبر الفضل وأكبر الأثر فى اختياره لهذا الطريق وفى سلوكه هذا المسلك ، وكان مما ساعده على السير فى هذا السبيل والقيام بكل

ذلك هو أن له زوجة صالحة شاركته فى السراء والضراء وقامت بتربية أولاده الستة الذين تعلموا فى المرحلة الاعدادية فى إيران وفى المرحلة الثانوية فى مصر وهم الآن يكملون تعليمهم العالى فى أوربا وهو إذ يرجو من الله أن يتم عليه نعمته يأمل أن يعود إلى وطنه وأن يجتمع بهم ويعيش بقية حياته بينهم ففى ذلك له سعادة ورضا ، وسرورا ومتعة مابعدها متعه .

اللهم أقلنى عثرتى ، واغفر زلتى ، وفرج كربتى ، ووفقنى لطاعتك ، وامنعنى عن معصيتك ، وارشدنى الى ما فيه رضاك ، اللهم افعل بى ما أنت اهله ، ولا تفعل بى ما أنا أهله ، إنك قريب مجيب الدعاء .





الثمن ٤٠ قرشا